

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإسلامية . بغداد
كلية أصول الدين / قسم العقيدة والدعوة

أحكام وآداب النصيحة في الإسلام

(دراسة موضوعية)

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية أصول الدين / الجامعة الإسلامية
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية

(تخصص دعوة)

من الطالب

عوض جدوع احمد صالح

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

ياس حميد مجيد محمد السامرائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِّنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾

سورة هود : الآية / 47

الإهداء

لو كان يهدي إلى الإنسان قيمته لكنني أهدي لك الدنيا وما فيها
إلى كل الدعاة إلى الله تعالى القائمين على أمر دينه ، تذكيراً ودعوة وجهداً
ونصحاً ..

إلى الذين إذا قالوا صدقوا وإذا عملوا عملوا وإذا أحسنوا وإذا أحسنوا نصحوا
وإذا نصحوا اخلصوا دينهم لله ، لا يريدون بذلك جزاء ولا شكوراً .
إلى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران : الآية / 173) .
إلى من أمرني بربي برهما ...

والذي الذي أبصرت النور ولم أمره ، ووالدتي التي نصحتني في تربيته ومرعائي .
والى كل مكلم وجريح ومعتقل وشهيد من أبناء العراق البررة ...

أهدي عناء جهدي وثمرته بحشي

شكر و عرفان

أقدم بشكري الجزيل إلى الأستاذ المساعد الدكتور ياس حميد مجيد السامرائي
المشرف على هذا البحث، والذي ما بخل عليّ بوقته وتوجيهاته وإرشاداته من
اجل إخراج هذه الرسالة على أحسن وجه، فله من الله المثوبة وحسن العطاء
،ومني خالص الشكر والدعاء .

كما أقدم بشكري الجزيل إلى الدكتور كاظم عبد الكريم الزوبعي، الذي عهدته
ناصحاً ومذكراً وكان له فضل في توجيهي لإتمام هذا البحث .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم بخالص امتناني وتقديري إلى الدكتور
عامر محمد خليفة، والدكتور طه حماد، الذين لم يخلوا عليّ بجواب عن سؤال
طرحته عليهم، أو مساعدة طلبتها منهم .

كما وأوجه شكري وامتناني إلى كل من نصحني وأرشدني ومدّ يد
العون إلي من جميع الإخوة الأعزاء .
إلى كل هؤلاء أقدم شكري .

الباحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، واشهد أن لا اله إلا الله ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة بحكمة ، وأدى الأمانة برفق ، ونصح الأمة بإخلاص ، ومضى إلى الله عز وجل وقد هدى به قلوبا غُلُفاً ، وفتح به عيوناً عُميةً ، وأنار به أفئدة مظلمة ، فصلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى من اهتدى بهديه واتبع سبيله واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

إذا كان لإصلاح الأمة باب فإن مفتاحه هو النصيحة ، لما للنصيحة من دور اساس في التقويم والإصلاح والتغيير، وذلك من خلال إسهامها الفعال في حماية الأمة- أفراداً وشعوباً ودولاً - من أي انحراف، والحث على الرقي والنجاح في كافة الميادين، وشتان بين مجتمع تسوده النصيحة، ومجتمع يعيش كل فرد من أفرادهِ لتحصيل مصالحه الشخصية، وحظوظه الآنية، دون مبالاة بالتصحيح والمعالجة لمن حوله.

من هنا كان للنصيحة مكانة كبيرة في شريعتنا الغراء، وعُدَّت الركيزة الأهم والركن الرئيس في الأخوة الإسلامية ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم اليد الطولى في بذل النصح لكل من حوله، استصلاحاً لنفوسهم، وتحذيراً لهم مما يضرهم في دينهم أو دنياهم، وإرشاداً لهم بما يناسبهم، وترغيباً لهم بما يقربهم إلى الله عز وجل، بل إن حياته صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله كلها تصبَّ في إطار النصح وإرادة الخير ، فما من خيرٍ إلا ودلَّ عليه ، وما من شرٍّ إلا وحذَّر منه . وبالجملِة فإن نصائح النبي صلى الله عليه وسلم كانت تمثل صدق محبته لصحابته ومقدار شفقتة عليهم، فلا عجب إذاً أن تثمر مثل هذا الجيل الفريد الذي عزَّ مثيله على مر التاريخ والعصور .

فأصبحت النصيحة أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله لا يتقنه إلا من أنار الله قلبه بالآيمان، وعقله بالعلم ، وروحه بالسمو والارتقاء من عالم الماديات إلى عالم أهل السموات .

ولذلك فإن النصيحة وأحكامها وآدابها في الإسلام أمر اعتنى به عناية كبيرة ، وضحه القرآن وفصلته السنة النبوية المطهرة .

● أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفعتني عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه ، ومن أهمها ما يأتي :

1. أهمية موضوع النصيحة في حد ذاته .فهو دعامة من دعامات الإسلام جمعت الدين الإسلامي كله ، واستوعبت مصالح الدين والدنيا معا.
2. قلة الكتابة في هذا الموضوع إذ لم أجد من تناول هذا الموضوع بكثير من الإيضاح والتفصيل والتبيين في كتاب واحد حسب علمي .
3. ما لمست من جهل - في الوقت الحاضر- بمفهوم النصيحة وحكمها في الإسلام ،وما يتعلق بأحكامها وضوابطها وآدابها ، والمواطن التي تباح فيها النصيحة ،ناهيك عن وقوع البعض بنقيض ذلك من التشهير والتعير وغيره .
4. مازال البعض في هذه الأمة يعد النصح نوعاً من الاستفزاز أو تقليل للمكانة ، فلم يتعود الناس على هذا ولم تتعود آذانهم عليه ! ولهذا صاروا يشتمزون منه ويستغربونه ويرونه شيئاً عظيماً ! فجاءت هذه الرسالة تُبين : أن النصيحة لا تعني الانتقاص من شأن المنصوح ، أو تكبراً وترفعاً من الناصح على المنصوح ، بل النصيحة تعني : الصدق ، والإخلاص ، وقبول الحق من أي شخص كان ، وتبين أن الرجوع عن الخطأ هي الفضيلة الأكمل .
5. اتصال موضوع النصيحة اتصالاً وثيقاً بحياة الناس اليومية الخاصة والعامة ؛ حيث انه نتيجة لبعد الناس عن النقد الذاتي والتقويم والنصح شاعت كثير من الأخطاء والهفوات بين الناس، بل أصبح من الأمور العادية أن تجد في المجتمع من يغش ويهتك ويُعير ويُشهر بالناس والعلماء باسم الإسلام والحرص عليه بدعوى النصيحة وما اطلع على النصح بضوابطه وآدابه وأحكامه .
6. قعود الأمة الممثلة برجال الإصلاح عن النصيحة . مع أنَّ الأصل في الأمة الإسلامية النصح والتناصح ، لقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾ (1) .
7. عدم الالتزام بآداب النصيحة، فإن من الناصحين ، وكذلك المنتصحين لا يلتزمون بآداب النصيحة ، وذلك إما لجهلهم بها وهم كثر ، وإما لغفلتهم عنها . فينتج عن ذلك الخلاف ، والشقاق ، واتهام كل طرف للآخر . فإن كثيراً من المخلصين لا يتبع هدي النبي عليه الصلاة والسلام في النصيحة ، مكتفياً بإخلاصه ، والعمل لا يكون مقبولاً إلا إذا كان خالصاً ، وصواباً .
- فجاءت هذه الرسالة تبين هذه الآداب ، فإنها تتعلق بالناصح والمنصوح سواء بسواء .
لهذه الأسباب ولغيرها ، ألزمت نفسي بالكتابة في هذا الموضوع .
- أهمية الموضوع :
- تظهر أهمية هذا الموضوع في عدة نواحي . من أهمها ما يأتي :

¹ سورة آل عمران - الآية: 110

1. محاولة للتجديد في موضوعات الدعوة إلى الله تعالى ، ودراسة لموضوعات تطرق إليها سلفنا الصالح بالتبيين والإيضاح ، معترفا بفضلهم وسبقهم ، مستعينا بما خلفوه من تراث دعوي لمن بعدهم في النصح .
2. محاولة لإبراز الخلق الرفيع والهدي الإسلامي للنصيحة التي يعز الله بها الحق ، ويزهق بها الباطل وينصر بها المظلوم ويزال بها المنكر ويدعى بها إلى الخير ، في وقت قد كثر فيه الغش والخداع والنصب والاحتيال والأثرة وحب الذات على حساب الآخرين .
3. محاولة لكشف الأخطاء وسرعة علاجها : فهو كشف طبي متواصل يكتشف المرض بسرعة، وبالتالي يعالجه قبل أن يستفحل، ويصل إلى مرحلة الخطر أو فقدان الأمل في العلاج؛ ولذلك لا بد من النصح بأن يُسعى لإظهار آثار إخلاص النصح والنقد في الحياة ، وما يؤدي إليه من نتائج طيبة في كيان المجتمع الإسلامي ونظامه .

● الصعوبات التي واجهتني:

وأما الصعوبات والمشاكل التي واجهتني فلا شك انه لا يخلو كل عمل من صعوبات ومشاكل قبل وأثناء البحث فمن هذه الصعوبات والمشاكل :

1. تغيير عنوان الرسالة ، فلقد رمت الكتابة في بداية الأمر عن الإمام المنذري وجهوده في خدمة الحديث وعلومه فهو الموضوع الذي كانت أمالي معلقة به ، وجمعت له كثيراً من المصادر والمراجع بعد أن صدرت الموافقة عليه ، وبدأت أسعى بكامل جهدي في الكشف عن حياة هذا العالم الرباني والكشف عن آثاره التي تركها في خدمة الحديث وعلومه ، وكتبت شيئاً ليس بالقليل عنه إلا أن تدابير القدر الإلهي سبقتني فيما كنت أسعى إليه منذ البداية إذ تبين لي بعد مدة أن هذا الموضوع قيد الكتابة في كلية العلوم الإسلامية مما دفعني إلى تغيير عنوان الرسالة فبعد جهد مضني وصعوبة في اختيار العنوان استقر الحال على العنوان الحالي بحمد الله وفضله بعد مضي أكثر من ستة أشهر .
2. ومن الصعاب التي واجهتني في هذه الرسالة، هي التخريجات للأحاديث الخاصة بالنصيحة وللأحاديث المتعلقة بها وتباين أقوال المحدثين والمحققين في الحكم عليها ، فتجديني أحرار في كيفية الجمع بين هذه الأقوال وفق نظرة علمية ترجيحية تخريجية صائبة .
3. ومن الصعاب التي واجهتني أيضاً: هو قلة تداول الكتب التي تكلمت عن النصيحة في السنة النبوية في بلادنا، فلم اعثر على مصدر كافٍ وشافٍ بهذا الخصوص.

● منهجية الدراسة :

لقد وقفت على أهم المراجع الخاصة بالنصيحة ، وأسلوب الدراسة والموضوعات التي أثرت في هذا الجانب ، وأمضيت وقتاً طويلاً في التفحص والتبصر في النصيحة وأحكامها وآدابها من أجل إخراج هذه الرسالة على أفضل حال ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وحاولت جهد الإمكان أن استوعب المساحة

الحقيقية لهذا الموضوع الخاص بالنصيحة في السنة النبوية المطهرة ، موضحاً أهمية هذا الموضوع في كتاب الله عز وجل كمقدمة مباركة في بيان ما لهذا الموضوع من أهمية وفضل وأثره في بناء النفس الإنسانية . فلا شيء قبل وفوق كلام رب العزة جل جلاله وتقدست أسمائه ، كما أنني رأيت أن من واجب النصح لكتاب الله عز وجل أن أبين مقام النصيحة وفضلها فيه ، وكذا في ثنايا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وما ضمته وحملته السنة النبوية بين طياتها وجناباتها عن النصيحة ودورها الرائد في التوجيه والإرشاد والتأثير والإصلاح في حياة سلف الأمة فكانت النصيحة بحق دروساً تربوية للجيل الأول وللسلف الأمة ، حتى صفا ذلك الجيل وصلحت حياة الأمة بفعل النصيحة وأثرها في حياتهم .

كما حاولت بجهدي المتواضع مشفوعاً بنصح المشرف أن أبرأ بعض الأحاديث مما الصق بها من عوارض وتهم موضحاً مفهوم النصيحة في هذه الأحاديث والغرض الشرعي والنبوي منها حتى لا يكون هناك خلط بين النصيحة وبين غيرها من المفاهيم، دافعاً الإشكال الظاهر في هذه الأحاديث بوضعها على حقيقتها وهي النصيحة لا غير .

وحاولت أن اجعل الجهد الأكبر في هذا الرسالة يدور في فلك أحكام وآداب النصيحة موضحاً حكم النصيحة وأهلية الناصح والمنصوح وصفاته ، ومن ثم الطرق والأساليب التي سلكها نبي الرحمة - عليه أفضل الصلاة والسلام - في النصيحة من أجل هداية الناس إلى رب العالمين ، والضوابط النبوية التي قامت على أساسها النصيحة إلى يوم القيامة ، مع ما امتازت به نصائح النبي عليه الصلاة والسلام من خصائص ومزايا كريمة ، فاقت بمضمونها كل نصائح البشر .

وحاولت أن أوضح حقائق عن النصيحة في الجانب المادي والمعنوي ، بأخذ نماذج وعينات مختارة من نصائحه الكريمة، التي حوتها السنة النبوية وضممتها بطون الكتب والمصنفات ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، دون الخروج عن الخطة المرسومة لهذه الرسالة .

وقد كان عملي في البحث على الشكل الآتي:

1. حرصت على نقل نصوص المحدثين وأهل التربية والسلوك في موضوع النصيحة في السنة النبوية ، من خلال ما يطرحه أئمة الحديث - رحمهم الله تعالى - في شروحهم للكتب الصحاح والمسانيد، وذلك بجمع شتاتها، وإدراجها في وحدة موضوعية واحدة وذلك لان النص شاهد على ما ذهبت إليه .

2. أكثرت من التعليقات على موضوع النصيحة وما يضادها من مفاهيم ، كما أكثرت من ذكر الطرق والأساليب والآداب الخاصة بالنصيحة في السنة النبوية ، فهي كانت بغيتي من هذا العمل؛ لأن التطبيق العملي للنصيحة يوضح منهجية الناصح في التعامل مع المنصوح ، معتبراً الآداب الخاصة بالنصيحة من أهداف بحثي، ألتمس منه الإصلاح والتغيير بحسب الطاقة .

3. ذكرت بعض المسائل التي وقع فيها خلاف بين العلماء في المسألة، وناقشت تلك الأدلة ، ثم رجحت ما رأيته انه راجح لقوة الدليل دون تعصب لعالم أو مذهب معين ان أمكن . إذ الأمر دين سيسأل العبد عنه يوم أن يلقي ربه ، وما لم اهتمد فيه إلى ترجيح تركته دون ترجيح .

4. اعتمدت في كتابة خطة الرسالة على ما اتضح لي وفق البحث العام عن النصيحة وبعد جمعي للأحاديث والشروح الخاصة بها وأقوال أهل العلم ؛ وذلك لأن بغية هذه الرسالة هو خدمة النصيحة خدمة حقيقية من خلال إبراز كلام المحدثين والمحققين للأحاديث شرحاً وتخريجاً .

5. قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة ، والآثار وتراجم الرجال معتمداً في تخريجي على المصادر الأصلية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، علماً أنني لم أترجم لكثير من الأعلام المشهورين ولم اذكرهم في فهرس الأعلام وذلك لشهرتهم .

وقد تناولت الموضوع ضمن الخطة الآتية :

■ المقدمة .

■ الفصل الأول : ماهية النصيحة وأهميتها ، ويضم أربعة مباحث .

المبحث الأول : تعريف النصيحة عند أهل اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : تعريف النصيحة عند أهل اللغة :-

المطلب الثاني : مشتقات النصيحة :-

المطلب الثالث : النصيحة والألفاظ ذات الصلة :-

المطلب الرابع : تعريف النصيحة اصطلاحاً :-

المبحث الثاني : النصيحة وأهميتها وأدلتها من القرآن الكريم .

المطلب الأول : النصيحة تصريحاً .

المطلب الثاني : النصيحة تلميحاً .

المبحث الثالث : النصيحة وأهميتها وأدلتها من السنة النبوية .

المطلب الأول : حديث " الدين النصيحة " .

المطلب الثاني : حديث " والنصح لكل مسلم " .

المطلب الثالث : حديث " وإذا استنصحتك فانصح له " .

المبحث الرابع : النصيحة عند السلف الصالح .

■ الفصل الثاني: الفرق بين النصيحة وغيرها من الألفاظ التي تقاربها ، ويضم أربعة مباحث .

المبحث الأول: الفرق بين النصيحة والتشهير.

المطلب الأول: التشهير عند أهل اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الأحاديث التي جاءت في ذم التشهير وتقديم النصيحة.

المطلب الثالث : الفرق بين النصيحة والتشهير.

المبحث الثاني : الفرق بين النصيحة والتأنيب.

المطلب الأول : تعريف التأنيب عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أحاديث في ذم التأنيب والتوبيخ وتقديم النصيحة .

المطلب الثالث : الفرق بين النصيحة والتأنيب .

المبحث الثالث : الفرق بين النصيحة والغيبة .

المطلب الأول : تعريف الغيبة عند أهل اللغة والاصطلاح وأدلة تحريمها .

المطلب الثاني : أحاديث قد يفهم منها الغيبة وحقيقتها النصيحة .

المطلب الثالث : متى تباح الغيبة لغرض النصيحة .

المبحث الرابع : الفرق بين النصيحة والنميمة .

المطلب الأول : تعريف النميمة عند أهل اللغة والاصطلاح وبيان تحريمها .

المطلب الثاني : أحاديث قد يفهم منها النميمة وحقيقتها النصيحة .

■ الفصل الثالث : أحكام وآداب وأحاديث تتعلق بالنصيحة ، ويضم ستة مباحث .

المبحث الأول: حكم النصيحة في الإسلام

المبحث الثاني : أهلية الناصح والمنصوح .

المطلب الأول : أهلية الناصح والمنصوح .

المطلب الثاني : صفات الناصح .

المبحث الثالث : ضوابط وخصائص النصيحة .

المطلب الأول : الضوابط التي تقوم عليها النصيحة .

المطلب الثاني : خصائص النصيحة .

المبحث الرابع : طرق وأساليب النصيحة .

المطلب الأول: تعريف الأسلوب عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : طرق وأساليب النصيحة .

المبحث الخامس : آداب النصيحة .

المطلب الأول : تعريف الأدب عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : آداب الناصح مع المنصوح .

المطلب الثالث : آداب المنصوح مع الناصح .

المبحث السادس : النصيحة والأحاديث المقاربة لها

■ الفصل الرابع : نماذج مختارة من النصائح النبوية ويضم ثمانية مباحث :-

المبحث الأول : نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الإيمان .

المطلب الأول : تعريف الإيمان عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الإيمان .

المبحث الثاني : نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العلم .

المطلب الأول : تعريف العلم عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب العلم .

المبحث الثالث: نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العبادات .

المطلب الأول : تعريف العبادة عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب العبادات .

المبحث الرابع : نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الآداب .

المطلب الأول : تعريف الآداب عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : بعض النصائح النبوية في باب الآداب .

المبحث الخامس : نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الأحكام .

المطلب الأول : تعريف الأحكام عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : النصائح النبوية في باب الأحكام .

المبحث السادس : أحاديث النصيحة في باب البيوع .

المطلب الأول : تعريف البيع عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب البيوع .

المبحث السابع: نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الجهاد.

المطلب الأول : تعريف الجهاد عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الجهاد.

المبحث الثامن : نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب الفتن .

المطلب الأول : تعريف الفتن عند أهل اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب الفتن .

الخاتمة :

وقد تناولت كتابة الخاتمة والتي تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تتبعي للنصيحة في السنة النبوية ، ومن ثم قائمة فهرس تضم الايات والاحاديث والاعلام والاشعار والمصادر المستخدمة في البحث.

وفي الختام لا يخفى على من جرب البحث ومشاقه كم فيه من الصعوبات والمشاق من متابعة النصوص والتخريجات وتراجم الرجال والبحث عن المصادر والمراجع وندرتها خصوصاً في هذا الظرف الأمني الصعب الذي لا يخفى على أحد من صعوبة تنقل طالب العلم بين مكاتب الجامعات والكليات المختصة .

وبعد ذلك فان وفقت فمن الله عز وجل وحده . وإن أخطأت فمن نفسي ، واستغفر الله من ذلك .

اللهم اغفر لنا وارحمنا وآهدنا سواء السبيل .

الباحث

الفصل الأول

ماهية النصيحة وأهميتها

ويضم التمهيد والمباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريف النصيحة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : النصيحة وأهميتها وأدلتها من القرآن الكريم.

المبحث الثالث : النصيحة وأهميتها وأدلتها من السنة النبوية .

المبحث الرابع : أهمية النصيحة عند السلف الصالح . ونماذج

منها.

تمهيد :

النصيحة والنصح كلمة تقارب معنى الإخلاص ، ولهذا تُفسَّر بمقابلها وتفهم على هذا النحو فيقابل النصيحة والنصح : الغش ، فالإنسان إما ناصح أو غاش ، والمسلمون قوم نُصَحَّ بعضهم لبعض ، والمنافقون قوم غشَّه بعضهم لبعض .
والنبي صلى الله عليه وسلم ، يريد أن تكون العلاقات قائمة على النصح والإخلاص والصفاء ، لا على الغش ، ولا على الخداع ، ولا على الزور ...
والنصيحة لا بد أن تكون لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .
ولهذا سأل الصحابة حينما سمعوا هذه الكلمة "الدين النصيحة" ، أحبوا أن يعرفوا من الذين تكون لهم النصيحة ؟ ولمن يكون النصح ؟ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : أن النصيحة لكل من بينه وبين الإنسان علاقة مادية أو معنوية .
ولهذا سنتناول في هذا الفصل عدة مباحث تتعلق بما ذكرناه على الوجه الآتي :

المبحث الأول

تعريف النصيحة عند أهل اللغة والاصطلاح

وتعريف النصيحة عند علماء اللغة يتطلب التعرف على أصل كلمة النصح والألفاظ ذات الصلة بها التي قالها العلماء في كتبهم لذا جعلت هذا المبحث على أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف النصيحة عند أهل اللغة .

عرف علماء أهل اللغة النصيحة بعدة تعريفات متقاربة يُكمل بعضها بعضاً ، ويُوضح بعضها الآخر .

قال الرازي في مختار الصحاح : إن النصيحة مفردتها (نصح : أي نصحه و نصّح له ينصح بالفتح فيهما نُصْحاً بالضم و نصّاحةً بالفتح وهو باللام أفصح⁽¹⁾ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْصَحْ لَكُمْ ﴾⁽²⁾ ، والاسم النصيحة⁽³⁾ .

وقال ابن منظور في لسان العرب : (و النصّح: نقيض الغشّ مشتق منه نصّحه وله نصّحاً و نصيحة و نصّاحة و نصّاحة و نصّاحية و نصّاحاً، وهو باللام أفصح؛ قال الله تعالى: (و أنصح لكم)... الآية ويقال: نصّحت له نصيحتي نصوحاً أي أخلصت و صدقتُ، والاسم النصيحة⁽⁴⁾ .

وقال الفيروزابادي في القاموس المحيط : (نصّحه و له كمنعه نصّحاً و نصّاحةً و نصّاحيةً وهو ناصحٌ و نصيحٌ من نصّح و نصّاح و الاسم : النصيحة⁽⁵⁾ .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : (نصح : نصحته ونصحت له نصحاً و نصيحة، وأنا لك نصيح، وتنصحت له)⁽⁶⁾ .

المطلب الثاني : مشتقات النصيحة :-

يمكن أن نوضح اشتقاقات النصيحة كما أشار لها أهل اللغة ونظر إليها أهل البلاغة والبيان ، ونرتبها على ما يأتي .

1 (نصح : نصّح الشيء؛ خلص⁽¹⁾)

(1) أي بمعنى أن : انصح لكم أفصح من قوله أنصحكم .

(2) سورة الأعراف- الآية 62

(3) مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (721 هـ . ت) / تحقيق . محمود خاطر / مادة نصح ، ج: 1 ص: 276 . / مكتبة لبنان ناشرون طبعة جديدة . بيروت (1415 هـ - 1995 م)

(4) لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (630-711 هـ . ت) / مادة نصح ، ج: 2 ص: 615 / دار صادر / الطبعة الأولى / بيروت .

(5) القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزابادي (467-817 هـ . ت) / تحقيق . علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم / مادة نصح ، ج: 1 ص: 312 / دار المعرفة / الطبعة الثانية / لبنان / 1399 هـ .

(6) أساس البلاغة / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري / ص458 / دار الكتب والوثائق / مصر / الطبعة الثانية / 1973 م .

(2) الناصحُ: (الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خَلَصَ، فقد نَصَحَ؛ قال ساعدة بن

جُوَيْة الهذلي⁽²⁾ يصف رجلاً مزج عسلاً صافياً بماء حتى تفرق فيه:

فَأَزَالَ مُفْرِطَهَا بِأَبْيَضِ نَاصِحٍ مِنْ مَاءِ أَلْهَابٍ بِهِنَّ التَّالِبُ

وقال أبو عمرو⁽³⁾: الناصح الناصع في بيت ساعدة، وقال النضر⁽⁴⁾ أراد أنه فرّق به خالصها وردّيها بأبيض مُفْرِطٍ ، أي بماء غدير مملوء⁽⁵⁾ .

(وناصح نفسه في التوبة إذا أخلصها)⁽⁶⁾ ، (ورجل ناصح الجيب: نقي الصدر ناصح القلب لا غش فيه)⁽⁷⁾ (كقولهم طاهر الثوب، وكله على المثل؛ قال النابغة⁽¹⁾):

(1) لسان العرب / لابن منظور / مادة نصح ، ج: 2 ص: 615 ، ، القاموس المحيط / الفيروزآبادي / مادة نصح ، ج: 1 ص: 312.

(2) وهو "ساعدة بن جوين ويقال بن جوية شاعر مخضرم ذكره المرزباني وأنشد له، وقال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي "ساعدة بن جوية أحد بني كعب بن كاهل بن الحارث بن سعد الهذلي شاعر محسن جاهلي وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة .." ينظر الإصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ تحقيق : علي محمد البجاوي/ ج 3 - ص 246 / دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1412 .

(3) الحافظ المقرئ الإمام الرباني أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي صاحب التصانيف التي منها المقنع والتيسير وعرف بالداني لسكناه دانية وولد سنة 371 وابتدأ بطلب العلم سنة 387 ورحل إلى المشرق سنة 397 فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل مصر في شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع إلى الأندلس في ذي القعدة سنة 399 وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة " ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني / تحقيق : د.إحسان عباس / ج 2 - ص 135 / دار صادر - بيروت ، 1968

(4) النضر بن شميل المازني أبو الحسن النحوي البصري نزيل مرو ثقة ثبت من كبار التاسعة مات سنة أربع ومائتين وله اثنتان وثمانون ، ينظر تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ تحقيق : محمد عوامة / ج 1 - ص 562 دار الرشيد - سوريا الطبعة الأولى ، 1406 -

(5) لسان العرب / لابن منظور / مادة نصح ، ج: 2 ص: 615 ، ، القاموس المحيط / الفيروزآبادي / مادة نصح ، ج: 1 ص: 313 ، مختار الصحاح / الرازي/ مادة نصح ، ج: 1 ص: 276.

(6) أساس البلاغة / للزمخشري/ ص 3728 .

(7) مختار الصحاح / الرازي/ مادة نصح ، ج: 1 ص: 276 .

أَبْلَغِ الْحَرْثَ بْنَ هُنْدٍ بِأَنِّي نَاصِحُ الْجَيْبِ بَازِلٌ لِلثَّوَابِ (2)

(3) النَّصِيحُ: (الناصح، وقوم نُصَحَاء؛ بوزن فقهاء . وقال النابغة الذبياني:
نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا رُسُولِي وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي

(4) اَنْتَصَحَ : قال الجوهري (3): (و اَنْتَصَحَ فلان أي طلب النصيحة. يقال: اَنْتَصَحْنِي اِنِّي
لك ناصح؛ وأنشده ابن بري (4) :

تَقُولُ اَنْتَصَحْنِي اِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا اَنَا اِنْ خَبَرْتُهَا بِأَمِينٍ
ويقال: اَنْتَصَحْتُ فلاناً وهو ضِدُّ اَعْتَشَشْتُه؛ ومنه قوله:

أَلَا رَبَّ مَنْ تَغْتَشُّهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُتَنَصِّحٌ بَادٍ عَلَيْكَ غَوَائِلُهُ
تَغْتَشُّهُ: تَغْتَشُّهُ غَاشًّا لَكَ . (5)

قال ابن بري: هذا وَهْمٌ منه لأن انتصح بمعنى قبل النصيحة لا يتعدى لأنه مطاوع نصحته
فانتصح، كما تقول رددته فارتدَّ، وسدَّدْتُهُ فاستدَّ، ومدَّدْتُهُ فامتدَّ، فأما انتصحته بمعنى اتخذته
نصيحاً، فهو متعدٍّ إلى مفعول، فيكون قوله " انتصحنِي اِنِّي لَكَ ناصح " : يعني اتخذني ناصحاً
لك؛ ومنه قولهم: لا أريد منك نُصْحاً ولا انتصاحاً أي لا أريد منك أن تنصحنِي ولا أن تتخذني
نصيحاً، فهذا هو الفرق بين التُّنْصَحِ و الانتصاح: و التُّنْصَحُ: مصدر نَصَحْتُهُ. و الانتصاحُ: مصدر
اَنْتَصَحْتُهُ أي اتخذته نصيحاً، ومصدر اَنْتَصَحْتُ أيضاً أي قبلت النصيحة، فقد صار للانتصاح

(1) واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ويكنى
أباً أمانة ، ينظر طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي/ تحقيق : محمود محمد شاكر / ج 1 -
ص 51 / دار المدني - جدة .

(2) لسان العرب / ابن منظور / مادة نصح ، ج: 2 ص: 616

(3) وهو شيخ اللغة ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ جلال
الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / تحقيق : فؤاد علي منصور / ج 1 - ص 74 / دار الكتب العلمية
- بيروت الطبعة الأولى ، 1998

(4) واسمه ، أبو محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي : مات سنة اثنتين وثمانين وخمسائة ،
ينظر المزهر في علوم اللغة / للسيوطي/ ج 2 - ص 397

(5) المصدر نفسه / مادة نصح ، ج: 2 ص: 615 ، مختار الصحاح / الرازي/ مادة نصح ، ج: 1 ص:

معنيان. وفي الحديث: "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (*) (1) وكذا أورد نحوه الرازي فقال: (وَ انْتَصَحَ فُلَانٌ قَبْلَ النَّصِيحَةِ يَقَالُ انْتَصَحَنِي فَإِنِّي لَكَ نَاصِحٌ ... قال ابن الأعرابي (2) نَصَحَتِ الْإِبِلُ الشَّرْبَ نُصُوحًا صَدَقَتْهُ وَ انْصَحْتُهَا أَنَا أُرُوِيْتَهَا (3) قال الكميت (4):

تركت حل السوء إذ لم يواني ولم أنتصح فيه المنيم المهددا
وهو الذي ينيم الصبي ويناغيه حتى يهدأ.
قال النابغة:

فلا عمر الذي أثنى إليه وما رفع الحجيج إلى آل
لما أغفلت شركك فانتصحتني وكيف ومن عطاك جلّ مالي

- أي فعمر الذي فزاد لا. وانتصح كتاب الله: اقبل نصحه. (5)
- 5 تَنْصَحُ : (أَي تَشَبَّهُ بِالنُّصَحَاءِ. وَ اسْتَنْصَحَهُ: عَدَّهُ نَصِيحًا.) (6) (وَقَوْمٌ نُصَحَ وَ نُصَّاحٌ وَ التَّنْصُحُ كثرة النَّصْح؛ ومنه قول أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي (7) :
إياكم وكثرة التَّنْصُحِ فإنه يورث التُّهْمَةَ.) (8)
- 6 النَّصُوحُ : (الخالصة ومنه التوبة النَّصُوحُ: الخالصة، وقيل: هي أن لا يرجع العبد

* أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان /باب بيان أن الدين النصيحة / برقم : " 95 " ج 1 - ص 74 ، ينظر صحيح مسلم /مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري/تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي - بيروت

- (1) لسان العرب /ابن منظور / مادة نصح ، ج: 2 ص: 615-616.
- (2) واسمه ، أبو عبد الله محمد بن زياد ، وكان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب ، ينظر المزهري في علوم اللغة /السيوطي / ج 2 - ص 358
- (3) مختار الصحاح / الرازي /ج: 1 ص: 276.
- (4) اسمه : الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل ابن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعه بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه ، ينظر طبقات فحول الشعراء / الجمحي /ج1 - ص 189 - 190
- (5) أساس البلاغة / للزمخشري /ص3728-3729.
- (6) مختار الصحاح / الرازي /مادة نصح ، ج: 1 ص: 276
- (7) واسمه: أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث حكيم العرب ، ينظر الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى / علي بن هبة الله بن أبي نصر بن مأكولا / ج 1 ص 73 / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411
- (8) لسان العرب /ابن منظور /مادة نصح ، ج: 2 ص: 616

إلى ما تاب عنه؛ قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾⁽¹⁾
قال الفراء⁽²⁾: قرأ أهل المدينة نَصُوحًا، بفتح النون، وذكر نَصُوحًا، بضم النون؛ وقال الفراء:
كَأَنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا نَصُوحًا أَرَادُوا الْمَصْدَرَ مِثْلَ الْقُعُودِ، وَالَّذِينَ قَرَأُوا نَصُوحًا جَعَلُوهُ مِنْ صِفَةِ التَّوْبَةِ؛
وَالْمَعْنَى أَنَّ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِذَا تَابَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ أَنَّ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا، .. وَفَعُولٌ مِنْ أُنْبِيَاءِ
الْمُبَالِغَةِ يَقَعُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى، فَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ بَالِغٌ فِي نَصَحِ نَفْسِهِ بِهَا، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ
ذِكْرُ النَّصْحِ وَالنَّصِيحَةِ. وَسُئِلَ أَبُو عَمْرٍو عَنْ نَصُوحًا فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ...: بَاتَ عَزُوبًا
وَعَزُوبًا وَعَزُوسًا وَعَزُوسًا؛ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ⁽³⁾: تَوْبَةٌ نَصُوحٌ بِالْغَةِ فِي النَّصْحِ، وَمَنْ قَرَأَ نَصُوحًا فَمَعْنَاهُ
يَنْصَحُونَ فِيهَا نَصُوحًا. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ⁽⁴⁾: نَصَحْتُهُ أَيَّ صَدَقْتُهُ؛ وَمِنْهُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَهِيَ الصَّادِقَةُ.
(5)

7 النَّصَاحُ: (السَّلْكُ يُخَاطَبُ بِهِ.. وَالنَّصَاحَةُ السُّلُوكُ الَّتِي يَخَاطَبُ بِهَا، وَتَصْغِيرُهَا نَصِيحَةٌ. وَقَمِيصٌ
مَنْصُوحٌ أَيَّ مَخِيطٌ. وَيُقَالُ لِلْإِبْرَةِ: الْمَنْصَحَةُ فَإِذَا غَلُظَتْ، فَهِيَ الشَّعِيرَةُ. وَ النَّصْحُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ
نَصَحْتُ الثَّوبَ إِذَا خَطَّيْتَهُ. .. وَ نَصَحَ الثَّوبَ وَالْقَمِيصَ يَنْصَحُهُ نَصْحًا وَ تَنْصَحُهُ: خَاطَهُ. وَرَجُلٌ
نَاصِحٌ وَنَاصِحِيٌّ وَ نَصَّاحٌ: خَائِطٌ. وَ النَّصَاحُ : الْخَيْطُ وَبِهِ سَمِيَ الرَّجُلُ نَاصِحًا، وَالْجَمْعُ نَصَحٌ
وَنَصَاحَةٌ، الْكَسْرَةُ فِي الْجَمْعِ غَيْرُ الْكَسْرَةِ فِي الْوَاحِدِ، وَالْأَلْفُ فِيهِ غَيْرُ الْأَلْفِ، وَالْهَاءُ لِتَأْنِيثِ
الْجَمْعِ).⁽⁶⁾

وأورد نحوه الرازي قال: (وَ نَصَحَ الثَّوبَ خَاطَهُ مِنْ بَابِ قَطْعٍ وَالنَّاصِحُ الْخَيْطُ وَ النَّصَاحُ
بِالْكَسْرِ الْخَيْطُ).⁽⁷⁾ (ونصح الخياط الثوب إذا أنعم خياطته ولم يترك فيه فتقاً ولا خللاً شبه ذلك

(1) سورة التحريم - الآية : 8

(2) واسمه يحيى بن زياد الفراء أبو زكريا : ينظر المزهري في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 358
(3) واسمه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، ينظر طبقات المفسرين / أحمد بن محمد
الأندروني / تحقيق : سليمان بن صالح الخزي / ج 1 - ص 52 / مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة
، الطبعة الأولى ، 1997

(4) واسمه : سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري النحوي البصري ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر /
ج 1 - ص 233

(5) لسان العرب / ابن منظور / مادة نصح ، ج: 2 ص: 616-617 ، مختار الصحاح / الرازي / مادة نصح
ج: 1 ص: 276

(6) ينظر لسان العرب / ابن منظور / مادة نصح ج: 2 ص: 617 ، القاموس المحيط / الفيروزآبادي / مادة
نصح ، ج: 1 ص: 313

(7) مختار الصحاح / الرازي / مادة نصح ، ج: 1 ص: 276

بالنصح. وصلب ناصحك: خيطك. وقميص منصوح وآخر منصاح أي منشق، وبوب متنصح، وإن في ثوبك لمترقعاً ومتنصّحاً: موضع خياطة وترقيع). ⁽¹⁾ (والمنصحة المخيطة. و المنصّح: المَخِيطُ. في ثوبه مُتَنَصَّحٌ لم يُصلحه أي موضع إصلاح وخياطة، كما يقال: إن فيه مُتَرَقَّعاً؛ قال ابن مقبل ⁽²⁾:

ويزعد إرعاد الهجين أضاعه غداة الشمال الشمرخ المتنصح

وقال أبو عمرو: المتنصح المَخِيط، وأنشد بيت ابن مقبل. وأرض منصوحة: متصلة بالغيث كما يُنصح الثوب، حكاه ابن الأعرابي؛ قال ابن سيده ⁽³⁾: وهذه عبارة رديئة إنما المنصوحة الأرض المتصلة النبات بعضه ببعض، كأن تلك الجوب التي بين أشخاص النبات خيطت حتى اتصل بعضها ببعض. قال النضر: نصح الغيث البلاد نصحاً إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه فضاء ولا خلل؛ وقال غيره: نصح الغيث البلاد ونصرها بمعنى واحد؛ وقال أبو زيد: الأرض المنصوحة هي المجودة نصحت نصحاً. و نصح الرجل الرّي نصحاً إذا شرب حتى يروى؛ وكذلك نصحت الإبل الشرب تنصح نصوحاً: صدقته. و أنصحتها أنا: أرويها؛ ... البلاط: القاع. و أنصح الإبل: أرواها. ⁽⁴⁾، (ونصح الغيث البلاد: جادها ووصل نبتها، وأرض منصوحة. ونصحت الإبل الرّي: صدقته. قال يخاطب إبله:

هذا مقامي لك حتى تنصحي رياً وتجتازي بلاد الأبطح

وغيوث نواصح: مترادفة). ⁽⁵⁾

8) النصاحات: (الجلود؛ قال الأعشى ⁽¹⁾ يصف شرباً: -

(1) أساس البلاغة/ للزمخشري / ص 3730

(2) اسمه: تميم بن أبي مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان يكنى أبا كعب؛ وكان أعور جافياً في الدين. أدرك الإسلام وأسلم وكان يبكي أهل الجاهلية، الوافي في الوفيات / صلاح الدين خليل ابن بيك الصفدي / ج 1 - ص 1469 / دار إحياء التراث العربي، طبعة سنة 2000م.

(3) واسمه: علي بن أحمد أبو الحسن إمام في اللغة العربية وهمام في الفنة الأدبية، ينظر المزهري في علوم اللغة/ السيوطي / ج 2 - ص 360، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / أحمد بن محمد المقري التلمساني/ تحقيق: د. إحسان عباس / ج 4 - ص 26 / دار صادر - بيروت، 1968

(4) لسان العرب / ابن منظور / مادة نصح، ج: 2 ص: 617، القاموس المحيط / الفيروزآبادي / مادة نصح، ج: 1 ص: 313

(5) أساس البلاغة / للزمخشري / ص 3729 - 3730

فَتَرَى الْقَوْمَ تَشَاوَى كُلُّهُمْ

مِثْلَمَا مَدَّتْ نِصَاحَاتُ الرِّيحِ

قال ابن سيده: الرُّبْحُ من أولاد الغنم، وقيل: هو الطائر الذي يسمى بالفارسية زاغ؛ وقال المؤرّج⁽²⁾: النَّصَاحَاتُ حبال يجعل لها حَلَقٌ وتنصب للقرود إذا أرادوا صيدها: يَعمدُ رجل فيجعلُ عِدَّةَ حبال ثم يأخذ قرداً فيجعلُه في حبل منها، والقرود تنظر إليه من فوق الجبل، ثم يتنحى الحابل فتنزل القرود فتدخل في تلك الحبال وهو ينظر إليها من حيث لا تراه، ثم ينزل إليها فيأخذ ما نَشَبَ في الحبال؛ قال وهو قول الأعشى: مثلما مدّت نصاحات الريح قال: والرُّبْحُ القرود وأصلها الرُّباح. وشَيْبَةُ بنِ نِصَاحٍ⁽³⁾: رجل من القرّاء.⁽⁴⁾

وارى من خلاصة هذه المشتقات نجد أن معنى النصيحة : أن الإنسان يلم شعث أخيه.. يلم ما ظهر من أخيه من عيوب بالنصيحة، كما أن الإبرة تلم الثوب المتهري الذي يراد رتقه، فتأتي هذه الإبرة فتلم شعث هذا الثوب، فكذلك الناصح يلم شعث أخيه وما ظهر منه من العيوب .

المطلب الثالث : النصيحة والألفاظ ذات الصلة :-

هناك ألفاظ في العربية تأتي مقارنة للنصيحة وذات صلة بالنصح ومن هذه الألفاظ :

أ. الوعظ فهو يأتي بمعنى النصح والتذكير . كما ذكر ذلك أهل اللغة .

فقال الرازي : (الوَعْظُ النَّصْحُ والتذكير بالعواقب وقد وَعَظَهُ من باب وعد و عِظَةٌ أيضا

بالكسر فاتَّعَظَ أي قَبِلَ المَوْعِظَةَ يُقال: السَّعِيدُ من وُعِظَ بغيره والشَّقِيُّ : من اتَّعَظَ به غيره)⁽⁵⁾

(1) اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ويكنى أبا بصير ، ينظر المزهري في علوم اللغة/السيوطي /ج 2 - ص 360 ، طبقات فحول الشعراء / الجمحي/ ج 1 - ص 52

(2) مؤرّج أبو فید بن عمرو بن الحارث بن نود بن حرملة بن علقمة بن عمرو ابن سدوس بن شيبان بن زحل بن ثعلبة بن عكابة السدوسي النحوي البصري ، ينظر طبقات المفسرين / الأندروني / ج 1 - ص 21
(3) شيبه بن نصح بكسر النون بعدها مهملة وآخره مهملة القارئ المدني القاضي ثقة من الرابعة مات سنة ثلاثين ومائة ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - صفحة 270

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير/عبد الرؤوف المناوي / ج: 3 ص: 574 / المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى . 1356 هـ. ، الجامع لأحكام القرآن"المشهور بتفسير القرطبي" /محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله (671هـ.ت.)/تحقيق . احمد عبد العليم البريدوني /ج: 7 ص: 234/ دار الشعب / القاهرة - الطبعة الثانية 1372 هـ

(5) مختار الصحاح / الرازي /مادة وعظ ، ج: 1 ص: 303

وقال ابن منظور : (الوَعْظُ و العِظَةُ و العِظَةُ و المَوْعِظَةُ: النَّصْحُ والتذكير بالعواقب؛

قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُليِّن قلبه من ثواب وعقاب. (1)

فتاتي الموعظة بمعنى النصيحة : كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفَرَادَى﴾ (2) (قال قتادة(3): إنما أعظكم بواحدة وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى(4) ، إنما أعظكم بواحدة أي : إنما أنصحكم بواحدة وهي أن تقوموا لله بالنصيحة وكما قال تعالى عن نصيحة لقمان لابنه بقول ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (5) ويعظه : بمعنى ينصحه ويذكره .

ب. المحض يأتي قريب من النصح . كما أشار إلى ذلك أهل اللغة.

(و أمَحَضَهُ الودَّ و أمَحَضَهُ له: أَخْلَصَهُ. و أمَحَضَهُ الحديث والنصيحة إمحاضاً: صدقه، وهو من الإخلاص؛ قال الشاعر:

قل للغواني أما فيكنَّ فاتكة تغلُّو اللئيم بضربٍ فيه إمحاضو

كل شيء أمَحَضْتُهُ ، فقد أَخْلَصْتُهُ. و أمَحَضْتُ له النصح أَخْلَصْتُهُ. وقيل: مَحَضْتُكَ نُصْحِي، بغير ألف، و مَحَضْتُكَ مودَّتِي. الجوهري: و مَحَضْتُهُ الودَّ و أمَحَضْتُهُ؛ قال ابن بري في قوله محضته الود و أمحضته: لم يعرف الأصمعي(6) أمَحَضْتُهُ الود، قال: وعرفه أبو زيد. و الأمَحُوضَةُ: النصيحة الخالصة. (7)

وهناك ألفاظ تأتي مضادة لمعنى النصح والنصيحة ومنها ما يأتي : -

(1) لسان العرب / ابن منظور / مادة وعظ ، ج: 7 ص: 466

(2) سورة سبأ - الآية 46

(3) اسمه : قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطاب أخذ القرآن ومعانيه وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه وعن غيرهم توفي سنة سبع عشرة ومائة ، ينظر طبقات المفسرين / الأندروي / ج 1 - ص 14

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن " المشهور بتفسير الطبري " / محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (224-210 هـ. ت) / ج 10 - ص 384 / دار الفكر - بيروت 1405 هـ .

(5) سورة لقمان - الآية 13

(6) اسمه : عبد الملك بن قُريب ، ينظر المزهري في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 358

(7) لسان العرب / ابن منظور / مادة محض ، ج: 7 ص: 228

أ- الغش : من غَشَّه يُغْشُّه بالضم غِشًّا بالكسر وشيء مَغْشُوشٌ و اسْتَغَشَّه ضد استنصحه⁽¹⁾، فالصلة بين النصيحة والغش هي التضاد، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي .

ب- الخديعة : من خَدَعَهُ أي ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم ، والاسم الخَدِيعَةُ و خَدَعَهُ فانخدع و خَادَعَهُ مُخَادَعَةً⁽²⁾ ، والصلة بين النصيحة والخديعة هي التضاد ، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي .

المطلب الرابع : تعريف النصيحة اصطلاحاً : -

نظر أهل العلم في تعريف النصيحة نظرة متقاربة في المعنى واللفظ.
ما ذهب إليه الإمام أبو سليمان الخطابي⁽¹⁾ (رحمه الله تعالى) في تعريف النصيحة على أنها : (كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له وهي من وجيز الأسماء ومختصر الكلام

(3) مختار الصحاح /الرازي / مادة غشش ، ج 1 - ص 488 .

(4) المصدر نفسه / مادة خدع ، ج 1 - ص 196 .

وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه) . (2)

وعرف ابن قيم الجوزية (رحمه الله تعالى) النصيحة فقال : (إن النصيحة هي إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذى المنصوح ولائحته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق المريض المشبع ! مرضا وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرتة ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح) (3).

وقال أبو عمرو بن الصلاح (4) (رحمه الله تعالى) في النصيحة إنها : (كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا). (1)

(1) واسمه : حمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان منها المعالم شرح فيها سنن أبي داود والأعلام شرح فيه البخاري وغريب الحديث وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ، ينظر البداية والنهاية / إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء / ج 11 - ص 236 / مكتبة المعارف - بيروت

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي /ج: 2 ص: 37/دار إحياء التراث العربي/ بيروت - الطبعة الثانية 1392هـ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري/احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني /تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب /ج: 1 ص: 138 /دار المعرفة - بيروت 1379هـ ، جامع العلوم والحكم /أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي /ج: 1 ص: 79 /دار المعرفة - الطبعة الأولى / بيروت 1408هـ . ، الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج /عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي /تحقيق . أبي إسحاق الحويني الأثري/ج: 1 ص: 76 /دار ابن عفان /الخبر - السعودية،سبل السلام/محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير/تحقيق .محمد عبد العزيز الخولي / ج: 4 ص: 210 / دار إحياء التراث العربي -الطبعة الرابعة / بيروت 1379هـ . ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي/محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا / ج: 6 ص: 44- 45 /دار الكتب العلمية /بيروت . ، شرح الزرقاني /محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني /ج: 4 ص: 509 / دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى. بيروت . 1411هـ

(3) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة /محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور ب(ابن قيم الجوزية) (691-751 هـ . ت) /ج: 1 ص: 257 /دار الكتب العلمية -بيروت (1395-1975م .

(4) الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي صاحب كتاب علوم الحديث ولد سنة سبع وسبعين وخمس مائة.ينظر تذكرة الحفاظ / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله / ج 4 - ص 1430 / دار إحياء التراث العربي .

وقال المناوي (رحمه الله تعالى) ذهب البعض في تعريف النصيحة إلى أنها : (تحري الإخلاص قولاً وفعلاً وبذل الجهد في إصلاح المنصوح له وهذه الكلمة مع وجازتها في كلامهم ليس شيء أجمع منها).⁽²⁾ بينما يرى الإمام القرطبي (رحمه الله تعالى) والجرجاني أن النصيحة هي: النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد والنصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد⁽³⁾.

قال المروزي⁽⁴⁾ (رحمه الله تعالى) : (قال بعض أهل العلم جماع تفسير النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان وهي على وجهين أحدهما فرض والآخر نافلة فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح بإتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم وأما النصيحة التي هي نافلة فهي إشار محبته على محبة نفسه وذلك أن يعرض له أمران أحدهما لنفسه والآخر لربه فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه ، فأما الفرض منها فمجانبة نهيه وإقامة فرضه بجميع جوارحه ما كان مطيقاً له ، وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض فبذل المجهود بإيثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضل عن غيره وقال المازري⁽⁵⁾ (رحمه الله) عن النصيحة أنها : مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته يقال نصح الشيء إذا خلص ونصح له القول إذا أخلصه له أو مشتقة من النصح وهي الخياطة المنصحة وهي الإبرة والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة ومنه التوبة النصوح كأن الذنب

(1) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقوط/عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو (577-643هـ . ت)// تحقيق . موفق عبد الله عبد القادر / ج: 1 ص: 221/دار الغرب الإسلامي . بيروت - الطبعة الثانية (1408 هـ)، جامع العلوم والحكم / ابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 80 .

(2) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 327

(3) ينظر تفسير القرطبي / ج: 7 ص: 234 . ، التعريفات / علي بن محمد بن علي الجرجاني (740-816هـ . ت)// تحقيق . إبراهيم الأبياري / ج: 1 ص: 309 / دار الكتاب العربي الطبعة الأولى - بيروت 1405 هـ . بتصرف .

(4) واسمه : محمد بن نصر المروزي الفقيه أبو عبد الله ثقة حافظ إمام جبل من كبار الثانية عشرة مات سنة أربع وتسعين ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج: 1 - ص 510

(5) محمد بن علي بن عمر بن محمد ابو عبد الله التميمي المازري - الزاي المفتوحة قبل الرائ - الفقيه المالكي المحدث أحد الأئمة الأعلام ، صاحب كتاب [المعلم بفوائد مسلم] ، الوافي في الوفيات / الصفدي ، ج 1 - ص 502 / تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ج 1 - ص 378 مطبعة السعادة - مصر الطبعة الأولى ، 1371هـ - 1952م .

يمزق الدين والتوبة تخطيطه).⁽¹⁾، وقال بعض العارفين: (النَّصَاحُ الخيط والمنصحة الإبرة والناصح الخائط والخائط هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو نحوه فينتفع به بتأليفه إياه وما ألفه إلا لنصحته والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله وبين خلقه)⁽²⁾ والخلاصة:

بعد هذا يمكن من خلال هذه التعريفات الواضحة أن نخرج منها بخلاصة في معنى النصيحة.

- فأقول عن النصيحة: أنها كلمة من وجيز الأسماء ومختصر الكلام جمعت بين عناية القلب للمنصوح له ببذل الجهد في إصلاحه بصورة الإحسان إليه بدافع الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وبين حيازة الحظ للمنصوح له بإخلاص النية والعمل بلم شعته بالنصح بصورة التأليف بينه وبين ما فيه سعادته عند الله تعالى. والله اعلم.

- هذا ويلاحظ أن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، هي علاقة في سد النقص، وتخليص النفس من الشوائب، فكما أن نصح الثوب هو خياطته، ونصح العسل هو تخليصه مما يشوبه، كذلك فإن نصح المرء في تكميل نفسه، وتصفية نفسه مما علق بها من الشوائب والذنوب.

وإذا نظرت إلى حقيقة النصيحة وجدت أنها على ضربين:⁽³⁾

1- تكميل نقص: وهذا في حق العباد الذين يصيبهم النقص، وتقع منهم الأخطاء والذنوب والآثام، ويحصل منهم التقصير.

2- وصف بالكمال: وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق النبي صلى الله عليه وسلم.

- إذا نظرت في معنى النصيحة وجدت أن لها ثلاثة أركان هي:

(1) تعظيم قدر الصلاة/محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله/تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي/ج: 2 ص: 691/مكتبة الدار - المدينة المنورة/الطبعة الأولى، 1406. فتح الباري/لابن حجر / ج: 1 ص: 138، جامع العلوم والحكم/ابن رجب الحنبلي/ج: 1 ص: 79، الإيمان لابن منده/محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده/تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقهي/ج: 1 ص: 423/مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة الثانية، 1406.

(2) فيض القدير / المناوي/ج: 3 ص: 556.

(3) فقه النصيحة، محمد أبو صغيليك، ص 2-3، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1995م

- 1- الناصح: وهو الذي ينصح غيره.
- 2- المنصوح: وهو الذي ينصحه غيره.
- 3- المنصوح به: وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح .

المبحث الثاني

النصيحة وأهميتها وأدلتها من القرآن الكريم .

الناظر في كتاب الله تعالى والمتدبر لآيات القرآن الكريم والباحث عن حقيقة النصيحة في الكتاب الهادي الذي جعله الله مشكاة الهداية للبشرية يجد أن النصيحة في كتاب الله جاءت

على سبيل التصريح تارة وعلى سبيل التلميح تارة أخرى ، وهي كثيرة ليس المجال هنا لبسطها بشكل كافٍ لذا أخذنا نماذج مختارة للإشارة إليها فقط ، وصنفناها على مطلبين .

المطلب الأول : ما جاء بـ " لفظ " النصيحة .

إن مما يؤكد فضل النصيحة وأهميتها أنها أخذت حيزاً واسعاً وكافياً في كتاب الله عز وجل ، حيث ذكرت النصيحة تصريحاً في كتاب الله عز وجل أكثر من إحدى عشر مرة ، والذي أراه انه يمكن لنا أن نقسم النصيحة تصريحاً إلى أربع أقسام من خلال استعراض واضح لآيات النصيحة في القرآن الكريم .

القسم الأول : النصيحة العامة في القرآن الكريم.

ونقصد بالنصيحة العامة : هي النصيحة التي يقوم بها فرد يقدمها إلى قومه نصيحة عامة بشفقة ومحبة، فهي عائدة إلى كون المنصوح امة من الناس وجماعة من القوم وعلى كون الناصح نبياً مرسلأً من عند الله تعالى ، مؤيداً بالمعجزات فهي خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم لأقوامهم ، حيث كانت النصيحة بحق هي الطريقة الأسمى التي سار عليها الأنبياء من قبل في دعوة أقوامهم ، والمستعرض لقصص الأنبياء في كتاب الله عز وجل، يرى أن الأنبياء عرضوا دعوتهم لأقوامهم ، ونصحوهم نصيحة خالصة ، إما بطريقة مباشرة أو بالإشارة . فقد ذكر الله ، عز وجل ، في كتابه منهج الأنبياء في الدعوة ، وأنها قامت على النصيحة .

فلقد كان تقديم النصيحة رسالة كل رسل الله عليهم السلام، فقد سجّل القرآن الكريم على لسان نوح - عليه السلام - قوله لقومه ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ وقال في موضع آخر من سورة هود : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾ وعلى لسان هود عليه السلام ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾⁽³⁾ وعلى لسان صالح عليه السلام : ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾⁽⁴⁾ وإذا ما قارنا بين نوح وهود عليهما السلام من حيث تكرار النصح نجد نوحاً أكثر نصحاً لقومه

(1) سورة الأعراف - الآية 62

(2) سورة هود - الآية 34

(3) سورة الأعراف - الآية 68

(4) سورة الأعراف - الآية 79

في التكرار ؛ لأن الله اخبرنا عنه انه قال : ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَرًا﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١﴾ بالليل والنهار سرّاً وعلانية، فكان دائماً يكرر لهم النصح، وهذه المسألة هي من الأهمية بمكان ، فإن الله عز وجل أبلغنا أنها كانت وظيفة الرسل ، فهؤلاء هم أنبياء الله عز وجل وصفوة خلقه ، وهم قدوة الناصحين لأقوامهم وأممهم .

وتجد أن سورة الأعراف من السور التي تُعدُّ حجر الأساس في بيان نصيحة الأنبياء وغيرهم⁽²⁾، فقد تكرر لفظ النصيحة في خمسة مواضع من هذه السورة في بيان مقام النصيحة عند أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام بلفظ صريح ومعنى فصيح . و هذا ما سنتناوله في بيان أهمية النصيحة وإيضاح إطلاقات فضلها في هذه السورة وغيرها من السور . ويرى الباحث بعد هذا عرض النصيحة مرتبة حسب الآيات التي جاءت في سياق سورة الأعراف وغيرها لمعرفة دعوة الأنبياء ومنهجهم في النصيحة ومنهم :-

أولاً : نصح نوح عليه السلام لقومه ، حيث قال لهم ناصحاً ، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ⁽³⁾ ، قال الطبري (رحمه الله) : (وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه ولكني رسول من رب العالمين أرسلني إليكم فأنا ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ في تحذيري إياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم إياي وردكم نصيحتي وأعلم من الله ما لا تعلمون من أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين)⁽⁴⁾.

ويرى الباحث أن في هذه الآية مسائل :

أ - منها انه شدد عليهم بقضية التبليغ لرسالات الله كما ذكر ذلك الإمام القرطبي (رحمه الله) في تفسيره ("أُبَلِّغُكُمْ" بالتشديد من التبليغ وبالتخفيف من الإبلاغ وقيل هما بمعنى واحد لغتان مثل كرمه وأكرمه)⁽⁵⁾ وهذه هي مهمة الأنبياء والرسل كما قال تعالى عنهم في موضع آخر ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ⁽⁶⁾ وقال: ﴿قُلْ

(1) سورة نوح-الآية 8-9

(2) كما في قصة أصحاب السبت ، آية 163-164 من سورة الأعراف .

(3) سورة الأعراف - الآية 62

(4) تفسير الطبري / ج: 8 ص: 214

(5) تفسير القرطبي / ج: 7 ص: 234

(6) سورة الأحزاب - الآية 39

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١﴾

ب- ومنها انه بعد أن أطنب وأطال عليهم بقضية التبليغ لرسالات الله امحضهم النصيحة فيها بقوله ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ أي اخلص لكم في الدعوة والنصيحة، فما كان في عرض دعوته لهم شوائب، ولا في نصيحته لهم مثالب. وهذا ما أشار إليه الإمام ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره فقال : (وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً فصيحاً ناصحاً عالماً بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا أيها الناس: "إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأدبت ونصحت فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول: اللهم اشهد اللهم اشهد" (*) (2)

ج - ومنها الشفقة عليهم في نصيحته ودعوته ومعرفته بحاله قومه، وكذا الناصح لا بد أن يشفق على المنصوح ، وأن يعرف حال المنصوح، وأن يقدم النصيحة في جوٍّ من الحب والود والشفقة . وقال نوح عليه السلام لقومه في موضع آخر أيضا : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (3) حيث وصل الحال بنوح عليه السلام وقومه إلى باب مغلق وطريق مسدود في مسألة الهداية بل وصل الأمر بقومه إلى استعجال العذاب بقولهم لنوح عليه السلام : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (4) فقال لهم نوح عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (5) قال الطبري (رحمه الله) : (أي إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره، هو الذي يأتيكم به إن شاء ، ولستم انتم إذا أراد تعذيبكم بمعجزته، أي بفائتيه هرباً منه لأنكم حيث كنتم في ملكه ، وسلطانه ، وقدرته ، وحكمه عليكم جار ، ولا ينفعكم نصحي أي إبلاغي واجتهادي في

(1) سورة النور - الآية 54

* الحديث أخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في صحيحه من حديث طويل عن جعفر بن محمد عن أبيه ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم " 1218 " ج 2 - ص 886

(2) تفسير القرآن العظيم " المشهور بتفسير ابن كثير " / إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (774 هـ . ت) / ج: 2 ص: 224 / دار الفكر / بيروت 1401 هـ

(3) سورة هود - الآية 34

(4) سورة هود - الآية 32

(5) سورة هود - الآية 33

إيمانكم وتحذيري عقوبته ونزول سطوته بكم على كفركم به، إن أردت أن أنصح لكم أي في إبلاغي وتحذيري إياكم لأنكم لا تقبلون نصحاً، إن كان الله يريد أن يغويكم أي إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه ، هو ربكم وإليه ترجعون أي وإليه تردون بعد الهلاك (1).

ثانياً : نصح هود عليه السلام لقومه ، حيث قال لقومه بلسان المشفق وبقلب الناصح الأمين : ﴿ أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (2) قال الطبري (رحمه الله): (يعني بقوله " أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي " أؤدي ذلك إليكم أيها القوم وأنا لكم ناصح في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله فأقبلوا نصيحتي فإني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمني الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت) (3).

ويرى الباحث إن أهم ما اتصف به أنبياء الله عليهم السلام هو البلاغ و النصح والأمانة في أداء الرسالة ، قال الإمام ابن كثير (رحمه الله) : (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل، البلاغ ، والنصح، والأمانة(4)

ثالثاً : نصح صالح عليه السلام لقومه ، حيث دعا صالح عليه السلام قومه بما دعا إليه الأنبياء من قبل فما استجابوا له وما قبلوا بدعوته فتولى عنهم واعرض عن جهلهم عليه وتجنهم على دعوته بعد أن أمعنوا في إيذائه فقال لهم بلسان الناصحين : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (5)

قال الطبري (رحمه الله): (أدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجاً عن أرضهم من بين أظهرهم لأن الله تعالى ذكره أوحى إليه أني مهلكهم بعد ثلاثة . وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره " (6)

(1) تفسير الطبري / ج: 12 ص: 31-32 ، تفسير القرطبي / ج: 9 ص: 28

(2) سورة الأعراف - الآية 68

(3) تفسير الطبري / ج: 8 ص: 216

(4) تفسير ابن كثير / ج: 2 ص: 225

(5) سورة الأعراف - الآية 79

(6) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها ، برقم " 2288 " ج 4 - ص 1791 .

فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا عن امر ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم فقال: " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ " صالح وقال لقومه ثمود " لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي " وأدبت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه " وَنَصَحْتُ لَكُمْ " في أدائي رسالة الله إليكم في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان " وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ " لكم في الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادين لكم عن شهوات أنفسكم (1)

وفي هذه الآية مسائل :

أ- منها ما من نبي ورسول إلا وحمل لقومه البلاغ والنصح وحمل له قومه الصد والأعراض عن البلاغ والنصيحة .

ب- ومنها انه يحتمل انه قال لهم ذلك قبل موتهم وهو الذي يراه الباحث لقوله لهم : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ . ويحتمل أنه قاله بعد موتهم كقوله عليه السلام لقتلى بدر : " هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقليل أتكلّم هؤلاء الجيف فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرّون على الجواب " (2) ولكن الأول هو الأظهر (3)

رابعاً : نصّح نبي الله شعيب عليه السلام لقومه ، فبعد أن دعا قومه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة والطاعة له وحده لا شريك له والوفاء بالكيل والعدل في الميزان وعدم الإفساد في الأرض كان رد قومه عليه وعلى دعوته قاسياً ، بالإخراج والأبعاد تارة ، والإيذاء تارة أخرى ، فتولّى عنهم بعد أن أبلغهم بدعوته ، وامحضهم بنصيحته فقال الله عنه : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (4)

قال الطبري (رحمه الله) : (فأدبر شعيب عنهم شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه قال حزناً عليهم " يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي " ، وأدبت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم " وَنَصَحْتُ لَكُمْ " بأمرّي إياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته " فَكَيْفَ آسَى " يقول فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم وعن ابن عباس

(1) تفسير الطبري / ج: 8 ص: 234

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ، برقم " 3757 " الجامع الصحيح المختصر / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / تحقيق : د. مصطفى ديب البغا / ج 4

- ص 1461 / دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987

(3) ينظر تفسير القرطبي / ج: 7 ص: 242

(4) سورة الأعراف - الآية 93

رضي الله عنه قول " فَكَيْفَ آسَى " يعني فكيف أحزن وعن ابن إسحاق⁽¹⁾ قال: أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نعمة الله ثم قال يعزي نفسه فيما ذكر الله عنه " يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ " (2)

القسم الثاني: النصيحة الخاصة في القرآن الكريم :

ونقصد بالنصيحة الخاصة : هي النصيحة الفردية، أي نصيحة فرد يقدمها إلى منصوح فرد ، بشفقة ومحبة ، فهي عائدة إلى كون المنصوح فرد، ليس بقوم ولا بجماعة ولا بأمة، وعلى أن الناصح ليس نبيا مرسلا إنما عبدا مشفقاً ، فسميتها بالنصيحة الخاصة . ومنها أولاً : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (3)

قال الطبري (رحمه الله) : (جاء من أقصى المدينة يسعى لموسى عليه السلام قال يا موسى: إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ، وروي أن فرعون أمر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر ، فقال: " يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ " أي يتشاورون في ذلك القبطي الذي قتلته بالأمس ، وقيل يأمر بعضهم بعضاً " فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ " أي فاخرج من هذه المدينة إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين⁽⁴⁾ ويرى الباحث في هذه الآية مسائل :

أ- منها أن الله عز وجل أبهم اسم هذا الرجل لحكمة يعلمها هو ، ليكون الضوء على شرف هذه النصيحة الغالية لا على الأسماء والعناوين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء ، وبالحقائق والمعاني ، لا بالالفاظ والمباني والله اعلم .

ب- ومنها أن هذا الرجل الناصح إنما أمر المنصوح (وهو موسى عليه السلام) بهذه النصيحة لمصلحة المنصوح لا لنفع يعود على الناصح من فعل المنصوح ، وهو ما أشار إليه صاحب شرح العقيدة الطحاوية ، بقوله : (فأما إذا قدر أن الأمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور لا لنفع يعود

(1) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المظلي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي صدوق يدلّس ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1

- ص 467

(2) تفسير الطبري / ج: 9 ص: 6

(3) سورة القصص - الآية: 20

(4) تفسير الطبري / ج: 20 ص: 52 ، تفسير القرطبي / ج: 13 ص: 266

على الأمر من فعل المأمور كالناصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للأمر وأن في حصول مصلحة المأمور مضرة على الأمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقال لموسى عليه السلام أن المأى يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج لا في أن يعينه على ذلك إذ لو أعانه لضره قومه ومثل هذا كثير⁽¹⁾

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾⁽²⁾ .

قال الطبري (رحمه الله) : (لما ألقى الله محبة موسى عليه السلام عليهم اخذوا بجمع المراضع له فلا يؤتى بامرأة إلا ويرفض الرضاع منها فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيئا منهم فقالت لهم أخته حين رأت وجدهم وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي يضمونه لكم وهم له ناصحون)⁽³⁾ .

يرى الباحث في هذه الآية جملة من المسائل :

أ - منها أنهم استرابوها وشكوا فيها لما قالت : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ ۖ ﴾ الآية . فقالوا لها وما يدريك لعلك تعرفين أهله فقالت لا ولكنهم يحرصون على مبرة الملك ويرغبون في ظنره...⁽⁴⁾

وقال السدي⁽⁵⁾ وابن جريج⁽⁶⁾ : قيل لها لما قالت وهم له ناصحون قد عرفت أهل هذا الصبي فدلينا عليهم فقالت : أردتُ وهم للملك ناصحون فدلتهم على أم موسى فانطلقت إليها بأمرهم ،

(1) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / ج: 1 ص: 118 / المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الرابعة 1391 هـ

(2) سورة القصص - الآية 12

(3) ينظر تفسير الطبري / ج: 10 ص: 39

(4) الظنرُ بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها الناقاة تعطف على ولد غيرها ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها (ظنَّرت) .. ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي / مادة الظنر ، ج 2 - ص 388 / المكتبة العلمية - بيروت

(5) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال أبو محمد الكوفي صدوق يهم

ورمي بالتنشيع من الرابعة مات سنة سبع وعشرين ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 108

(6) اسمه : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي ، ينظر تهذيب الكمال / يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي / تحقيق : د. بشار عواد معروف / ج 18 - ص 338 / مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، 1400 - 1980

فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه ، وهو يبكي يطلب الرضاع فدفعه إليها فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها⁽¹⁾ .

ب- ومنها أن أخت موسى عليه السلام ، استطاعت بحكمة أن ترد موسى عليه السلام وهو الطفل الرضيع إلى أمه ، بأسلوب من النصيحة عجيب حيث استطاعت أن تجمع بين قدرتها على الإقناع والتورية في آن واحد والله اعلم .

ت- ومنها انه ما اقتنع فرعون ومن معه في بيته، بأن تأتي أخت موسى عليه السلام لهم بأمه ، إلا بعدما دخلت عليه أخت موسى عليه السلام من باب النصيحة .

القسم الثالث :النصيحة الكاذبة .

والمراد بالنصيحة الكاذبة: أن يظهر للناس بمظهر المصلح الناصح المشفق، لكنه يبطن خلاف ما يظهر ،وهي طريقة الشيطان الرجيم وأتباعه في الغواية، أن يلبس المعصية والإثم ثوب الصلاح ، ويظهر للناس بمظهر الناصح المخلص، ولنصيحة الكاذبة نماذج نذكر منها :

أولا : قوله تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽²⁾

قال الثعالبي : (حلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله حائثا)⁽³⁾

ويرى الباحث في هذه الآية جملة من المسائل :

أ- منها أن الشيطان حلف لهما على النصيحة بقوله : "وَقَاسَمَهُمَا" قال قتادة حلف بالله لهما حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله ، كان بعض العلماء يقول "من خادعنا بالله خدعنا" وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم)⁽⁴⁾ وقال بعد أن حلف

(1) ينظر تفسير القرطبي / ج13/ ص: 257 - 258

(2) سورة الأعراف -آية 21

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي/ ج 1 - ص 52 / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .

(4) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ، مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، برقم "9107" ج 2 - ص 394 ، " قال الأرنؤوط : حديث حسن له طريقين يتقوي بمجموعهما " ، مؤسسة قرطبة - القاهرة / سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، كتاب الآداب ، باب حسن العشرة ، برقم "4790" / ج 2 - ص 665 دار الفكر ، الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، كتاب البر والصلة ، باب البخيل ج: 4 ص: 344 ، " قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " . دار إحياء التراث العربي - بيروت ، قال ابن الجوزي : وعبد الله بن

واقسم " إِنِّي لَكُـمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ " ومعنى الكلام أتبعاني أرشدكما ففر آدم وزوجه باليمين كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنه بقوله (غريهما باليمين وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذبا فغريهما بوسوسته وقسمه لهما) فأجرأهما على المعصية فخرجا من الجنة ⁽¹⁾

ب- ومنها أن النصح خلق كريم : (لذا كان من أساليب الباطل أن يظهر نفسه للناس بمظهر الناصح الأمين إسوة بالشيطان في إغراء آدم وزوجه بالمعصية ، قال تعالى: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُـمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) ⁽²⁾) (أي حلف : بالله على ذلك حتى خدعهما فلا قيمة لاسم الله العظيم في حس الشيطان وأوليائه) ⁽³⁾

ثانيا : قوله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ ⁽⁴⁾

قال الطبري (رحمه الله) : (قال إخوة يوسف - إذ تآمروا بينهم وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب - لوالدهم يعقوب يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء ونحن له ناصحون) ⁽⁵⁾ ، فقد تكون النصيحة خداعة وكذابة فلا يغرنك صاحبها وان قرب ، واعرف عدوك تنجو منه ، فهاهم إخوة يوسف ادعوا النصيحة ليوسف عليه السلام وهم يريدون قتله .

وفي هذه الآية جملة من المسائل يراها الباحث :

أ- منها أن الحسد يدفع بصاحبه إلى الكذب والاحتيال في النصح قال القرطبي (رحمه الله) :
لذا قيل : لله در الحسد ما اعدله بدا بصاحبه فقتله

حسين قد ضعفه أبو زرعة وأما خارجة فقال يحيى ليس بشيء وقال ابن حبان لا يحل الإحتجاج بخبره قلت " ابن الجوزي " وقد روي من طريق أصلح من هذا لا بأس بها قد ذكرتها في شرح الشهاب. ينظر : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : خليل الميس ، ج: 2 ص: 599، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1403.

⁽¹⁾ ينظر تفسير القرطبي / ج: 7 ص: 179 - 180 ، الدر المنثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / ج: 3 ص: 431 - دار الفكر - بيروت ، 1993م عدد الأجزاء : 8

⁽²⁾ سورة الأعراف - الآية 21

⁽³⁾ المنهاج الإسلامي / د . هاشم محمد علي / قدم له عبد الله عقيل سليمان العقيل / ص 321- / الدوحة / دار الثقافة، 1996م

⁽⁴⁾ سورة يوسف - الآية 11

⁽⁵⁾ تفسير الطبري / ج: 12 ص: 157

وقال منصور الفقيه⁽¹⁾:

ألا قل لمن ظل لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه إذ أنت لم ترض لي ما وهب
ويقال الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في
السماء فحسد إبليس لآدم ، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل
وقال أبو العتاهية⁽²⁾ في الناس :

فيارب إن الناس لا ينصفونني فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شئ تصدوا لأخذه وإن شئت أبغي شينهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتني نكبة فكها بها وإن صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي أن يحن إليهمو وأحجب عنهم ناظري وجفوني⁽³⁾

وقيل للحسن⁽⁴⁾ رضي الله عنه : أيحسد المؤمن ؟ قال ما أنساك ببني يعقوب؟ ولهذا قيل " الأب
جلاب والأخ سلاب " فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده ، بضرب من الاحتيال في
النصح وقالوا ليعقوب ﴿ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (*)⁽⁵⁾

ب- منها إن إخوة يوسف عليه السلام لما تفاوضوا وافترقوا على رأي المتكلم الثاني عادوا إلى
يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول وفيه دليل على أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم
يوسف فأبى يعقوب عليه السلام ، وقولهم " وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ " أي في حفظه وحيطته حتى نرده
إليك.⁽⁶⁾

(1) واسمه : منصور بن اسماعيل بن عمر أبو الحسن الفقيه كان أدبيا فهما عاقلا حاد المناظرة وصنف
المختصرات في الفقه على مذهب الشافعي .. / المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / عبد الرحمن بن علي بن
محمد بن الجوزي أبو الفرج/ ج 6 - ص 152 / دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ، 1358
(2) اسمه إسماعيل بن القاسم ، ينظر لسان الميزان/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/
تحقيق : دائرة المعارف النظامية - الهند/ ج 7 - ص 79 / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة
الثالثة ، 1406 - 1986

(3) ينظر تفسير القرطبي /ج: 5 ص: 251

(4) هو الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد سيد زمانه إمام أهل البصرة بل إمام أهل العصر ،
ينظر الوافي في الوفيات/ الصفدي /ج 1 - ص 1723

* سورة يوسف ، الآية (11)

(5) ينظر تفسير القرطبي /ج: 9 ص: 138

(6) تفسير القرطبي /ج: 9 ص: 138

القسم الرابع : النصيحة الصادقة .

اقصد بالنصيحة الصادقة ما جاءت متعلقة بتكاليف شرعية عائدة إلى العباد فنصحوا الله بتطبيقها كما جاءت وتعبدوا لله بها كما أمر وألزم سبحانه دون زيادة ونقصان وصدقوا الله في إتمامها على وجهها و بهذا الاعتبار سميت بالنصيحة الخالصة ومنها .

1- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾

قال الإمام الطبري (رحمه الله): (انه ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج وهو الإثم يقول ليس عليهم إثم إذا نصحوا الله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ " يقول ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جهاد معه لعذر يعذر به، طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله ، " وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " يقول والله سائر على ذنوب المحسنين يتغمد بها بعفوه لهم عنها ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها، وذكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني⁽²⁾ وقال بعضهم في عبد الله بن مغفل^(*)⁽³⁾

ويرى الباحث أن هذه الآية جمعت بين أصول ثلاث :

الأصل الأول : أن هذه الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه ، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال، بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾⁽⁴⁾ ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽⁵⁾ وقوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى

(1) سورة التوبة - الآية 91 .

(2) أبو هبيرة عائذ بن عمرو المزني ممن بايع تحت الشجرة ، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 7 - ص 424 .

* عبد الله بن مغفل بن عبد غنم ... قال البخاري له صحبة سكن البصرة وهو أحد البكائين في غزوة تبوك وشهد بيعة الشجرة ، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 4 - ص 242

(3) تفسير الطبري / ج: 10 ص: 211.

(4) سورة التوبة - الآية : 91.

(5) سورة البقرة - الآية : 286

الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴿١﴾ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيراً ، ولا أنفقتهم من نفقة ، ولا قطعتم من واد ، إلا وهم معكم فيه ، قالوا يا رسول الله وكيف وهم بالمدينة ؟ قال حبسهم العذر " (٢) . فبيّنت هذه الآية مع ما ذكرنا من نظائرها أنه لا حرج على المعذورين ، وهم قوم عرف عذرهم كأرباب الزمانة والهزم والعمي والعرج ، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون . (٣)

الأصل الثاني : أن هذه الآية اشترطت أصلاً ثانياً لتحقيق الأصل الأول بقوله (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) المعنى انه ليس على هؤلاء الضعفاء حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، أي إذا عرفوا الحق وأحبوا أوليائه ، وأبغضوا أعداءه ، فمن تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه ، بشرط أن يكون ناصحاً لله ورسوله في تخلفه ، فإن المنافقين كانوا يظهرون الأعذار كاذبين ويتخلفون عن الجهاد . (٤)

قال القرطبي (رحمه الله): (قال العلماء فعذر الحق سبحانه اصحاب الأعذار وما صبرت القلوب فخرج ابن مکتوم (٥) "رضي الله عنه " إلى أحد وطلب أن يعطى اللواء فأخذه مصعب بن عمير "رضي الله عنه " فجاء رجل من الكفار فضرب يده التي فيها اللواء فقطعها فأمسكه باليد الأخرى فضرب اليد الأخرى فأمسكه بصدرة وقرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (٦) هذه عزائم القوم وعمرو بن الجموح "رضي الله عنه " من نقباء الأنصار كان أعرج وهو في أول الجيش قال له الرسول عليه السلام : إن الله قد عذرك فقال والله لأطأن بعرجتي

(١) سورة النور - الآية : 61

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بلفظ " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر " كتاب المغازي ، باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ، برقم " 4161 " ج 4 - ص 1610

(٣) ينظر تفسير القرطبي / ج: 8 ص: 226

(٤) ينظر جامع العلوم والحكم / ابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 78

(٥) وعبد الله بن عمرو بن شريح هو بن أم مكتوم سماه ونسبه هكذا بن إسحاق ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 4 - ص 192

(٦) سورة آل عمران - الآية : 144

هذه في الجنة ⁽¹⁾... وقال عبد الله بن مسعود " رضي الله عنه " : " ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين ⁽²⁾ حتى يقام في الصف " (*) . ⁽³⁾

الأصل الثالث : أن هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن أيضا بقوله : (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) قال المروزي : (فسامهم محسنين لنصيحتهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بأنفسهم ، وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ولا يرفع عنه النصح لله لو كان من المرض بحال لا يمكنه أن يعمل بشيء من جوارحه بلسان ولا غيره ، غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه ، وهو أن يندم على ذنوبه ، وينوي إن يصح أن يقوم بما افترض الله عليه ، ويتجنب ما نهاه عنه ، وإلا كان غير ناصح لله بقلبه وكذلك النصح لله ولرسوله فيما أوجبه على الناس على أمر ربه) ⁽⁴⁾.

2- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ⁽⁵⁾

قال الطبري (رحمه الله) : (أي يا أيها الذين صدقوا الله توبوا إلى الله أي ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله وإلى ما يرضيه عنكم توبة نصوحا أي رجوعا لا تعودون فيها أبدا) ⁽⁶⁾ .
يرى الباحث في الآية جملة من المسائل :

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، سنن البيهقي الكبرى / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي/تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ج 9 - ص 24 ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 - 1994 ، قال الألباني : "إسناده حسن إن كان الأشياخ من الصحابة، وإلا فهو مرسل " ، ينظر فقه السيرة /محمد ناصر الدين الألباني /ص262/ دار القلم ، الطبعة السابعة - سنة 1418 هـ .

(2) (يهادى بين رجلين) أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب صلاة الجماعة ، ج 1 - ص 453

* الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ، برقم " 654 " ، ج 1 ، ص 453 .

(3) تفسير القرطبي /ج: 8 ص: 226

(4) تعظيم قدر الصلاة / للمروزي / ج: 2 ص: 691 - 692

(5) سورة التحريم - الآية 8

(6) تفسير الطبري / ج: 28 ص: 167

1. منها أن هذه الآية تضمنت مسألتين :

الأولى : قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً﴾ الآية . أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان .

الثانية : قوله تعالى : ﴿تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ الآية . وهنا اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً . وسنذكر بعضاً منها :

- عن قتادة رضي الله عنه في قوله : توبة نصوحاً قال : النصوح الصادقة الناصحة.(1)

- وقال الحسن البصري رضي الله عنه: النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره (2)

- وقال سعيد بن جبیر (3) رضي الله عنه: هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط خوف ألا تقبل ورجاء أن تقبل وإدمان الطاعات (4).

- وقال القرطبي (5) رحمه الله : يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان (6).

- وقال الفضيل بن عياض (7): هو أن يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كأنه ينظر إليه (8).

- وقال أبو بكر الوراق (1) رحمه الله : هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك

(1) الدر المنثور / الإمام السيوطي / ج 8 - ص 227

(2) ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج 11 - ص 104

(3) سعيد بن جبیر الأسدي مولا هم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلّة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 234

(4) ينظر تفسير القرطبي / ج 18 - ص 174

(5) واسمه : محمد بن كعب القرظي حليف الأنصار تابعي مشهور ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 6 - ص 345

(6) ينظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / تحقيق : محمد حامد الفقي / ج 1 - ص 310 / دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ، 1393 - 1973

(7) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد الخراساني ، ينظر تهذيب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / ج 8 - ص 264 / دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ، 1404 - 1984

(8) تفسير القرطبي / ج 18 - ص 174

نفسك كالثلاثة(*) الذين خلفوا (2) .

- وقال الجنيد (3) رحمه الله : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً لأن من صحت توبته صار محباً لله ، ومن أحب الله نسي ما دون الله (4). وقيل فيها غير ذلك

2. ومنها أن التوبة النصوح إما أن تكون متعلقة بحق الله أو بحق العباد .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (فإن كانت متعلقة بحق لله كترك صلاة فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها ، وهكذا إن كان ترك صوماً أو تفريطاً في الزكاة وإن كان ذلك قتل نفس بغير حق فأن يمكن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوباً به ... فإن كانت متعلقة بمظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه عينا كان أو غيره إن كان قادراً عليه) (5). واستحل ممن لم يستطع ردّ الحق إليه .

المطلب الثاني : ما جاء بـ " معنى " النصيحة .

هي ما جاء فيها معنى النصح ظاهراً وواضحاً وجلياً ولكن لم يصرح فيها بلفظ النصيحة ومفرداتها وهي كثيرة في كتاب الله سنقتصر على ذكر أهمها وعلى اخذ نماذج منها حتى لا يطول بنا المقام ومن هذه النصائح:

أولاً : نصيحة إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك :

يقول الله سبحانه وتعالى وهو يذكر نصيحة إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

(1) محمد بن يحيى بن سليمان المروزي أبو بكر الوراق نزيل بغداد صاحب أبي عبيد صدوق من الحادية عشرة مات سنة ثمان وتسعين على الصحيح ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 512

* ذكر ابن كثير في تفسيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سورة التوبة - الآية : 118 ، قال : هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار ، ينظر تفسير ابن كثير / ج 2 - ص 522

(2) تفسير القرطبي / ج 18 - ص 174

(3) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاري ويقال له القواريري أصله من نهاوند ولد ببغداد ونشأ بها وسمع الحديث من الحسين بن عرفة وتفقه بأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة ، ينظر البداية والنهاية / لابن كثير / ج 11 - ص 113

(4) تفسير القرطبي / ج 18 - ص 174

(5) المصدر نفسه / ج : 18 ص : 199-200

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤﴾ (١) ، ويلاحظ هنا أن إبراهيم عليه السلام سلك في دعوته لأبيه أحسن منهاج ، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل ، لئلا تأخذه العزة بالإثم ... كما انه لم يصف أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بقوله : ﴿٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴿٣﴾ الآية .. بل أشفق على أبيه من سوء العاقبة بقوله ﴿٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴿٤﴾ ولم يخلو هذا التخويف من حسن الأدب ويلاحظ أن إبراهيم صدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله (يَا أَبَتِ) توسلا إليه واستعطافا (٢) وهذا أسلوب قيم للأنبياء في نصيحتهم لأقوامهم ، قال ابن المبارك (٣) في أدب الدعاة وأدب النصيحة (٤) :

إذا صاحبت قوما أهمل ود فكن لهم كذي الرحم الشفيق
بعيب النفس ذا بصر وعلم غني النفس عن عيب الرفيق
ولا تأخذ بعثرة كل قوم ولكن قل لهم إلى الطريق
فإن تأخذ بعثرتهم يقلوا وتبقى في الزمان بلا صديق

ثانيا : نصيحة هابيل لقابيل عندما همّ بقتله :

قال تعالى : ﴿١﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ (٥)

(١) سورة مريم - الآية 41-44

(٢) ينظر المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة / د. عبد الكريم زيدان / ج 1 ص 195 / مؤسسة الرسالة

(٣) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 320

(٤) مختصر تاريخ دمشق / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (المتوفى : 711هـ) / ج 1 ص 1887 - المناسبة (سأل حاتم بن عبد الله العلاف ابن المبارك حين أراد الخروج إلى مكة فقال : أما توصينا ؟ فأنشدهم هذه الأبيات ..)

(٥) سورة المائدة - الآية 27-28-29

قال ابن الجوزي ⁽¹⁾ رحمه الله : قوله تعالى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك فيه قولان: أحدهما ما أنا بمنتصر لنفسي قاله ابن عباس والثاني ما كنت لأبتدئك قاله عكرمة ⁽²⁾. وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان : أحدهما : أنه منعه التخرج مع قدرته على الدفع وجوازه له قاله ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما .

والثاني : أن دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزا قاله الحسن ومجاهد قوله تعالى: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فيه قولان : أحدهما : إني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك هذا قول ابن مسعود وابن عباس .. والثاني : أن تبوء بإثمي في خطاياي وإثمك في قتلك لي وهو مروي عن مجاهد أيضا قال ابن جرير والصحيح عن مجاهد القول الأول . وفي هذه الآيات جملة من المسائل : أ- فيه حسن تقديم النصيحة من هابيل لقابيل عندما أراد قتله .

ب- قال القرطبي رحمه الله : (أن الشر قديم ، والحسد دفين مبدؤه من قتل قابيل هابيل ، عندما قربا قربانا وكان قربان قابيل حزمة من سنبل لأنه كان صاحب زرع واختارها من أرواء زرعه ثم إنه وجد فيها سنبل طيبة ففركها وأكلها ، وكان قربان هابيل كبشا ، لأنه كان صاحب غنم ، أخذه من أجود غنمه ، فتقبل فرفع إلى الجنة فلم يزل يرعى فيها ، إلى أن فدى به الذبيح عليه السلام ، فلما تقبل قربان هابيل لأنه كان مؤمنا قال له قابيل حسدا لأنه كان كافرا: أتمشى على الأرض يراك الناس أفضل مني لأقتلنك قاله ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما) ⁽³⁾ فمن هنا جاءت رسائل نصح ومودة وتذكير من هابيل لقابيل .

(1) ينظر زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي/ ج 2 - ص 334-335 /المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ، 1404

(2) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 397 .

(3) ينظر تفسير القرطبي / ج: 6 ص: 134

ت- فيه (اتقاء الشر بإجماع أهل السنة بقوله : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ لما قال له قابيل لأقتلنك قال له ولم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني .. وإنما يتقبل الله من المتقين .. فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة⁽¹⁾)

ث- قال القرطبي (رحمه الله) : (ووجه النصيحة بقوله "لئن قصدت قتلي فأنا لا أقصد قتلك" فهذا استسلام منه .. فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كن كخير ابني آدم وتلا هذه الآية : ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني﴾ الآية "⁽²⁾ ... قال علماؤنا وذلك مما يجوز ورود التعبد به إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعا، وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر .. وقال عبد الله بن عمرو كان هابيل أشد قوة من قابيل ولكنه تخرج قال ابن عطية⁽³⁾ وهذا هو الأظهر... فتخرج فقال "لئن بدأت بقتلي فلا أبدأ بالقتل" وقيل أراد لئن بسطت إلي يدك ظلما فما أنا بظالم إني أخاف الله رب العالمين وقوله ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾ قيل معناه معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار) . فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول

(1) المصدر نفسه / ج: 6 ص: 135

(2) أخرجه الإمام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان : مسند أحمد ، ج 4 - ص 416 : " قال الارنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن ثروان وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين " سنن أبي داود ، ج: 4 ص: 100 برقم: 4259 ، سنن الترمذي ، ج 4 - ص 486 برقم 2194 ، سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج: 2 ص: 1310 برقم : 3961 ، دار الفكر - بيروت ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ج: 13 ص: 297 برقم : 5962 ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ، 1414 - 1993 وقال صاحب تحفة المحتاج : الحديث رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب وقال الشيخ تقي الدين في آخر الاقتراح إنه على شرط البخاري ينظر تحفة المحتاج / عمر بن علي بن احمد الوادياشي الاندلسي " 723 - 804) / تحقيق / عبد الله بن سعاف اللحاني ، (برقم : 1612 ج: 2 ص: 494) ، دار حراء ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، سنة 1406 هـ .

(3) الإمام الحافظ المتقن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي، تذكرة الحفاظ / الذهبي / ج 4 - ص 1269

؟ قال : (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)⁽¹⁾ وكأن هايل أراد أني لست بحريص على قتلك فالإثم الذي كان يلحقني لو كنت

حريصا على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي))⁽²⁾

ج- ذكره بان المعتدي يحمل إثم نفسه وإثم من اعتدى عليه ، وانه بهذين الإثمين يكون من أصحاب النار وهذا جزاء كل ظالم⁽³⁾.

ثالثا : النصيحة في قصة أصحاب السبت.

كما جاء ذكر النصيحة في سورة الأعراف بأسلوب الإشارة في قصة أصحاب السبت فقال الحق جل جلاله : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿ (4)

قال ابن كثير (رحمه الله) : يخبر تعالى عن أهل هذه القرية (قرية إبله) أنهم صاروا إلى ثلاثة فرق، فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطيد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة " لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا " أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا من الله، فلا فائدة في نهيكهم إياهم، قالت لهم المنكرة " مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ " أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " يقولون ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم ، قال تعالى " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ " أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة " أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، كتاب الإيمان ، باب ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ ، برقم " 31 " ج 1 - ص 20 ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، برقم " 2888 " ج 4 ص 2213 .

(2) ينظر تفسير القرطبي / ج: 6 ص: 136-137 بتصرف

(3) ينظر المستفاد من قصص القرآن / د. عبد الكريم زيدان / ج 1 ص 109

(4) سورة الأعراف من آية - 163 - إلى آية - 166

ظَلَمُوا " أي ارتكبوا المعصية " بِعَذَابٍ بَيِّسٍ " فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين، لأن الجزء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أم من الناجين ، وقال علي بن أبي طلحة⁽¹⁾ عن ابن عباس : فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا " لم تعظون قوما الله مهلكهم .."والذين قالوا " مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ "وأهلك الله أهل معصيته ...

فجعلهم قردة (*) . (2)

وفي هذه الآيات جملة من المسائل :

أ- منها لا بد للمسلم أن يسعى في بذل النصيحة ، وذلك لإبراء الذمة بين يدي الله سبحانه وتعالى كما فعلت الطائفة الناصحة والناهيّة عن المنكر بقولهم (قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الآية

(1) علي بن أبي طلحة مولى بنى هاشم سكن الشام كنيته أبو الحسن واسم أبي طلحة سالم يروى عن مجاهد وأبي الوداك روى عنه داود بن أبي هند وراشد بن سعد ومعاوية بن صالح وهو الذي يروى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره ، ينظر الثقات / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي/تحقيق : السيد شرف الدين أحمد/ ج 7 - ص 211 /دار الفكر الطبعة الأولى ، 1395 - 1975.

* واختلف أهل العلم ..في هذا الأمر : هل مسخوا حقيقة ..قال الإمام الألويسي رحمه الله في تفسيره : " ظاهر القرآن أنهم مسخوا قردة على الحقيقة وعلى ذلك جمهور المفسرين وهو الصحيح وذكر غير واحد منهم أنهم بعد أن مسخوا لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ولم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام وزعم مقاتل أنهم عاشوا سبعة أيام وماتوا في اليوم الثامن وأختار أبو بكر بن العربي أنهم عاشوا وأن القردة الموجودين اليوم من نسلهم ويرده ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ إن الله تعالى لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وروى ابن جرير عن مجاهد أنه ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فلا تقبل وعظا ولا تعي زجرا فيكون المقصود من الآية تشبيههم بالقردة كقوله : إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلداً و كونوا على الأول ليس بأمر حقيقة لأن صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم بل المراد منه سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد من غير إمتناع ولا لبث وعلى الثاني يكون الأمر مجازاً عن التخلية والترك والخذلان كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : أصنع ما شئت وقد قرره العلامة في تفسير " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ محمود الألويسي أبو الفضل /ج 1 - ص 283 / دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(2) ينظر تفسير بن كثير /ج: 2 ص: 258-259

ب- منها أن النجاة كانت للفرقة الناصحة الناهية ،والهالك كان للفرقة التي أبت قبول النصيحة، وسكت الله عن الفرقة التي لم ترتكب المنكر ولم تنه عنه، ولم تتقدم بالنصيحة إلى بني قومها.

رابعا : النصيحة في قصة أصحاب القرية

قال تعالى . ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٤﴾ إِنَّ لِي فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ ⁽¹⁾، وكان من خبر القرية التي جاءها المرسلون والتي نتكلم عنها أن آمن رجل منهم بالمرسلين ،فحملة إيمانه على أن يأتي من أقصى المدينة ،حيث كان مسكنه هناك ،ليدعو قومه وينصحهم إلى الإيمان بما آمن به ،لأنهم على الحق وما جاءوا به هو الهدى والحق، ثم احتج عليهم بقوله (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ)، قال ابن كثير⁽²⁾ : (أي على إبلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له) وفي هذه الآيات جملة من المسائل :

أ- فيه استجابة رجل من أهل القرية للرسول، وتأييده لدعوتهم علانية ، يعد نصراً وانتصاراً له ولهم، لذلك كان رد أهل القرية عنيفا تجاهه .

ب- جمع في قوله سبحانه ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ بين إظهار النصيحة في قوله ﴿ اتَّبِعُوا ﴾ وإظهار الأيمان في قوله ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وقدم النصيحة على الأيمان لكونه ابلغ في النصح .⁽³⁾

ت- في قوله : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ معنى حسن لطيف ، واستخدام لأحسن الأساليب في النقاش والجدال والإقناع ، حيث نزل فيه درجة لإقناعهم . وكأنه يقول لهم : افترضوا أنهم ليسوا مرسلين ولا هداة ، ولكنهم مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة التي توصلهم إلى الحق، ثم هم لا يسألونكم أجرا ولا مالا. وهذا أسلوب رفيع في النصح والدعوة⁽⁴⁾

ث- فيه منهجية فريدة⁽⁵⁾ في النصح ترتبت على الشكل الآتي :

(1) سورة يس من آية 20- إلى آية 27

(2) تفسير ابن كثير / ج 3 - ص 749

(3) ينظر فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم / علي محمد الصلابي / ص29 / دار المعرفة -بيروت -

لبنان - الطبعة الثالثة 1437-2006م

(4) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم / ص.29

(5) المصدر نفسه / ص 30 بتصرف .

- صدق الدعوة وحسن النصح .

-إخلاص التوجه وسلامة القصد .

-الحرص على الهداية لقومه .

-ظهور الشجاعة في المواجهة .

-ترتيب الأفكار وقوة المنطق .

ج- فيه انه بلغ به النصح لقومه مبلغه ، حيث انه نصحهم في حياته وبعد موته كما قال ابن عباس رضي الله عنه : (نصح قومه حياً وميتاً ، ورفع القشيري فقال : (وفي الخبر أنه عليه السلام قال في هذه الآية : إنه نصح لهم في حياته وبعد موته)⁽¹⁾ ، في حياته بقوله ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ، وبعد مماته بقوله ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ فأني نصح جعله يتمنى أن ينعم قومه بما يتنعم به ، على الرغم من أنهم اجتمعوا على قتله والتمثيل به ، كما أن في تمنيه أن يعلم قومه بما حصل له من كرامة الله ، تنبيه شديد على وجوب كظم الغيظ عند النصيحة ، والحلم عن أهل الجهل والشر والبغي .

ح- فيه درس بليغ في النصح، انه ابرز كلامه معهم في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم، ويداريهم ليقبلوا منه نصحه .

خامساً : نصيحة النملة إلى بني جنسها .

قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾⁽²⁾

قال ابن الجوزي (رحمه الله) : قالت نملة .. أي صاحت بصوت فلما كان ذلك الصوت مفهوما عبر عنه بالقول ، ولما نطق النمل كما ينطق بنو آدم أجري مجرى الآدميين ، ف قيل : " ادْخُلُوا " وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان معجزة له وقد ألهم الله النمل كثيرا من مصالحها تزيد به على الحيوانات ، فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعيتين لثلاث تنبت ، إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعيتين فسبحان من ألهمها هذا⁽³⁾ .

(1) تفسير القرطبي / ج: 15 ص: 20

(2) سورة النمل - الآية - 18 - 19

(3) زاد المسير / ابن الجوزي / ج 6 - ص 161

وفي هذه الآيات جملة من المسائل :

أ- فيه دلالة على فطنة النملة (كما نص الله عز وجل في كتابه من قولها لجماعة النمل ، وقد رأت سليمان عليه الصلاة والسلام وجنوده " يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " فسر سليمان عليه السلام بما كان من أمر قولها " وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " إشارة منها إلى الدين والعدل والرأفة)⁽¹⁾ .

ب- قال ابن القيم (رحمه الله) : (قدمت النملة لقومها نصيحة بعشرة أنواع من الخطاب النداء والتنبيه والتسمية والأمر والنص والتحذير والتخصيص والتفهيم والتعميم والاعتذار ، فاشتملت نصيحتها مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة ، ولذلك أعجب سليمان قولها وتبسم ضاحكا منه وسأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه ، لما سمع كلامها ، ولا تستبعد هذه الفطنة من أمة من الأمم تسبح بحمد ربها كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرجه ثم احرق قرية النمل ، فأوحى الله إليه : من أجل أن لدغتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فهلا نملة واحدة " (*))⁽²⁾

خ- وفيه إشعار باهتمامها بأمر جماعتها ، باعتبارها واحدة من هذه الجماعة وليست أميرة عليها ، وكان يسعها أن تنجو بنفسها من سليمان وجنوده ... وتدع بني جنسها من النمل وشانهم ولكنها لم تفعل ذلك ، بل قامت بتحذيرهم مع بيان وجه هذا التحذير ، مما يدل على شعورها بالمسؤولية نحوهم فعلى الدعاة .. أن يشعروا بما شعرت به (نملة) نحو بني جنسها من ضرورة الاهتمام بهم وأمرهم بما يدفع الشرور عنهم ..)⁽³⁾

سادسا : نصيحة فرعون لقومه .

(1) تفسير القرطبي / ج: 13 ص: 170

* متفق عليه ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ، كتاب بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ، برقم " 3141 " ج 3 - ص 1206 ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ أيضا ، كتاب السلام ، باب النهي عن قتل النمل برقم " 2241 " ج 4 - ص 1759

(2) ينظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم الجوزية) (691-751 هـ) ج: 1 ص: 243 / دار الكتب العلمية / بيروت

(3) ينظر المستفاد من قصص القرآن / د. عبد الكريم زيدان / ج 1 ص 425

قول فرعون لقومه ناصحا من موسى ودعوته: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (1).

قال ابن كثير (2): وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى إلى قتل موسى عليه الصلاة والسلام أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا وليدع ربه أي لا أبالي به وهذا في غاية الجحد والتهجم والعناد وقوله قبحه الله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ يعني يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم ، وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام .
تعليق على الآيات .

أ- فيه إظهار النصح والشفقة بأسلوب الاتهام والهجوم، وهي طريقة أهل الباطل أن يتهم الآخرين بالذي يجده في نفسه، فالفاسد والخادع يتهم الآخرين بالفساد والخداع ، لطمس الحقائق كما قيل: (رمتني بدائها وآنسلت).

ب- وفيه دعوى الإصلاح والفساد في منطق الطغاة: الطغاة يعتبرون أنفسهم هم المصلحون، وهم الغيارى والناصحون، والقوام على مصلحة الشعب، ويعتبرون الدعاة إلى الله مفسدين يجب إخماد أنفاسهم، وهذا منهج قديم ومنطق معروف.. فلا يعجب منه الدعاة (3)

ت- فيه التمثيل لدور الناصح كذبا وزورا ولو كان أحد يستحق جائزة التمثيل في النصح، لكان أولى بها فرعون الطاغية السفاك المجرم وأتباعه، ومن على شاكلته في هذا الزمان الذين لبسوا للناس ثوب الصلاح، وارتقوا منصة النصح بدعوى الحرص على شعوبهم ، وهم في الحقيقة سراق وقطاع طرق .

ث- فيه أن من أساليب أهل الباطل قديما وحديثا استخدام النصيحة في تبرير فسادهم ، والتملق بالنصح كذبا وزورا لتمرير مخططاتهم على الأمة، والضحك على الذقون، والارتقاء على الأكتاف بدعوى الحرص والنصيحة، وما زالت يده تقطر من دماء المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المبحث الثالث

(1) سورة غافر - الآية 26

(2) تفسير ابن كثير / ج 4 - ص 98

(3) ينظر المستفاد من قصص القرآن / د. عبد الكريم زيدان / ج 1 ص 380

النصيحة وأهميتها وأدلتها من السنة النبوية

إن ديننا مبني على النصيحة ، ويكفي في بيان أهمية النصيحة في السنة النبوية حديث "الدين

النصيحة" الذي يُعدّ من الأحاديث الكلية العظيمة التي اشتملت على الدين كله، على حقوق الله،

وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى حقوق عباده، فليس ثمَّ أجمع في بيان تلك الحقوق من لفظ

النصيحة. ولهذا سوف نلقي الضوء في هذا المبحث على هذا الحديث وغيره من الأحاديث الخاصة في

النصيحة وسيتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : حديث " الدين النصيحة " .

الحديث :

قال الإمام مسلم حدثنا محمد بن عباد المكي⁽¹⁾ حدثنا سفيان⁽²⁾ قال قلت لسهيل⁽³⁾ إن عمرا⁽⁴⁾ حدثنا

عن القعقاع⁽²⁾ عن أبيك قال ورجوت أن يسقط عني رجلا⁽³⁾ قال فقال سمعته من الذي سمعه منه أبي

كان صديقا له بالشام حدثنا سفيان عن سهيل عن عطاء بن يزيد⁽⁴⁾

(1) محمد بن عباد بن الزبيران المكي نزيل بغداد صدوق يهيم من العاشرة مات سنة أربع وثلاثين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 486

(2) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 245

(3) وهو سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان أبو يزيد المدني صدوق تغير حفظه بأخرة روى له البخاري مقرونا وتعليقا من السادسة مات في خلافة المنصور، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 259

عن تميم الداري⁽⁵⁾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال : لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

تخريج الحديث :

الحديث أخرجه : مسلم⁽⁶⁾ وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان⁽⁷⁾ .

أهمية الحديث وأحكامه :

هذا الحديث الوجيز البليغ أصل عظيم في وجوب النصيحة ، وبيان فضلها ومنزلتها في الدين ، وذكر مجالاتها فهو حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ، وتتضح أهمية الحديث وفضله من خلال تعليق أهل العلم على هذا الحديث .

(1) هو عمرو بن دينار ، و عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست وعشرين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 421

(2) هو القعقاع بن حكيم ، القعقاع بن حكيم الكنانى المدنى ثقة من الرابعة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 456 .

(3) أي فتحدثني به عن أبيك ، ينظر فتح الباري - لابن حجر / ج 1 - ص 137

(4) عطاء بن يزيد الليثى المدنى نزيل الشام ثقة من الثالثة مات سنة خمس أو سبع ومائة وقد جاز الثمانين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 392

(5) تميم بن أوس بن خارجة الداري أبو رقية بقاف مصغر صحابي مشهور سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان قيل مات سنة أربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 130

(6) الحديث صحيح ، سبق تخريجه : ينظر ص 15

(7) سنن أبي داود ، كتاب الآداب ، باب في النصيحة ، برقم " 4944 " ج: 4 ص: 286 ، سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النصيحة برقم " 1926 " ج: 4 ص: 324 . ، سنن النسائي - المجتبى من السنن - احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي / تحقيق . عبد الفتاح أبو غدة / كتاب البيعة ، باب النصيحة للإمام برقم " 4197 " ج: 7 ص: 156 مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب / الطبعة الثانية - 1406 - 1986 ، وصحيح ابن حبان ، كتاب السير ، باب طاعة الأئمة برقم " 4574 " / ج: 10 ص: 435 .

قال ابن رجب (رحمه الله) : "وفي رواية عن أبي داود ، قال : (الفقه يدور على أحاديث :
الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات.."(1) ، و"لا ضرر ولا ضرار.."(2) ، "إنما الأعمال
بالنيات..."(3) ،
" الدين النصيحة ..."(4) ، " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه "(5) .."(6)
قال ابن حجر (رحمه الله) : (فهو من الأحاديث التي قيل فيها أنها أحد أرباع الإسلام ، أي أحد
الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام ، ومن عده فيها الإمام محمد بن أسلم الطوسي⁽⁷⁾
وقال النووي بل ليس الأمر كما قالوه ، بل عليه مدار الإسلام وحده .)⁽⁸⁾

- (1) متفق عليه ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، برقم " 52
" ج 1 - ص 28 ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب المساقات ، باب اخذ الحلال وترك الشبهات ،
برقم " 1599 ج 3 - ص 1219
- (2) رواه ابن ماجه والدارقطني والبيهقي ، سنن ابن ماجه ج: 2 ص: 784 برقم: 2341 ، سنن الدار
قطني ، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، ج: 3
ص: 77 برقم: 288 ، دار المعرفة - بيروت ، سنن البيهقي الكبرى ج: 6 ص: 69 برقم: 11165 ، 1386 -
1966 قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس ، مجمع الزوائد ، ج 4
- ص 198 ، وقال ابن حجر : رواه ابن ماجه والدارقطني من حديث أبي سعيد ورواه مالك مرسل . ينظر :
تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تحقيق : السيد عبد
الله هاشم اليماني المدني ، ج: 4 ص: 198 ، المدينة المنورة ، 1384 - 1964 .
- (3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، برقم "1" صحيح البخاري / ج 1 - ص 3
- (4) سبق تخريجه : ينظر ص 15 .
- (5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب توفيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار
سؤاله عما لا ضرورة إليه برقم " 1337 ج 4 - ص 1830
- (6) ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 14 ، ص 168
- (7) قال ابن حبان : (محمد بن أسلم بن سالم الطوسي أبو الحسن الكندي الزاهد يروى عن يزيد بن هارون
حدثنا عنه شيوخنا بن خزيمة وغيره مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين وكان من العباد الخشن المتجربين
للعباداة المواظبين على إقامة السنة ، ينظر الثقات لابن حبان/ ج 9 - ص 97 .
- (8) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 1 ص: 138

قال المناوي (رحمه الله) : (أن هذا الحديث وإن أوجز لفظاً أطنب معنى لأن سائر الأحكام داخلية

تحت كل كلمة منه وهي "لكتابه" لاشتغاله على أمور الدين أصلاً وفرعاً وعملاً واعتقاداً، فمن آمن به

وعمل بمضمونه جمع الشريعة بأسرها ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾ ولم يوفه حقه من جعله ربع

الإسلام بل هو الكل .⁽²⁾

مسائل في الحديث :

- قال ابن حجر (رحمه الله) : (أن الدين يطلق على العمل لكونه سمي النصيحة ديناً وعلى هذا المعنى بنى المصنف - أي البخاري - أكثر كتاب الإيمان ، ومنها جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب من قوله (قلنا لمن) ، ومنها رغبة السلف في طلب علو الإسناد وهو مستفاد من قصة سفيان مع سهيل⁽³⁾)

- ومن مسأله أن هذا الحديث لا يخالف قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁴⁾ لأن

النصيحة من الإسلام ويجوز إطلاق الإسلام عليها لمكانتها منه كما يقال الناس العرب ، لجلالة العرب

وامتيازهم عن سائر الناس بالخواص التي فيهم، فجاز أن يقال هم الناس، ومن ذلك المال النخل لجلالة

النخل في الأموال، فمثله الدين النصيحة وإن كان في الدين سواها.⁽⁵⁾

(1) سورة الأنعام - الآية 38

(2) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 328

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138

(4) سورة آل عمران - الآية 19

(5) معتصر المختصر / يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن / ج: 2 ص: 288 / عالم الكتب ، مكتبة

المتنبى . بيروت ، القاهرة .

- ومن مسائل إن الحديث فيه حصر وقصر⁽¹⁾ ، بمعنى أن الدين محصور ومقصور في النصيحة فمن

اتصف بالنصيحة فقد أحرز الدين كله ، ومن حرم النصيحة فقد فاته من الدين بقدر ما حرم من

النصيحة .

- من مسأله أن هذا الحديث فيه دلالة صريحة على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان

والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام⁽²⁾ وسمى ذلك كله ديناً⁽³⁾ فمن لم يأتِ بالنصح

على وجهه كان ناقص الإيمان والدين ، قال الإمام الذهبي (رحمه الله) : (فتأمل هذه الكلمة الجامعة وهي

: (الدين النصيحة) فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعمامة كان ناقص الدين ، وأنت لو دعيت يا ناقص الدين

لغضبت ، فقل لي متى نصحت هؤلاء ؟ كلا والله ، بل ليتك تسكت ولا تنطق ، أولاً تحسن لإمامك

(2) عمدة القاري / العيني / ج 1 - ص 321 .

(3) ثبت من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه !! قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت قال فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرني عن أمارتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، برقم "8" ج 1 - ص 36 .

(3) ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي (750 هـ . ت) / ج : 1 ص : 78

الباطل، وتجترئه على الظلم وتغشه، فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين ، فبالله قل لي

متى يفلح من لم يراقب مولاه ؟ ومتى يفلح من دنا رحيله وانقرض جيله وساء فعله وقيله ؟ فما شاء الله

كان وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لا ندع الدعاء لعل الله أن يلفظ وأن يصلحنا آمين .⁽¹⁾

شرح الحديث وبيان معناه العام .

الأول: قوله (الدين النصيحة)

أي الركن الأعظم في الدين هو النصيحة، كما يقال " الحج عرفة"⁽²⁾ و "الندم توبة"⁽³⁾ أي الركن الأعظم في الحج هو الوقوف بعرفة، والركن الأعظم في التوبة هو الندم، والركن الأعظم في

(1) سير أعلام النبلاء /محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله .(673- 748 هـ . ت) تحقيق . شعيب الارناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي./ ج: 11 ص: 500 /مؤسسة الرسالة /الطبعة التاسعة / . بيروت (1413هـ)

(2) الحديث صحيح رواه أصحاب السنن وغيرهم ، سنن الترمذي ، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ، برقم : 889 ، ج 3 - ص 237 / سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، برقم : 4050 ، ج: 2 ص: 432 ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1991 /سنن النسائي - المجتبى باب فرض الوقوف بعرفة برقم : 3016 ، ج: 5 ص: 256 / سنن ابن ماجه ، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع برقم: 3015 ، ج: 2 ص: 1003 / سنن الدارقطني ، باب المواقيت، برقم : 19 ، ج: 2 ص: 240 . قال ابن حجر : رواه أصحاب السنن وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي ، ينظر تلخيص الحبير ج: 2 ص: 290 .

(3) الحديث صحيح ، رواه ابن ماجه وصححه الحاكم وأخرجه ابن حبان من حديث انس رضي الله عنه وصححه ، سنن ابن ماجه ، باب ذكر التوبة ، برقم : 4252 ، ج: 2 ص: 1420 ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب التوبة والإنابة ، برقم: 7612 ، ج: 4 ص: 271 ، صحيح ابن حبان، باب التوبة ، برقم : 611 ، ج: 2 ص: 376 وقال الكناي : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه الحاكم في المستدرک عن محمد بن يعقوب عن أحمد بن سنان عن سفيان بن عيينة به وقال هذا حديث صحيح الاسناد قلت رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن زهير بن معاوية عن عبد الكريم به ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مغفل أيضا ورواه البيهقي في الكبرى من طريق محمد بن يوسف عن سفيان به ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن سفيان فذكره بإسناده ومثته وقد عنعناه وكذا رواه ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان

الدين هو النصيحة. قال ابن حجر (رحمه الله): (يحمل أن يحمل على المبالغة أي معظم الدين النصيحة كما قيل في حديث "الحج عرفة" ويحمل أن يحمل على ظاهره لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين).⁽¹⁾

الثاني : قوله (لله) .

وللعلماء في هذا المعنى عدة أقوال نذكر أهمها :

أ- (أن معناها منصرف إلى الإيمان به ، ونفى الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص ، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه ، وموالاته من أطاعه ، ومعاداته من عصاه، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها ، والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم، قال الخطابي⁽²⁾ -رحمه الله -وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح .)⁽³⁾

ب- ومنها أن النصيحة لله : (وصفه بما هو له أهل ، والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرغبة من مساخطه بترك معصيته ، والجهاد في رد العاصين إليه، وروى الثوري⁽⁴⁾ عن عبد العزيز بن رفيع⁽⁵⁾ عن أبي ثمامة⁽¹⁾ قال : قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من الناصح لله؟ قال : الذي يقدم حق الله على حق الناس .)⁽²⁾

معننا بالإسناد والمتن وكذا رواه أحمد بن منيع في مسنده عن سفيان معننا به لكن رواه أبو يعلى الموصلي فصرح فيه بالتحديث فقال ثنا أبو خيثمة ثنا سفيان ثنا عبد الكريم الجزري فذكره قال وثنا محمد ثنا شريك عن عبد الكريم الجزري فذكره وله شاهد من حديث أنس رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم أيضاً . ينظر : مصباح الزجاجة احمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناي (762 - 840 هـ) / تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، (ج: 4 ص: 248) دار العربية - بيروت الطبعة الثانية ، سنة 1403

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138

(2) الخطابي الإمام العلامة المفيد المحدث الرجال أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ، تذكرة الحفاظ / للذهبي / ج 3 - ص 1018

(3) ينظر شرح النووي على مسلم / ج: 2 ص: 38 ، سبل السلام / للإمام الصنعاني / ج: 4 ص: 210 ، الديباج / السيوطي / ج: 1 ص: 76 .

(3) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلس مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 244 .

(5) عبد العزيز بن رفيع بقاء مصغر الأسدي أبو عبد الله المكي نزيل الكوفة ثقة من الرابعة مات سنة ثلاثين ويقال بعدها وقد جاوز التسعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 357

ت- ومنها أن النصح لله : (يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان ، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه، وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضا ، و عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أرأيت لو كان لك عبدان أحدهما يطيعك ولا يخونك ولا يكذبك ، والآخر يخونك ويكذبك ، الذي يطيعك ولا يكذبك أحب إليك أم الذي يخونك ويكذبك ؟ قال قلت : لا بل الذي لا يخونني ولا يكذبني ويصدقني الحديث أحب الي قال كذاكم أنتم عند ربكم عز وجل (*)" (3)

ث- ومنها أن النصيحة لله : (أن لا تدخل في صفاته ما ليس منها، ولا تنسب إليه ما ليس له برأيك، فتعتقد على خلاف ما هو عليه، فإنه غش ، والأشياء كلها بخلاف الباري تعالى لأنها محدثة وهو قديم، وجاهلة وهو عليم ، وعاجزة وهو قدير، وعبدده وهو رب، وفقيرة وهو غني، ومحتاجة إلى مكان وهو غير محتاج إليه، فمن شبهه بشيء من خلقه فقد أدخل الغش في صفاته، ولم ينصح له ومن أضاف شيئا إلى المخلوقات مما هو عليه فقد غشها) (4)

ج- قال بعض أهل العلم : (جماع تفسير النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان، وهي على وجهين ، أحدهما فرض والآخر نافلة ، فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح بإتباع محبة الله في أداء ما يفرض ، ومجانبة ما حرم، وأما النصيحة التي هي نافلة، فهي إيثار محبته على محبة نفسه ، وذلك أن يعرض له أمران أحدهما لنفسه والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه ، فهذه جملة تفسير النصيحة لله الفرض منها وكذلك تفسير النافلة .) (5)

الثالث : قوله : (ولكتابها) .

أما النصيحة لكتاب الله تعالى، فقد تعددت في تعريفها المعاني، وتباينت في بيان معناها الألفاظ ، ويمكن أن نذكر أهم ما قاله العلماء عن النصيحة لكتاب الله عز وجل .

(1) أبو ثمامة الحنابل بمهمة ونون حجازي مجهول الحال من الثالثة، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 627

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138

* أخرجه الإمام احمد ، برقم 17267 ، ج 4 - ص 136 ، قال شعيب الارنؤوط / الحديث إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة فمن رجال مسلم .

(3) ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 78-79 بتصرف .

(4) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 328

(5) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 79، تعظيم قدر الصلاة / المروزي / ج: 2 ص:

691 ، الإيمان لابن منده / لابن منده / ج: 1 ص: 423

- أ- (هي الإيمان بأن كلام الله تعالى، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكير في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه، وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه، وإلى ما ذكرناه من نصيحته .) ⁽¹⁾
- ب- وقيل النصيحة لكتاب الله: (تعلمه وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه .) ⁽²⁾
- ت- وقيل النصيحة لكتاب الله: (هي شدة حبه، وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه، ثم شدة العناية لتدبره، والوقوف عند تلاوته، بطلب معاني ما أحب الله أن يفهمه عنه، وكذلك الناصح من القلب، يتفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه، ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه، كذلك الناصح لكتاب الله يعني فيقوم به لله، بعد ما يفهمه بما أمر به، كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويدعم دراسته والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه) ⁽³⁾
- ث- وقيل النصح لكتابه: (أي لمن تعلمونه إياه، في تعليمهم ما يحتاجون إلى علمه من محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وفي التعليم على هذا الوجه من المشقة ما فيه، فأمرؤا بذلك، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فنتعلم حلالها وحرامها وآخرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما آخره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدَّقْل ⁽⁴⁾ " (*) ⁽⁵⁾
- الرابع: - قوله: (و لرسوله) - صلى الله عليه وسلم - .

- (1) شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام النووي / ج: 2 ص: 38 ، الديباج / للإمام السيوطي / ج: 1 ص: 76
- (2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138
- (3) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 79-80، الإيمان لابن منده / ج: 1 ص: 423، تعظيم قدر الصلاة / للمروزي / ج: 2 ص: 693
- (4) الدَّقْل ، وهو أردأ أنواع التمر ، ينظر مختار الصحاح / للرازي / مادة دقل ، ج 1 ص 218
- * الحديث صحيح : سنن البيهقي الكبرى ، باب من استحب الإكثار من الركوع والسجود ، برقم : 5073 ج: 3 ص: 120، والمستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان، برقم: 101 ، ج: 1 ص: 91 . قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
- (5) معاصر المختصر / يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن / ج: 2 ص: 288

ذهب أهل العلم في بيان معنى النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى أقوال أغلبها متقاربة في اللفظ والمعنى سنذكر بعضها منها :

أ- قيل في معنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (هي تصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيهِ ، ونصرته حيا وميتا، ومعاداة من عاداه ، وموالاته من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ونشر شريعته ، ونفى التهمة عنها، واستشارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك. ⁽¹⁾

ب- وقيل في معنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (في حياته بذل الجهود في طاعته ونصرته ، ومعاونته والمساعدة إلى محبته، وأما بعد وفاته: فالعناية بطلب سنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره ولزوم القيام به، وشدة الغضب والإعراض عمن يدين بخلاف سنته، والإعراض عمن ضيعها لدنيا يؤثرها عليها ، سواء كان منه قريبا أو بعيدا ثم التشبه به في جميع هديه. ⁽²⁾

ت- وقيل في معنى النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم : (الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله ، والتمسك بطاعته ، وإحياء سنته، واستئثار علومه ونشرها ، ومعاداة من عاداه، وموالاته من والاه، والتمسك بأخلاقه والتأدب بآدابه ، ومحبة آلِه وأصحابه ونحو ذلك . ⁽³⁾

الخامس : قوله: (ولائمة المسلمين) .

ذهب الحفاظ وعلماء الحديث والفقهاء . في معنى النصيحة لائمة المسلمين على أقوال نذكر منها .

أ- قيل أن معنى النصيحة لأئمة المسلمين : (هي معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ، وتبنيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم . قال الخطابي رحمه الله : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 2 ص: 38 ، فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138 ، الديباج / للإمام السيوطي / ج: 1 ص: 76.

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 80 ، الإيمان لابن منده / لابن منده / ج: 1 ص: 423 ، تعظيم قدر الصلاة / المروزي / ج: 2 ص: 693

(3) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 80 ، صيانة صحيح مسلم / الشهرزوري / ج: 1 ص: 221-222

،والجهاد معهم ،وأداء الصدقات إليهم ،وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصالح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم، ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور وحكاة أيضا الخطابي، ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما روه، وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم .⁽¹⁾

قلت وللعلماء المقتدى بهم منزلة عظيمة فهم ورثة الأنبياء، ومصاييح الدجى وزينة البلد، بهم يرفع

الجهل، وتكشف الغمة، وتنجلي الظلمة، فلهم حق عظيم علينا وعلى كل مسلم، والواجب على أهل

الإسلام توقيرهم وتعظيمهم، وإحسان الظن بهم، والستر على معايهم، والاقتداء بهم، ونصرتهم

وموالاتهم، والذب عن أعراضهم ونصحهم بالمعروف .

ب- وقيل أن معنى النصيحة لأئمة المسلمين : (إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خللتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم بيث علومهم، ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم .)⁽²⁾

ت- وقيل أن معنى النصيحة لأئمة المسلمين: (هي حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم واجتماع الأمة عليهم، وكراهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن أراد الخروج عليهم .)⁽³⁾

والخلاصة في هذه الأقوال : أن المراد بأئمة المسلمين الذين تلزم طاعتهم الأحكام ومن ينوب عنهم في الولايات والعلماء الربانيون أهل الحل والعقد الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة .
السادس : - قوله (والمأتمهم) .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام النووي / ج: 2 ص: 38- 39 ، جامع العلوم والحكم / لابن رجب

الحنبلي / ج: 1 ص: 80 ، الديباج / للإمام السيوطي / ج: 1 ص: 76

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138

(3) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 80

والنصيحة لعامة المسلمين شعبة من شعب الإخاء وحق واضح من حقوق الإخوة ، وذهب أهل العلم في بيان النصيحة لعامة المسلمين إلى مذاهب وأقوال نذكر بعضها .

أ- قيل في معنى النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاية الأمر : (إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط همهم إلى الطاعات ...)⁽¹⁾

ب- وقيل في معنى النصيحة لعامة المسلمين : (الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم ، وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .)⁽²⁾

ت- وقيل في معنى النصيحة لعامة المسلمين : (إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك انتهى ما ذكره⁽³⁾) ومن أنواع نصحتهم دفع الأذى والمكروه عنهم وإيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه كما قال بعض السلف⁽⁴⁾ : "وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض" وكان عمر بن عبد العزيز⁽⁵⁾ رضي الله عنه يقول : ياليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملت به ، فكلما عملت فيكم بسنة ، وقع مني عضو ، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي .)⁽¹⁾

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام النووي / ج: 2 ص: 39 ، سبل السلام / للإمام الصنعاني / ج:

4 ص: 211 ، الديباج / للإمام السيوطي / ج: 1 ص: 76

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 1 ص: 138

(3) أي أبو عمرو بن الصلاح ، ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 80

(4) منهم زهير بن نعيم الباني ، قال : عبد الله بن عبد الغفار الكرمانى قال سمعت زهير بن نعيم الباني يقول لوددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاع الله ، ينظر صفة الصفوة / عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج / تحقيق : محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي / ج 4 - ص 8 - 9 دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ، 1399 - 1979 .

(5) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير وولي الخلافة بعده فعد مع الخلفاء

الخلاصة فيما توصلت إليه من الحديث :

1. أن هذا الحديث من جوامع الكلم وعليه وعلى غيره مدار الإسلام .
2. يعتبر حديث "الدين النصيحة" خلاصة لما تهدف إليه الشريعة الإسلامية عقيدةً وعبادةً ومعاملةً .
3. الفكرة المحورية التي يدور حولها الحديث هي وجوب الامتثال لأوامر الله والرسول صلى الله عليه وسلم ومحبتهم، ويتجلى ذلك في العمل بالكتاب والسنة، والسمع والطاعة للإمام في الأمور الشرعية، وتحقيق التناصح بين عامة المسلمين بالإخلاص وحب الخير لهم.
4. أهمية النصيحة في دين الله ولأهميتها جعلها كأنها هي الدين حيث قال: الدين النصيحة .
5. يلاحظ أن الدين النصيحة: عليها مدار الإسلام وقوامه، والنصيحة لله: بالإيمان به وبصفاته الحسنى، ولكتابه: بمراعاة معانيه والعمل به، ولرسوله: بإتباع سنته ولأئمة المسلمين: بطاعة ولاية الأمر ولعامتهم: بإرشادهم وإعانتهم على كل خير وفلاح .
6. تسلسل الأولويات في النصح ، بحيث لا تطغى واحدة على الأخرى، ولا تحتل مكانها في القيم والخيارات ، فالنصح لله أولاً ، وهذا إذا تم قاد بدوره :إلى النصح لكتابه تعالى ثانياً ، ولا نصح لكتاب الله ، إذا لم يتبع بالنصح لرسول الله الذي انزل عليه الكتاب ، ولما كان الأئمة هم الأمناء على عقيدة المسلمين وشريعتهم ..والساهرون على حراستها وحسن تنفيذها ، كان النصح لهم من مقتضيات النصح لله ورسوله وكتابه ..لذا وجب النصيحة لهم ولزم التناصح فيما بينهم ،تجنباً لكل انحراف أو ضلال في تطبيق المنهج ، ووصولاً إلى الغاية المرجوة منه في الدنيا والآخرة.(2)

7. إن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على وجوب النصيحة .(فمن الواجب على المؤمن " أن ينصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " فمن لم يفعل ذلك فهو غاش لله ورسوله وللمسلمين ، كما أن هذا الحديث بدأ أولاً بالله لأن الدين له حقيقة ، وثنى بكتابه الصادر ببيان أحكامه المعجز ببديع نظامه

الراشدين من الرابعة مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة ومدة خلافته سنتان ونصف ، تقريب التهذيب /لابن حجر/ج 1 - ص 415

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي /ج: 1 ص: 80-81، صيانة صحيح مسلم / للشهرزوري /ج: 1 ص: 222

(2) ينظر شرح الأربعين النووية في ثوب جديد / عبد الوهاب رشيد صالح ابو صفية /ص122 /دار البشير الطبعة الثالثة 1416-1995 بتصرف

، وثالث بما يتلو كلامه في الرتبة وهو رسوله الهادي لدينه الموقف على أحكامه المفصل لجمال شريعته ، ورابع بأولي الأمر الذين هم خلفاء الأنبياء القائمون بسنتهم ثم خمس بالتعميم .⁽¹⁾

8. إن هذا الحديث جعل النصيحة من حيث النتائج والأغراض المؤدية إليه على قسمين : نصيحة النفس والذات ، ونصيحة الغير .

القسم الأول : نصيحة النفس ، وهو ما ذكر في الحديث (لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ) . وهذا ما يسمى بالنقد الذاتي ، فيكتشف خطأه بنفسه ، ويحاسب نفسه بنفسه ، فمن مقتضيات المحاسبة الشرعية توبيخ النفس ومعابقتها وذمها لتقويمها وسياستها لعبادة ربها ، ومنعها عن شهواتها ، وفطامها عن شبهاتها ، فهذا النقد للنفس والمعاتبة في الخلوات هو النصح بعينه ، يزداد به عزه وتطمئن به نفسه ، فالنفس كما قال الإمام الغزالي : (إن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير إلى النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية قال فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعابقتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغلن أولاً بوعظ نفسك ..)⁽²⁾ وتكمن أهمية نصح المسلم لنفسه ، في نقاط واضحة .

أولاً: أنه دلالة على شجاعة المسلم، وقدرته على التصحيح .
ثانياً: أن المسلم في بعض الأحيان أقدر على ملاحظة نفسه من غيره ، في فحص نيته وأسراره وخواطره .

ثالثاً : كما أن نصح المسلم لذاته ، يوجه طاقته وجهة سليمة ، بحيث يشغله النظر إلى عيبه عن النظر إلى عيوب الناس .

النوع الثاني : نصيحة الغير ، وهو ما ذكر في الحديث (لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) .

(1) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 328

(2) إحياء علوم الدين / محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / ج 4 - ص 416 / دار المعرفة - بيروت

المطلب الثاني : حديث "والنصح لكل مسلم" .

الحديث :

قال الإمام البخاري حدثنا مسدد⁽¹⁾ قال حدثنا يحيى⁽²⁾ عن إسماعيل⁽³⁾ قال حدثني قيس بن أبي حازم⁽⁴⁾ عن جرير بن عبد الله⁽⁵⁾ قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

(1) مسدد بن مسرهد بن مسريل بن مستورد الأسدي البصري أبو الحسن ثقة حافظ يقال إنه أول من صنف المسند بالبصرة من العاشرة مات سنة ثمان وعشرين ويقال اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدد لقب ، ينظر تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 528

(2) يحيى بن سعيد بن فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة التميمي أبو سعيد القطان البصري ثقة متقن حافظ إمام قدوة من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين وله ثمان وسبعون ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 591

(3) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست وأربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 107

تفريغ الحديث :

الحديث أخرجه : البخاري ومسلم (3)

أهمية الحديث وأحكامه :

تتضح أهمية الحديث من اشتراط النبي صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم في أمر البيعة كما اشترط على جرير عند بيعته على الإسلام بنصح لكل مسلم بقوله (فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت أبايعك على الإسلام فشرط علي والنصح لكل مسلم فبايعته) (4) ، ويذكر (أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً فاشتري بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال ذلك إليك يا أبا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ف قيل له في ذلك فقال أني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم .. فهذا الحديث منقبة ومكرمة لجرير رضي الله عنه. (5)

مسائل في الحديث :

أ- أن هذا الحديث فيه لطائف (6) في إسناده

(1) قيس بن أبي حازم البجلي أبو عبد الله الكوفي ثقة من الثانية مخضرم ويقال له رؤية وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاز المائة وتغير ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 456

(2) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة بن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو وقيل يكنى أبا عبد الله ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 1 - ص 475

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله ، برقم " 57 " ج 1 - ص 31 ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان إن الدين النصيحة برقم " 56 " ، ج: 1 ص: 75 .

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله ، برقم " 58 " صحيح البخاري / ج 1 - ص 31

(5) شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام النووي / ج 2 ص 40

(6) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / للعلامة بدر الدين العيني / ج 1 - ص 323 ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

- منها أن فيه التحديث بصيغة الجمع وبصيغة الأفراد والعنونة ولا يخفى الفرق بين الصيغتين.⁽¹⁾
ومنها أن سند رواته : (كلهم كوفيون ما خلا مسددا)⁽²⁾ .

- ومنها إن ثلاثة من رواته وهم إسماعيل وقيس وجريير مكنون بأبي عبد الله ، والثلاثة كلهم بجليون ، وإن اثنين منهم "إسماعيل وقيس" تابعيان .

ب- إن البيعة في هذا الحديث عامة وليست خاصة بجريير رضي الله عنه (وإذا بايع النبي صلى الله عليه وسلم أحدا على شيء لا يختص به فهو عام لجميع الناس ، كل الناس مبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم بل على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإسداء النصح لكل مسلم).⁽³⁾

ت- أشار الحديث هنا إلى ركنين من أركان الإسلام ولم يذكر الأركان الأخرى مع أنها من الأركان العظمى للإسلام، وقد علل العلماء ذلك بتعليلات منها قال القاضي عياض⁽⁴⁾ : (اقتصر على الصلاة والزكاة لشهرتهما، ولم يذكر الصوم وغيره لدخول ذلك في السمع والطاعة).⁽⁵⁾

ث- أشار الحديث هنا إلى أن مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كان بحسب ما يحتاج إليه المنصوح لذلك تعددت ألفاظ هذا الحديث . قال القرطبي : (كانت مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد أو تأكيد أمر فلذلك اختلفت ألفاظهم).⁽⁶⁾

ج- وفيه اشتراط النبي صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم في أمر البيعة كما اشترط على جريير عند بيعته على الإسلام بنصح لكل مسلم قال الخطابي : (جعل رسول الله النصيحة للمسلمين شرطا في الذي يبايع عليه كالصلاة والزكاة فلذلك تراه قرنهما بهما)⁽⁷⁾ .

(1) المصدر نفسه .

(2) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 1 ص: 138 ، شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 2 ص: 40 ، عمدة القاري / ج: 1 ص 323

(3) شرح رياض الصالحين / الشيخ محمد بن صالح العثيمين (676هـ) / تحقيق . د عبد الرحمن الهاشمي / ج 1 ص 557 / مؤسسة المختار - القاهرة / الطبعة الأولى / 1426هـ - 2005م

(4) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض القاضي العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبى السبتي الحافظ مولده بسبته في سنة ست وسبعين وأربع مائة وأصله اندلسي تحول جده إلى فاس ثم سكن سبته أجازه القاضي الحافظ ، ينظر تذكرة الحفاظ / الذهبي / ج: 4 - ص 1304

(5) عمدة القاري / للعلامة بدر الدين العيني / ج: 1 ص: 138 - 139

(6) المصدر نفسه / ج: 1 ص: 139

(7) المصدر نفسه / ج: 1 ص: 324

شرح الحديث :

الأول : معنى قوله : (**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)

المبايعة هنا بمعنى المعاهدة ، لان المبايعة تطلق على البيع والشراء وتطلق على المعاهدة كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾⁽¹⁾ ، وسميت مبايعة ، لان كلا من المتبايعين يمد باعه إلى الآخر ، يعني يده من اجل أن يمسك بيد الآخر ، ويقول : بايعتك على كذا وكذا .⁽²⁾

الثاني : معنى قوله : (**إِقَامَ الصَّلَاةِ**) .

أي إقامتها وإدامتها وحذف تاء الإقامة عند الإضافة للإطالة⁽³⁾ ، أي (أن يأتي بها الإنسان مستقيماً على الوجه المطلوب ، فيحافظ عليها في أوقاتها ويقوم بأركانها وواجباتها وشروطها ، ويتم ذلك بمستحباتها) .⁽⁴⁾ كما أنها حق محض لله تعالى .

الثالث : معنى قوله : (**وإِيتَاءَ الزَّكَاةِ**) .

(يعني إعطاءها لمستحقها ، وهذه جامعة بين حق الله وحق العباد ، أما كونها حقاً لله فالأن الله فرض على عباده الزكاة ، وجعلها من أركان الإسلام ، وأما كونها حق للآدمي ، فلما فيها من قضاء حوائج المحتاجين ، وغير ذلك من المصالح المعلومه في معرفة أهل الزكاة .⁽⁵⁾)
الرابع : معنى قوله : (**النَّصِاحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**) .

(وهذا هو الشاهد من الحديث ، أي : أن ينصح لكل مسلم ، قريب أو بعيد ، صغير أو كبير ، أو ذكر أو أنثى) .⁽⁶⁾ فيحب لهم ما يحبه لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه وهذا هو المعنى الحقيقي للنصح ، ومن أجل ذلك كانت البيعة تؤخذ على المسلمين بالسمع والطاعة ، والنصح لكل مسلم ؛ وإذا نصحت أخاك ، وأخلصت له فيما تقول وتفعل ، فقد أطعت ربك ، وأرضيت ضميرك ، وإن قيل فيك ما لا تحب .

الخلاصة فيما توصلت إليه من الحديث .

(1) سورة الفتح - الآية 10

(2) شرح رياض الصالحين / لابن عثيمين / ج 1 ص 557

(3) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 6 - ص 45

(4) شرح رياض الصالحين / لابن عثيمين / ج 1 ص 556

(5) شرح رياض الصالحين / لابن عثيمين / ج 1 ص 556

(6) المصدر نفسه .

- أن النبي صلى الله عليه وسلم عظم من شأن النصيحة فأخذ عليها البيعة وقرنها بأمور الدين العظيمة فقال : والنصح لكل مسلم .

- يدل الحديث على وجوب استمرارية النصح في الأمة مادام فيها مسلم ولا شك أنها للكافر في الدعوة إلى الله وذلك في قوله : لكل مسلم . لذلك كله أقول : النصيحة مهمة للناس كلهم ولا بد منها ولا يجوز تركها بحال أبداً ولو سكت أهل الحق عن بيان الباطل خوفاً أو مجاملة أو تهرباً أو كسلاً فكيف يعرف الناس الحق ؟ وفي الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم : " وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم " (1).

- أن هذا الحديث قام على ثلاثة أشياء : حق محض لله - تمثل بإقامة الصلاة - ، وحق للآدمي محض - تمثل بإيتاء الزكاة - ، وحق مشترك - تمثل بالنصح لكل مسلم . (2)

- إن أول ما اشترط النبي صلى الله عليه وسلم بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس فبايع جريراً على النصيحة لأنه كان سيد قومه فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم وبايع وفد عبد القيس على أداء الخمس لكونهم كانوا أهل محاربة مع من يليهم من كفار مضر. (3)

المطلب الثالث : حديث " وإذا استنصحك فانصم له "

الحديث :

قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب (4) وقتيبة (5) وابن حجر (6) قالوا حدثنا إسماعيل (وهو ابن جعفر) (1) عن العلاء (2) عن أبيه عن أبي هريرة (3) رضي الله عنه

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ " أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم " من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، برقم " 1709 " صحيح مسلم / ج 3 - ص 1470 .

(2) شرح رياض الصالحين / لابن عثيمين / ج 1 ص 556 بتصرف .

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج: 2 ص: 7

(4) يحيى بن أيوب المقابري بفتح الميم والقاف ثم موحدة مكسورة البغدادي العابد ثقة من العاشرة مات سنة أربع وثلاثين وله سبع وسبعون ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 588

(5) قتيبة بن سعيد بن جميل بفتح الجيم بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني بفتح الموحدة وسكون المعجمة يقال اسمه يحيى وقيل علي ثقة ثبت من العاشرة مات سنة أربعين عن تسعين سنة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 454 .

(6) علي بن حجر بضم المهملة وسكون الجيم بن إياس السعدي المروزي أبو الحسن نزيل بغداد ثم مرو ثقة حافظ من صغار التاسعة مات سنة أربع وأربعين وقد قارب المائة أو جازها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1

: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن ؟ يا رسول الله قال إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه " وعند الترمذي " وينصح له إذا غاب أو شهد " .

تفريغ الحديث .

رواه مسلم ⁽⁴⁾ والترمذي ⁽⁵⁾

أهمية الحديث وأحكامه :

لم أجد من تكلم عن أهميته ممن وقفت على شروحهم ، غير أن ذلك لم يلغ الرغبة في ذكر شيء عنها إتباعاً لما ترتب عليه المبحث ، فأقول :

ترجع أهمية هذا الحديث إلى كونه قد ابرز جانباً مهماً من جوانب الحقوق بين المسلمين في الإسلام، وكل ما جاء في مضمون الحديث، يوثق العلاقة بين المرء وأخيه، ويزيد من آصرة الإخوة بين المسلمين بشكل عملي .

مسائل الحديث :

- أن معنى الحق في الحديث جاء على الوجوب خلافاً لقول ابن بطال ⁽¹⁾ المراد حق الحرمة والصحة والظاهر أن المراد به هنا وجوب الكفاية ⁽²⁾.

- ص 399 ، قال الخطيب البغدادي ، علي بن حجر بن إياس السعدي سمع إسماعيل بن جعفر وفرج بن فضالة وشريك بن عبد الله وعلي بن مسهر .. ينظر تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي / ج 11 - ص 416 / دار الكتب العلمية - بيروت

(1) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقى أبو إسحاق القاريء ثقة ثبت من الثامنة مات سنة ثمانين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 106

(2) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة وحرقة من جهينة كان جده مكاتباً لمالك بن أوس بن الحدثان البصري وكانت أمه مولاة لرجل من الحرقة من الجهينة يروى عن أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وأبيه عداة في أهل المدينة روى عنه مالك وشعبة والثوري مات سنة ثنتين وثلاثين ومائة في ولاية أبي جعفر ، الثقات لابن حبان / ج 5 - ص 247

(3) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة هو مشهور بكنيته وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 4 - ص 316

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب السلام ، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام برقم " 2162 " ج 4 - ص 1704

(5) قال الترمذي حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي، كتاب الادب ، باب تشميت العاطس برقم 2737 ، ج 5

- ص 80

- أن الحديث فيه دليل على وجوب نصيحة من يستنصح وعدم الغش له وظاهره أنه لا يجب نصحه إلا عند طلبها والنصح بغير طلب مندوب لأنه من الدلالة على الخير والمعروف. (3)
- قام الحديث على حقوق (كلها من حق المسلم على المسلم يستوي فيها جميع المسلمين برهم وفاجرهم غير أنه يخص البر بالبشاشة والمصافحة دون الفاجر المظهر للفجور. (4)

شرح الحديث وبيان معناه العام :

أولاً : قوله (حق المسلم على المسلم ستة)

(أي الحقوق المشتركة بين المؤمنين عند ملاقة بعضهم بعضاً) (5) وهذا في معرض بيان حقوق المسلم على أخيه، وإلا فحقوق المسلم على أخيه كثيرة لكن النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً

يذكر أشياء معينة من أشياء كثيرة عناية بها واحتفاء بها. (6)

ثانياً : قوله (إحداهن حق المسلم على أخيه)

(ندباً لأنه إذا لم يسلم عليه فقد احتقره واحتقاره احتقار لمن خلق الله في أحسن تقويم وعظمه وشرفه فاحتقاره من أعظم الجرائم والذنوب العظام) (7)، فابتداء السلام سنة مؤكدة ورده فرض، فرض عين على من قصد به، وفرض كفاية إذا ألقاه على جماعة، فانه يجزئ رد أحدهم (8)

ثالثاً : قوله (وإحداهن حاكمه فأجبه)

(من حق المسلم على أخيه إذا دعاه أن يجيبه، والإجابة إلى الدعوة مشروعة بلا خلاف بين العلماء فيما اعلم، إذا كان الداعي مسلماً ولم يكن مجاهرًا بالمعصية، ولم تكن الدعوة مشتملة على معصية لا يستطيع إزالتها). (9)

- (1) ابن بطلال : وهو أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال القرطبي صاحب شرح البخاري ، تذكرة الحفاظ /الذهبي / ج 3 - ص 1126 ، الوافي في الوفيات /للصفي / ج 1 - ص 1384
- (2) ينظر فتح الباري /لابن حجر /ج: 2 ص: 7
- (3) سبل السلام /للإمام الصنعاني / ج: 4 ص: 149
- (4) عمدة القاري / للعلامة بدر الدين العيني / ج 8 ص 13
- (5) فيض القدير / المناوي /ج: 3 ص: 390
- (6) ينظر شرح رياض الصالحين /لابن عثيمين / ج 2 ص 75
- (7) فيض القدير / المناوي /ج: 3 ص: 390
- (8) ينظر شرح رياض الصالحين /لابن عثيمين / ج 2 ص 75
- (9) المصدر نفسه / ج 2 ص 81

رابعا : قوله (وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ)

معناه : (إذا طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه ولا تداهنه ولا تغشه ولا تمسك عن بيان النصيحة)⁽¹⁾ فمن حق أخيك إذا استنصحك أن تمحضه النصح، وتجتهد له في إصابة الصواب.

خامسا : قوله (وَإِذَا مَرَضَ مِنْكُمْ)

(بأن تقول له يرحمك الله وظاهر الأمر الوجوب وعليه أهل الظاهر وقال ابن أبي حمزة⁽²⁾ : قال جمع من علمائنا أنه فرض عين وقواه ابن القيم في حواشي السنن⁽³⁾)

سادسا : قوله (وَإِذَا مَرَضَ مِنْكُمْ)

(أي زره في مرضه وجوباً أو ندباً على ما تقدم)⁽⁴⁾ فالمريض إذا مرض فانه له حق على إخوانه من المسلمين أن يعودوه ويذكروه ما ينبغي أن يذكروه به ، من التوبة والوصية وكثرة الذكر والاستغفار ... وعبادة المريض فرض كفاية ، لا بد أن يعود المسلمون أحاهم وإذا عاده واحد منهم حصلت به الكفاية ، وقد تكون فرض عين إذا كان المريض من الأقارب وعدت عيادته من الصلة فان صلة الأرحام واجبة فتكون فرض عين .⁽⁵⁾

سابعا : قوله (وَإِذَا هَاتَمَ فَاتَّبِعْهُ)

(أي اتبع جنازته حتى تصلي عليه فإن صحبته إلى الدفن كان أولى ، ومعنى هذه الجملة أن من حق الإسلام ذلك وله حقوق أخرى ذكرت في أحاديث أخرى).⁽⁶⁾

ثامنا : قوله في رواية (وَيَنْصَحْ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ)

(أي يريد الخير للمؤمن ويرشده إليه (إذا غاب) أي كل منهما (أو شهد) أي حضر وأو للتبوع وحاصله أنه يريد خيره في حضوره وغيبته فلا يتملق له في حضوره ويغتابه في غيبته فإن

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج:14 ص: 143 ،

(2) شعيب بن دينار أبو بشر ابن أبي حمزة الحمصي مولى بني أمية الكاتب صاحب الخط المنسوب وأحد الأئمة الثقات ؛ كان أنيق الوراقة والضبط كتب عن الزهري كتاباً إملأ من علمه لأجل الخليفة هشام . قال ابن معين : أثبت الناس في الزهري وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة وقيل سنة اثنتين وروى له الجماعة ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 2207

(3) فيض القدير / عبد الرؤوف المناوي / ج: 3 ص: 390

(4) المصدر نفسه .

(5) ينظر شرح رياض الصالحين / لابن عثيمين / ج 2 ص 78

(6) فيض القدير / عبد الرؤوف المناوي / ج: 3 ص: 390

هذا صفة المنافقين⁽¹⁾ أي يريد له الخير في جميع أحواله وهو المراد بقوله إذا غاب أو شهد إذ الأحوال لا تخلو عن غيبة وحضور والمقصود أنه لا يقصر النصح على الحضور كحال من يراعي الوجه بل ينصح لأجل الإيمان فيسوى بين السر والإعلان⁽²⁾

الخلاصة فيما توصلت إليه من الحديث .

- إن النصيحة واجبة لمن طلبها بقوله (وإذا استنصحتك فانصح له) .
- إن النصح حق واجب من حقوق المسلم على أخيه وشعبة من شعب الإخاء بين المسلمين .
- أن النصح يكون بجميع الأحوال في الشهادة والمغيب .

المبحث الثالث

النصيحة عند السلف الصالح .

لا يكمل ما نريد إيصاله في موضوع النصيحة إلا بذكر أمثلة حية للنصيحة عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، إذ هم أفضل هذه الأمة و أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه. (3)، ولذا فقد اخترت نماذج من نصحتهم وجعلتها على أربعة أقسام ، عل في ذلك ما يدفع الناصح فينا إلى تحريك النصيحة الصحيحة التي يؤجر المرء بها.

القسم الأول : أقوال السلف في النصيحة .

(1) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 8 - ص 7

(2) حاشية السندي على النسائي / نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي / ت . عبد الفتاح أبو غدة / ج 4 - ص 53 / مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب / لطبعة الثانية ، 1406 - 1986 م

(1) مقتبس من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال : من كان منكم مستتاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه . ينظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / ج 1 - ص 382 .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما محض أخاه النصيحة فإذا حال عن ذلك سلب التوفيق) (1) وقال يوماً لأبي سفيان (2): المؤمنون نصحة ، والمنافقون غششة . (3)

و عن أبي الدرداء (4) رضي الله عنه قال: (لا إسلام إلا بطاعة ولا خير إلا في الجماعة

والنصح لله وللخليفة وللمؤمنين عامة) (5)

و عن أسماء بنت أبي بكر (6) رضي الله عنها وعن أبيها قالت : (يكفيكم من العظة ذكر الموت ، ويكفيكم من النفل ذكر الآخرة ، ويكفيكم من العبادة الورع ، ويكفيكم من الاستغفار ترك الذنوب ، ويكفيكم من الدعاء النصيحة ، ومن كانت فيه من هذه الخصال واحدة، دخل الجنة مع أول زمرة الأنبياء .) (7)

(1) الفردوس بمأثور الخطاب / أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني . (445- 509 هـ . ت) / تحقيق . السعيد بن بسيوني زغلول / ج: 5 ص: 57 / دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت / 1986 م

(2) أبو سفيان بن حرب اسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، الأسامي والكنى / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني / تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع / ج 1 - ص 26 / مكتبة دار الأقيصى - الكويت الطبعة الأولى ، 1406 - 1985

(3) ينظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علي بن حسام الدين المتقي الهندي / ج 5 ص 863 / مؤسسة الرسالة - بيروت 1989

(4) أبو الدرداء واسمه عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وأمه محبة بنت واقد .. ينظر الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري / ج 7 - ص 391 / دار صادر - بيروت

(5) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري / تحقيق . مصطفى بن احمد العلوي ج: 21 ص: 289 / وزارة عموم الأوقاف . المغرب 1387 هـ .

(6) أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة عاشت مائة سنة وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 743

(7) الفردوس بمأثور الخطاب / الديلمي / ج: 5 ص: 543-544

وعن جابر (1) رضي الله عنه قال: (لا تجلسوا مع كل عالم إلا عالماً يدعوكم من خمس

إلى خمس ، من الشك إلى اليقين ،ومن العداوة إلى النصيحة ، ومن الكبر إلى التواضع ،ومن

الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة .). (2)

وعن الفضيل بن عياض (رحمه الله) قال: (أصل الأيمان عندنا ،وفرعه وداخله وخارجه

بعد الشهادة بالتوحيد ،وبعد الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ ،وبعد أداء الفرائض

صدق الحديث ،وحفظ الأمانة ، وترك الخيانة، ووفاء بالعهد، وصلة الرحم ،والنصيحة لجميع

المسلمين .)(3) وقال أيضا : (ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا

بسخاء الأنفس ،وسلامة الصدور ،والنصح للأمة .)(4)

وعن ابن محيريز (5) قال : (من جلس على الوسائد، وجب عليه النصيحة .)(6)

(1) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي صحابي بن صحابي غزا تسع عشرة غزوة

ومات بالمدينة بعد السبعين وهو بن أربع وتسعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 136

(2) الفردوس بمأثور الخطاب / ج: 5 ص: 56

(3) شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول / دار الكتب

العلمية /ج: 4 ص: 321 / بيروت الطبعة الأولى ، 1410

(4) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي /ج: 1 ص: 81

(5) عبد الله بن محيريز بمهملة وراء آخره زاي مصغر بن جنادة بن وهب الجمحي بضم الجيم وفتح الميم

بعدها مهملة المكي كان يتيما في حجر أبي محذورة بمكة ثم نزل بيت المقدس ثقة عابد من الثالثة مات سنة

تسع وتسعين وقيل قبلها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 322

(6) شعب الإيمان / للبيهقي / ج: 6 ص: 28

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : (لا تؤدي النصيحة إلى أخيك حتى تأمره بما يعجز عنه)⁽¹⁾

وذكر الحسن أيضا (عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله ، إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده، ويحبون عباد الله إلى الله ، ويسعون في الأرض بالنصيحة.)⁽²⁾

وعن ذي النون ⁽³⁾ قال : (ثلاثة من أعلام الخير في التاجر: ترك الذم إذا اشترى، والمدح إذا

باع، خوفاً من الكذب، وبذل النصيحة للمسلمين حذرا من الخيانة ، والوفاء في الوزن إشفافاً من

التطفيف، وثلاثة من أعلام الخير في المكاسب : حفظ اللسان ، وصدق الوعد، وإحكام العمل)

(4)

وعن الشافعي⁽⁵⁾ رحمه الله قال : (من نصحك في ملأ فرد عليه نصيحتة ، فانه قد ابتغى

فضيحتك ، ولم يبتغ نصيحتك) (6)

(1) الزهد لهناد /هناد بن السري الكوفي (152- 243هـ . ت) // تحقيق. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي /ج: 2 ص: 499/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الطبعة الأولى - الكويت 1406 هـ

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 81

(3) واسمه (أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري) ، ينظر تاريخ مدينة دمشق / الإمام العالم الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرومه العمري /ج 17 ص 310/ دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1416 هـ ، 1996م

(4) شعب الإيمان / للبيهقي /ج: 4 ص: 332

(5) أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، البداية والنهاية /لابن كثير /ج 10 - ص 251

(6) المنهاج الإسلامي / د. هاشم محمد علي /ج : 2/ ص 326

وعن ابن الأعرابي(1) قال : (قال بعض الحكماء : اثنان ظالمان ، رجل أهديت إليه النصيحة

فاتخذها ذنباً ، ورجل وسع له في مكان ضيق فقعد متربعاً) (2)

وعن بعض العارفين قال : (أوصيك بالنصح ، نصح الكلب لأهله ، فإنهم يجيعونه ويطردونه

ويأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم) (3)

وسئل عبد الله بن المبارك (رحمه الله) : أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله . (4)

وعن أبي بكر الخطيب(5)(رحمه الله) قال : (للفقراء في السفر والحضر اثنتا عشرة خصلة: أن

يكونوا مطمئنين بما وعد الله، وأن يكونوا آتسين مما في أيدي الخلق، وأن ينصبوا العداوة مع

الشياطين ، وأن يكونوا لأمر الله مستمعين ، وعلى الخلق مشفقين ، ولأذى الناس متحملين، وأن لا

(1) واسمه (علي بن الحسن بن عبيد بن محمد بن سعد بن إياس أبو الحسن الشيباني المعروف بابن

الأعرابي) ينظر تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / ج 11 - ص 373

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر (392-463هـ

.) / تحقيق . د. محمود الطحان / ج: 1 ص: 179 / مكتبة المعارف - الرياض / 1403 هـ ، أدب الإملاء

والاستملاء / عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني (562هـ .ت) / تحقيق . ماكس

فايسفايلر . / ج: 1 ص: 132 / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى / بيروت / 1401هـ - 1981 م

(3) فيض القدير / المناوي / ج: 6 ص: 268 .

(4) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 82-

(5) أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي أحد مشاهير الحفاظ وصاحب

تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة نحو من ستين مصنفا ويقال بل مائة مصنف فالحمد لله أعلم ،

البداية والنهاية/لابن كثير / ج 12 - ص 101

يدعوا النصيحة للمسلمين، وأن يكونوا في مواطن الحق متواضعين، وبمعرفة الله مشغولين،

ويكونوا الدهر على الطهارة، وأن يكونوا راضين عن الله تعالى، شاكرين له . (1)

وعن بكر بن عبد الله (2) (رحمه الله) قال يوم الجمعة : (لو قيل لي خذ بيد خير أهل المسجد، لقلت دلوني على أنصحهم لعامتهم فإذا قيل هذا أخذت بيده، ولو قيل لي خذ بيد شرهم، لقلت دلوني على أغشهم لعامتهم، ولو أن مناديا نادى من السماء إنه لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد، فكان ينبغي لكل إنسان أن يلتمس أن يكون هو ،ولو أن مناديا نادى إنه لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد، لكان ينبغي لكل إنسان أن يفرق أن يكون ذلك الواحد .) (3) وعن شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله) قال : (ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ،ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة، فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ،ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه، فإنه لا بد للعبد من لقاء الله ،ولا بد أن الله يحاسب عبده ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (*) (4)

هذه هي بعض أقوال سلف الأمة في النصيحة ، تكشف لنا عن أهمية وفضل النصيحة ، وعلى مدى اهتمام العلماء بها ،وتناولها لجانب واسع من كلامهم وفي بطون كتبهم فكانت النصيحة حجر الأساس بينهم ، وارى أن هذه الأقوال دارت على محاور رئيسة يمكن الجمع بينها على ما يأتي :

- من صفات المؤمن إخلاص النصيحة لأخيه ، فالنصح دليل إيمان والغش دليل نفاق .
- فيه أن من الخير النصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم ،وأحرى أن يكتفي به العبد .

(1) التدوين في أخبار قزوين /عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني /تحقيق. عزيز الله العطاردي /ج: 2 ص: 99 / دار الكتب العلمية /بيروت 1987م

(2) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري ثقة ثبت جليل من الثالثة مات سنة ست ومائة ، تقريب التهذيب /لابن حجر / ج1 - ص 127

(3) سير أعلام النبلاء /للإمام الذهبي /ج: 4 ص: 535- 536

* سورة لأعراف آية: 6

(4) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه /ابن تيمية الحراني أبو العباس (661-727هـ . ت) /تحقيق . عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي /ج: 28 ص: 615 / مكتبة ابن تيمية

- وفيه أن النصح دليل صدق وإيمان ، فالיום خلت القلوب من الإيمان وتركت النصح لعباد الرحمن ، بل ابتلي الصف المسلم في واقعنا بمن حرموا لذة الإيمان ، ولم تُلمس خشية الله في قلوبهم يوما وأعانهم انقطاع الوحي الذي كان يكشف كل كاذب ومنافق في الصف ، أن يهتكوا ويعيروا ويفضحوا باسم الإسلام والحرص على دعوته بدعوى النصيحة .(1)
- وفيه أن النصيحة إذا استقرت في القلب، أشرق بسخاء النفس وسلامة الصدر ،من الغل والعداوة .
- وفيه توطين وتركيز على أدب النصح ، كتجنب النصح علانية ،ومحبة النصح ، والتواضع في قبول النصيحة .

القسم الثاني : نصيحة السلف لأصحابهم ولعامتهم .

- حيث دارت النصيحة دار سلف الأمة في فلکها ،وانهلوا للناس من فضلها ،وبنوا أجيال الأمة على أساسها ، وهل هناك أعظم من النصيحة التي تمثل ميزان الإسلام في الاعتدال والوضوح ، فحب السلف للنصيحة كان من أهم الأمور وأكد الواجبات ، هذا وقد رأيت أن اذكر نماذج من نصيحة السلف لأصحابهم على ما يأتي :
- أ- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (2)قال: لأبي رزين(3) وهو ينصحه: يا أبا رزين إذا كابد الناس قيام الليل وصيام النهار فكابد النصيحة للمسلمين، يا أبا رزين إذا أقبل الناس على الجهاد في سبيل الله فأحببت أن يكون لك مثل أجورهم فالزم المسجد تؤذن فيه لا تأخذ على ذلك أجراً(4)

- (1) ينظر المنهاج الإسلامي / د . هاشم محمد علي / ج : 2/ ص 326
- (2) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ثقة ، تقريب التهذيب/لابن حجر/ ج 1 - ص 645
- (3) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي ثقة فاضل من الثانية مات سنة خمس وثمانين وهو غير أبي رزين عبيد الذي قتله عبيد الله بن زياد بالبصرة ووهم من خلطهما، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 528
- (4) الفردوس بمأثور الخطاب / الديلمي /ج: 5 ص: 360

ب- قال الفضيل بن عياض لسفيان بن عيينة : (لئن كنت تحب أن يكون الناس مثلك ، فما أديت النصيحة لربك ، كيف وأنت تحب أن يكونوا دونك .) (1)

ت- عن أبي بكر الأعمش (2) قال : (أتيت آدم العسقلاني (3) فقلت له: عبد الله بن صالح (4) كاتب

الليث (5) يقرئك السلام فقال: لا تقرئه مني السلام قلت : ولم ؟ قال: لأنه قال القرآن مخلوق

فأخبرته بعذره ، وأنه أظهر الندامة ، وأخبر الناس بالرجوع ، قال : فاققرئه السلام فقلت له بعد أني

أريد أن أخرج إلى بغداد أفلك حاجة؟ قال: نعم ، إذا أتيت بغداد فأت أحمد بن حنبل فأقرئه

مني السلام وقل له يا هذا اتق الله وتقرّب إلى الله تعالى بما أنت فيه ولا يستفزنك أحد فإنك إن

شاء الله مشرف على الجنة ، وقل له أخبرنا الليث عن ابن عجلان (6) عن أبي الزناد (7) عن

(1) شعب الإيمان / للبيهقي / ج: 6 ص: 303

(2) اسمه (محمد بن أبي عتاب البغدادي أبو بكر الأعمش واسم أبيه طريف وقيل حسن بن طريف صدوق من الحادية عشرة مات سنة أربعين م ت) تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 495

(3) آدم بن أبي إياس عبد الرحمن العسقلاني أصله خراساني يكنى أبا الحسن نشأ ببغداد ثقة عابد من التاسعة مات سنة إحدى وعشرين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 86

(4) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة من العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين وله خمس وثمانون سنة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 308

(5) الليث بن سعد ويكنى أبا الحارث مولى لقيس ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان ثقة كثير الحديث صحيحه وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر وكان سرّيا من الرجال نبّيلا سخيا له ضيافة ومات يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي ، الطبقات الكبرى / محمد بن سعد أبو عبد الله البصري الزهري / ج 7 - ص 517 .

(6) محمد بن عجلان المدني صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة من الخامسة مات سنة ثمان وأربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 496

(7) عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد ثقة فقيه من الخامسة مات سنة ثلاثين وقيل بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 302

الأعرج(1) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أرادكم

على معصية الله فلا تطيعوه"(2) قال فأتيت أحمد بن حنبل في السجن فدخلت عليه فسلمت

عليه وأقرأته السلام وقلت له هذا الكلام والحديث فاطرق أحمد إطراقة ثم رفع رأسه فقال رحمه

الله حيا وميتا فلقد أحسن النصيحة) . (3)

ث- عن سفیان الثوري قال فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي(4): (عليك بالصدق في
المواطن كلها ، وإياك والكذب والخيانة ، ومجالسة أصحابها ، فإنها وزر كله ، وإياك يا أخي والرياء
في القول والعمل ، فإنه شرك بعينه ، وإياك والعجب ، فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب ، ولا
تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه ، فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه كمثل طبيب

(1) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث ثقة ثبت عالم من الثالثة مات سنة

سبع عشرة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 352

(2) رواه أحمد وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ، مسند أحمد برقم "11657" ج 3 - ص 67 سنن ابن

ماجه برقم "2863" ج 2 - ص 955 صحيح ابن حبان برقم "4558" ج 10 - ص 421 ، قال الكفائي :

هذا إسناد صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده ومثله ورواه

ابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم في المستدرک من طريق عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمرو به

وله شاهد من حديث ابن عمر رواه مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ينظر مصباح

الزجاجة ، باب لا طاعة للمخلوق في معصية الله ، ج: 3 ص: 176.

(3) تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / ج: 7 ص: 28-29 ، سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي / ج: 10 ص:

336 ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد / إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن

مفلح (884هـ. ت) / ت. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين / ج: 2 ص: 441 / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع /

الطبعة الأولى. / الرياض 1990 م

(4) علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن عبد الله بن العباس بن علي أبو الحسن بن أبي علي السلمي

الموازيني سمع أبا علي وأبا الحسين ابني أبي نصر وأبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن سعدان وأبا

القاسم بن الفرات ورشاً بن نظيف والأهوازي وغيرهم ، ينظر تاريخ دمشق / لابن عساكر / ج 41 - ص 320

به داء ، لا يستطيع أن يعالج داء نفسه وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم ، فهذا الذي لا يشفق على دينه كيف يشفق على دينك ؟ (1)

ج- وعن جعفر بن برقان (2) قال:

(قال لي ميمون بن مهران (3) يا جعفر: قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.) (4)

ح- عن زيد بن علي عن أبيه أن أبا سفيان جاء إلى علي رضي الله عنه فقال : يا علي بايعوا رجلاً أذل قريش قبيلة والله لئن شئت لنصد عنها عليه أقطارها ، ولأملأنها عليه خيلاً جرداً ورجالاً مرداً فقال له علي : يا أبا سفيان إن المؤمنين وإن بعدت ديارهم وأبدانهم قوم نصحة بعضهم لبعض ، وإن المنافقين وإن قربت ديارهم وأبدانهم قوم غششة بعضهم لبعض ، وإنا قد بايعنا أبا بكر - رضي الله عنه - وكان لذلك أهلاً. (5)

ومن هذه الأقوال نرى أهمية النصيحة عند سلف الأمة بل بلغ من أهمية النصيحة أن بعض السلف رضي الله عنهم من يبلغ به النصيح إلى أن ينصح غيره بما هو عليه كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : أنه أمر مولاه أن يشتري له فرساً فاشترى بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال ذلك إليك يا أبا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة مائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (430هـ ت) / ج: 7 ص: 82 / دار الكتاب العربي / الطبعة الرابعة / بيروت / 1405هـ.

(2) جعفر بن برقان الجزري مولى بني كلاب كنيته أبو عبد الله يروى عن ميمون بن مهران والزهرى وكان أمياً يروى عنه أهل بلده قدم الكوفة فكتب عنه الثوري وأهل العراق مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ذاهباً إلى بيت المقدس وهو بن أربع وأربعين سنة وقد قيل إن جعفر مات سنة سبع وأربعين ومائة والأول الأصح ، الثقات لابن حبان / ج 6 - ص 136

(3) ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب أصله كوفي نزل الرقة ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز وكان يرسل من الرابعة مات سنة سبع عشرة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 556

(4) سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي / ج: 5 ص: 75

(5) ينظر كنز العمال / علي بن حسام الدين المتقي الهندي / ج 5 ص 863

فاشترها بها فقليل له في ذلك فقال: انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم ، وهذه منقبة ومكرمة لجبرير (1)

والبعض الآخر بلغ به النصح أن ينصح قومه ولو بحصول ضرر له في دنياه (كما قال بعض السلف وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ياليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملت به، فكلما عملت فيكم بسنة وقع منى عضو حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي .)(2)

القسم الثالث : نصيحة السلف الصالح لأئمتهم .

كان سلف الأمة حريصين على تقديم النصح لأئمتهم بلطف ولين ورفق ، وهذا هو سر النجاة ورمز الأمان ، وعنوان القبول ، وكرامة الدعوة ، وعلو المنزلة ، لأهل الفضل في نصحتهم . فإن من الدين النصح لأئمة المسلمين وهذا أوجب ما يكون فكل من وآكلهم وجالسهم وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه). (3)

بل أجد أن كرامة العلماء وعلو منزلتهم ومنار هيبتهم ، تتمثل في نصحتهم للسلطان حيث كان للأمة في كل جيل من يتحمل هذه الأمانة بجدارة وشرف، فترفعه كلمة النصح إلى منازل الكرامة وإلى أفضل درجات الجهاد في سبيل الله ، فكان لنا أن نوثق نصح وعطاء هذه الطائفة الناصحة بأمانة، وان نسطر نصحتهم في سجل الخلود الكرامة جزاء صنيعهم وجزاء ما قدموا للأمة من بذل ونصح وعطاء، وهذه هي بعض نفحات من نصحتهم لأئمتهم وهي على ما يأتي :

أ- عن موسى بن أبي عيسى (4) قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشربة بني حارثة فوجد محمد بن مسلمة (5) فقال: يا محمد كيف تراني؟ قال: أراك كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير قويا على جمع المال عفيفاً عنه عدلاً في قسمه ولو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاف (6) قال: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني . (1)

(1) ينظر شرح النووي على مسلم / ج 2 - ص 40

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 81.

(3) ينظر التمهيد لابن عبد البر / الإمام ابن عبد البر / ج: 21 ص: 285

(4) موسى بن أبي عيسى أبو هارون المدني يروى عن أبي جعفر ونافع روى عنه ابن عيينة وهو أخو

عيسى بن أبي عيسى الخياط وموسى أقدم من عيسى ، الثقافات لابن حبان / ج 7 - ص 454

(5) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري صحابي مشهور وهو أكبر من اسمه محمد من الصحابة مات بعد

الأربعين وكان من الفضلاء ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 507

(6) الثَّقَافُ: ما تسوى به الرماح و تثقيفُها تسويتها ، ينظر مختار الصحاح / للرازي / مادة ثقف ، ج 1 ص 90

ب- عن جبير بن نفير (2) قال: (جلد عياض بن غنم) (3) صاحب دار حين فتحت فأغلظ له هشام

بن حكيم (4) القول حتى غضب عياض ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه ثم قال له ألم تسمع بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من أشد الناس عذاباً أشدهم عذاباً في الدنيا للناس" فقال عياض بن غنم : يا هشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت أولم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به ، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه" وانك أنت يا هشام لأنت الجريء، إذ تجترئ على سلطان الله، فهلا خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله) (5)

ت- وقيل لمالك بن انس (6) رضي الله عنه : إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: "يرحمك الله فأين المتكلم بالحق " (7)

- (1) ينظر سير أعلام النبلاء/ للإمام الذهبي / ج: 2 ص: 372
- (2) جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي أدرك الجاهلية ولا صحبة له يروى عن أبي ذر وأبي الدرداء روى عنه أهل الشام كنيته أبو عبد الرحمن مات سنة ثمانين بالشام ، الثقات لابن حبان / ج 4 - ص 111
- (3) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال ، سير أعلام النبلاء /للذهبي /ج 4 - ص 21
- (4) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي صحابي بن صحابي له ذكر في الصحيحين في حديث عمر حيث سمعه يقرأ سورة الفرقان مات قبل أبيه ووهم من زعم أنه استشهد بأجنادين ، تقريب التهذيب /لابن حجر / ج 1 - ص 572
- (5) رواه أحمد ، مسند أحمد برقم "15369" ج 3 - ص 403، وقال الهيثمي : في الصحيح طرف منه من حديث هشام فقط رواه أحمد ورجاله ثقات إلا اني لم أجد لشريح من عياض وهشام سماعا وان كان تابعيا. ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج: 5 ص: 230 ، دار الفكر، بيروت - 1412 هـ .

(6) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقنين وكبير المتنبئين حتى قال البخاري أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن بن عمر من السابعة مات سنة تسع وسبعين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقال الواقدي بلغ تسعين سنة ، تقريب التهذيب /لابن حجر/ ج 1 - ص 516

(7) سير أعلام النبلاء /للإمام الذهبي /ج: 8 ص: 111

ث- قال ابن الجوزي (1) يوما في وعظه : (يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفتُ منك، وإن سكْتُ خفتُ عليك، وأنا أقدم خوفاً عليك على خوفاً منك، فقول الناصح : اتق الله خير من قول القائل
أنتم أهل بيت مغفور لكم) (2)

ج- عن أبي المغيرة بن شعيب (3) قال: حضرت يحيى بن خالد البرمكي (4)، يقول لابن السماك: (5) إذا دخلت على هارون الرشيد أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه، قال فلما دخل عليه، وقام بين يديه قال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً، وإن لك من مقامك منصرفاً فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار؟ قال فبكى هارون حتى كاد يموت (6)
ح- الإمام أبو حامد الغزالي أحد علماء زمانه، ولقد نصح أهل زمانه عامة وخاصة، ولقد كان من نصحه رسالة بعث بها إلى أحد حكام عصره، وهو فخر الملك، قال له فيها:

(اعلم أن هذه المدينة (مدينة طوس) خراباً بسبب المجاعات والظلم، ولما بلغ الناس توجعهم من أسفرائين.. خافوا، وبدأ الفلاحون يبيعون الحبوب، واعتذر الظالمون إلى المظلومين واستسمحوهم، لما كانوا يتوقعون من إنصاف منك، واستطلاع للأحوال، ونشاط في الإصلاح. أما وقد وصلت إلى طوس، ولم ير الناس شيئاً، فقد زال الخوف، وعاد الفلاحون والخبازون إلى ما كانوا عليه من الغلاء الفاحش والاحتكار، وتشجيع الظالمون، وكل من يخبرك من أخبار هذا البلد

- (1) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج الواعظ قال محب الدين بن النجار : هكذا كان يكتب نسبه بخطه وهكذا رأيته بخط شيخه ابن ناصر ، الوافي في الوفيات /الصفدي /ج1 - ص 2580
- (2) سير أعلام النبلاء /للإمام الذهبي /ج: 21 ص: 372
- (3) محمد بن المغيرة بن شعيب الدقاق حدث عن عفان بن مسلم روى عنه ابنه عبد الرحمن ، تاريخ بغداد /الخطيب البغدادي / ج 3 - ص 283
- (4) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي كان المهدي قد ضم هارون الرشيد إليه وجعله في حجره فلما استخلف هارون عرف ليحيى حقه وكان يعظمه وإذا ذكره قال أبي وجعل اصدار الأمور وإيرادها إليه إلى أن نكب هارون البرامكة فغضب عليه وخلده الحبس إلى ان مات ، تاريخ بغداد ، ج 14 - ص 128
- (5) ابن السماك : الواعظ أبو الحسين أحمد بن الحسين بن أحمد ، الوافي في الوفيات / ج 1 - ص 2148
- (6) صفة الصفوة / عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج/ ج 3 - ص 174

بخلاف ذلك، فاعلم أنه عدو دينك. واعلم أن دعاء أهل طوس بالخير والشر مجرب، وقد نصح للعميد كثيراً، ولكنه لم يقبل النصيحة، وأصبح عبرة للعاملين، ونكالاً للآخرين، واعلم يا فخر الملك، أن هذه الكلمات لاذعة مرة قاسية لا يجرؤ عليها إلا من قطع أمله من جميع الملوك والأمراء، فاقدروها قدرها، فإنك لا تسمعها من غيري، وكل من يقول غير ذلك، فاعلم أن طمعه حجاب بينه وبين كلمة الحق (1).

هذه هي بعض الأقوال في نصح السلطان وما تركته كثيراً لا يسع المجال لذكره ها هنا والإلمام بجميع جوانبه يحتاج إلى بحث خاص لجمع رأس هذه الثروة الرابحة من عطاء ونصح العلماء للسلطين والممالك والوزراء ومن هذه الأقوال التي سبقت أجملت وخرجت بجملة من المسائل :

أولاً : حرص سلف الأمة على نصح السلطان ومناصحة الأئمة برفق ولين ولطف.

ثانياً : يتضح أن النصح للأئمة واجب شرعي وضرورة لأطر السلطان على الحق أطراً.

ثالثاً : تحلي سلف الأمة بلطف الأسلوب في النصيحة لائمتهم .

رابعاً : نصيحة الحاكم أعمق أثراً، وأشد خطراً من نصيحة أفراد الرعية، وبخاصة إذا صدرت من عالم ورع تقي .

ثالثاً : من خلال استقرائي لهذه الأقوال، وجدت شروطاً واضحة وضعها سلف علماء الأمة، لنصح السلطان، فكانت نفحة صادقة في فقه النصح عند السلف الصالح، رضوان الله عليهم منها:

- نصح السلطان سراً لأنه انفع من الفوضى والتشهير الذي يعد من مقدمات الخروج على السلطان .

كما جاء عن سعيد بن جمهان (2) قال : (لقيت عبد الله بن أبي أوفى (3) وهو محجوب البصر فسلمت عليه فقال من أنت . قلت : أنا سعيد بن جمهان قال : ما فعل والدك . قلت :

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ، ص 238 - 239 ، نقلاً عن رسائل الغزالي بالفارسية. دار القلم ، الطبعة الأولى .

(2) سعيد بن جمهان بضم الجيم وإسكان الميم الأسلمي أبو حفص البصري صدوق له أفراد من الرابعة مات سنة ست وثلاثين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 234

(3) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرًا مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 296

قتلته الازارقة . قال لعن الله الازارقة حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنهم كلاب النار"(1) . قال قلت : الازارقة وحدهم أم الخوارج كلها قال بل الخوارج كلها قال: قلت فان السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بهم قال : فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة ثم قال: ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم مرتين أن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه. (2)

- ومن الشروط أن يسمع منه السلطان ويقف عند نصحه (فقد سئل مالك بن أنس أيأتي الرجل إلى السلطان فيعظه وينصح له ويندبه إلى الخير؟ فقال : إذا رجا أن يسمع منه وإلا فليس ذلك عليه. (3)

- تجنب مدح السلطان في ووجهه والثناء على كذبه. كما كان الفضيل بن عياض يشدد في هذا فيقول: (ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء قالوا : كيف ذلك؟ قال : يمدحه في وجهه ، ويصدقه في كذبه. وذكر احمد بن حنبل عن ابن المبارك قال: لا تأتهم فإن أتيتهم فأصدقهم قال: وأنا أخاف ألا أصدقهم (4)

- الصبر والدعاء بصلاح السلطان إن لم يتمكن من نصحه . قال الإمام ابن عبد البر : (إن لم يكن يتمكن نصح السلطان فالصبر والدعاء فإنهم كانوا ينهاون عن سب الأمراء) (5)

- أن نصح السلطان خاص بأهل العلم والبصيرة وبأهل الحل والعقد في كل وقت وزمان فهي وظيفة العلماء لأنهم لسان الحق وورثة الأنبياء ولا يمكن أن تكون لغيرهم حتى لا يكون الأمر

(1) رواه احمد ، برقم " 19434 " ج 4 - ص 382 ، المستدرك على الصحيحين ، ج 2 - ص 163 قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات . ينظر مجمع الزوائد ، ج 5 - ص 414 ، وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات غير حشر بن نباتة فقد وثقه أحمد ويحيى بن معين وأبو داود والعباس بن عبد العظيم العنبري وقال أبو زرعة : لا بأس به مستقيم الحديث واختلف قول النسائي فيه ... وسعيد بن جهمان صدوق له أفراد فيما قاله الحافظ في التقريب - قلنا (الأرنؤوط) : وهذا منها - وقال البخاري : في حديثه عجائب ينظر مسند احمد ج 4 - ص 382 .

(2) مجمع الزوائد / الهيثمي / ج: 5 ص: 230

(3) التمهيد لابن عبد البر / للإمام ابن عبد البر / ج: 21 ص: 285

(4) المصدر نفسه / ج: 21 ص: 286

(5) المصدر نفسه / ج: 21 ص: 287

فوضى ، أو يتولاه من لا يحسنه ، وحتى يعطى لأهل الشأن مكانتهم فيكون النصح لهم أحسن إجابة وأكثر قبولا وأجدى انضباطا .

القسم الرابع : نصيحة الإمام لرعيته .

النصيحة متبادلة بين الراعي والرعية ، فالرعية تقوم بالنصح للسلطان لتقويمه والراعي ينصح لرعيته بحفظه لدينهم وحياتهم ومصالحهم ، وان يسوسهم بحزم وعدل وصدق ، وان يحكم كتاب الله في جميع شؤونهم ، فهذا من أرقى أنواع النصح لهم ، لذا لابد من بيان نصيحة الأئمة من قادة الإسلام ورواد الحضارة من سلف هذه الأمة ، الذين جادوا بأنفسهم وحياتهم ، ونصحهم وجهادهم في سبيل دينهم ، وخدمة أمتهم فأوصلوها إلى منصة الحضارة ، وتوجوها بوسام العز ، بسبب نصحتهم لله ونصحهم لآمتهم . ومن هذه النصائح .

أولا : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما بايع الناس أبا بكر رضي الله عنه البيعة العامة بعد بيعة السقيفة قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : " أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح عنته إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله) (1)

ثانيا : عن عروة بن الزبير (2) رضي الله عنه قال : (أن عمر رضي الله تعالى عنه قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال : " يا أيها الناس : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار

(1) ينظر البداية والنهاية لابن كثير / لابن كثير / ج: 5 ص: 248

(2) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني ثقة فقيه مشهور من الثالثة مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 389 .

موافاة الحساب بأخذ حقوقكم .. وبالسير فيكم كيف أسير فربي المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأيبده (1)

وكان يقول لرعيته أيضا : (أيتها الرعية : إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ، وإنه ليس من شيء أحب إلى الله ، وأعم نفعاً من حلم إمام ورفقه ، وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه) (2)

ثالثا : يروى أن معاوية بن يزيد (3) نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم : (فاجتمع الناس ، فقال لهم فيما قال : يا أيها الناس : أني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه ، فان أحببتم تركتها لرجل قوى كما تركها الصديق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب لتختاروا من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم ثم نزل ودخل منزله ، فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى .) (4)

رابعا : عن الإمام الشعبي (5) رحمه الله قال : (لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة ، تلقته قريش فقالوا الحمد لله الذي أعز نصرنا وأعلى التابعين ، فسكت حتى دخل المدينة وعلا المنبر ، فحمد الله وقال أما بعد : فإنني والله وليت أمركم حين وليته ، وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها ، وإنني لعالم بما في نفوسكم ، ولكن خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمت نفسي على عمل أبي بكر وعمر فلم أجدها تقوم بذلك ، ووجدتها عن عمل عمر أشد نفورا ، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت عليّ ، وأين مثل هؤلاء هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم رحمة الله ورضوانه عليهم غير أني سلكت طريقا لي فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك ولكل فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة ، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه ، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني ، وإن لم

(1) تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (224-310 هـ . ت) / ج : 2 ص : 573 / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى - بيروت 1407 هـ .

(2) الزهد لهناد / هناد بن السري الكوفي / ج : 2 ص : 602

(3) معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلي ، البداية والنهاية / لابن كثير / ج 8 - ص 236

(4) البداية والنهاية / لابن كثير / ج : 8 ص : 237-238

(5) عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة قال مكحول ما رأيت أفاقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 287

تجدوني أقوم بحققكم كله فارضوا ببعضه فإنها ليست بقائبة قوبها(1) ، وإن السيل إذا جاء يرى وإن قل أغنى وإياكم والفتنة فلا تهتموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستيصال أستغفر الله لي ولكم أستغفر الله ثم نزل .(2)

سادسا : عن الحسين بن منصور(3) قال: (أراد يحيى بن يحيى(4) الحج فاستأذن عبد الله بن طاهر الأمير(5) فقال أنت من الإسلام بالعروة الوثقى فلا أمن أن تمتحن فتصير إلى مكروه ، فهذا الإذن وهذه النصيحة فقعد)(6)

تعليق : بعد هذا العرض لنصح السلطان لرعيته، أقول ليست هذه النصائح كانت أقوالاً فحسب ،وما كانت دعاوى فقط ،بل كان لها أعظم برهان يصدقها ويشهد لها، ألا هو ما أحدثوه لأممهم وشعوبهم من صحوة ونهضة وحضارة ،شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، وحسبي أن أتساءل وأقول هل هناك أعظم من هذا النصح ؟ وهل يوجد في حضارة الأمم انصح من ذلك الجيل ؟ وهل يوجد في تاريخ الأمم أعظم من نصح هؤلاء القادة ؟ بل هل سمعتم وسمعنا في الأمم الأخرى كهذا النصح ؟ تأمل وانظر هذه النصائح ، وعش مع أحداثها ساعة بساعة هل ترى من تمويه وتخدير لإيمان الشعوب ، وزيف وبيع لمشاريع الأمة ، وضحك على الذقون وتلاعب بعواطف الأمم ،انظر ثم كرر النظرة وأطلق لبصرك العنان ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (7) لا تكاد تجد شرخاً أو تلاعباً أو ضحكاً أو قلباً للموازن والقيم، بحجة النصح لمصالح البلاد والعباد ،لان ذلك الجيل متمثل بالراعي والرعية جيل رباني تربى

(1) القائبة : البَيْضَةُ . والفُؤَب : الفَرْخ ، ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر/أبو السعادات المبارك بن

محمد الجزري/ تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ،مادة قوب ، ج 4 - ص 194 /المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م .

(2) سير أعلام النبلاء /للإمام الذهبي /ج: 3 ص: 148

(3) الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله السلمي أبو علي النيسابوري ثقة فقيه من العاشرة ، تقريب التهذيب /لابن حجر/ج 1 - ص 168

(4) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي أبو زكريا النيسابوري ثقة ثبت إمام من العاشرة ، تقريب التهذيب /لابن حجر /ج 1 - ص 598

(5) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق أبو العباس الخزاعي كان أمير المؤمنين المأمون ولاء الشام حرباً وخراجاً فخرج من بغداد إليها واحتوى عليها وبلغ إلى مصر ثم عاد فؤلاه المأمون إمارة خراسان فخرج إليها وأقام بها حتى مات ، تاريخ بغداد /الخطيب البغدادي /ج 9 - ص 483

(6) سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي /ج: 10 ص: 516-517

(7) سورة الملك -آية 4

على تنزلات الوحي وعلى أساس دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونصائحه قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ﴾⁽¹⁾

والخلاصة من هذه الأقوال كالآتي :

- نصحهم تمثل بطاعتهم ما أطاعوا الله ورسوله ، كما في نصيحة أبي بكر رضي الله عنه ، (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) فحدد لهم الميزان في مدى طاعته لله ورسوله.

- حق الأمة في نصيح الحاكم ومراقبته ومحاسبته . بقول أبو بكر رضي الله عنه (فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني)، وقول عمر رضي الله عنه (فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلومة أو عتب علينا في خلق، فليؤذني فإنما أنا رجل منكم)

- إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس، بقول أبي بكر رضي الله عنه (والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح عنه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق إن شاء الله) وقول عمر رضي الله عنه (وأن العدل في قسمكم كالذي أمر به، وإنني امرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذي، وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي وأتقدم وأبين لكم أمري) وقول معاوية بن يزيد (فإن أحببتكم تركتها لرجل قوى كما تركها الصديق لعمر وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب لتختاروا من هو صالح لذلك وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم) وقول معاوية بن أبي سفيان (فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فارضوا ببعضه فإنها ليست بقائبة قوبها، وإن السيل إن جاء تترى) هذا هو العدل والتنازل عن برج حظوظ النفس إلى إحقاق الحق والعدل .

الفصل الثاني

الفرق بين النصيحة وغيرها من الألفاظ التي تقاربها

ويتضمن التمهيد والمباحث الآتية :

المبحث الأول : الفرق بين النصيحة والتشهير .

المبحث الثاني : الفرق بين النصيحة والتأنيب .

المبحث الثالث : الفرق بين النصيحة والغيبة .

المبحث الرابع : الفرق بين النصيحة والنميمة .

تمهيد :

النصيحة لها صيغة وهيئة يجب على الناصح أن يلتزم بها وإلا خرجت النصيحة عن مفهومها إلى مفهوم آخر ، فمن هنا كان لابد من التفريق بين النصيحة وغيرها من الألفاظ كالتشهير والتأنيب والتوبيخ ، كما أن من واجبات المسلم النصح لأخيه المسلم ، ويدور معنى النصح على إرادة الخير للمنصوح ، ومن سبله دلالاته على ما ينفعه وتحذيره مما يضره . فلو استشاره في أمر من الأمور ، كالمصاهرة مع إنسان أو مشاركته في عمل أو تجارة ، أو إيداعه مالا أو معاملته ، أو مجاورته أو ينقل إليه خبر ما ، ونحو ذلك ، فإن على الناصح أن يبين للمستشير

عما يعرفه عن المسؤول عنه وان كان في هذا البيان ذكر مساوئ المسؤول عنه مما يدخله في حدود الغيبة أو النميمة حسب الظاهر، ولكنها غيبة ونميمة مغتفرة، لأنها في الحقيقة نصيحة للمستشير، ومن ثم جازت باتفاق العلماء، بشرط أن تكون بنية النصيحة، وبقدر ما تقتضيه النصيحة والمشاورة

ولهذا سنتناول في هذا الفصل عدة مباحث تتعلق بهذا على الوجه الآتي :

المبحث الأول الفرق بين النصيحة والتشهير

لابد أن يحرص الناصح على عدم التشهير في نصحه بالمنصوح له، وهذا آفة يقع فيها كثير من الناس، تراه يخرج النصيحة في ثوب خشن، ولكن إذا دقت فيها وجدت أنه يقصد التشهير بالمنصوح، وهذا ليس من أدب النصيحة في شيء، وليس من أخلاق المسلمين، وربما أفضى ذلك إلى حصول سوء، أو زيادة شر، ولم تؤت النصيحة ثمرتها المرجوة. وسينصب هذا المبحث على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: التشهير عند أهل اللغة والاصطلاح .

قليل معرب وقليل عربي مأخوذ من (الشُّهْرَة)، وهي الانتشار. (1)

(1) المصباح المنير / الفيومي / مادة الشهر، ج 1 - ص 325

وقال ابن منظور عن التشهير : الشُّهْرَةُ ظهور الشيء في شُنْعَةٍ ، حتى يَشْهَرَهُ الناس ، وفي الحديث : " من لَبَسَ شُهْرَةً أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ " (1) قال الجوهرى : الشُّهْرَةُ وُضُوح الأمر ، وقد شَهَرَهُ يَشْهَرُهُ شَهْرًا وشُهْرَةً فَاشْتَهَرَ وشَهْرَةً تَشْهَرُ تشهيراً واشْتَهَرَهُ فَاشْتَهَرَ قال :
أَحَبُّ هُبُوطِ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبٌ
ويروى لَمُشْتَهَرٌ بِكَسْرِ الْهَاءِ ابن الأعرابي والشُّهْرَةُ الفضيحة أنشد الباهلي (2) :
أَفِينَا تَسُومُ الشَّاهِرِيَّةَ بَعْدَمَا بَدَأَ لَكَ مِنْ شَهْرِ الْمُلَيْسَاءِ كَوَكَبٌ ؟
قال ثعلب (3) ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إِذَا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا شَهْرُنَا
أَحْسَنَكُمْ اسْمًا ، فَإِذَا رَأَيْنَاكُمْ شَهْرُنَا أَحْسَنَكُمْ وَجْهًا فَإِذَا بَلَوْنَاكُمْ كَانَ الْاِخْتِيَارُ ، وَالشَّهْرُ الْقَمَرُ سَمِي
بِذَلِكَ لَشُّهْرَتِهِ وَظُهُورِهِ وَقِيلَ إِذَا ظَهَرَ وَقَارَبَ الْكَمَالَ (4) .
وأما عند أهل الاصطلاح :

لم أجد تعريف واضحاً عند أهل العلم عن التشهير فيما وقع تحت يدي من مصادر ،
وارى أن التشهير يأتي قريباً من معنى الفضيحة ، وهي محبة كشف مساوئ المرء ونشرها بين
الناس .

قال المناوي : الفضيحة انكشاف مساوئ الإنسان من الفضيحة وهي الشهرة (5)

(1) رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، مسند أحمد بن حنبل ، برقم " 5664 " ج 2 - ص 92 سنن
أبي داود ، كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة برقم " 4029 " ج 2 - ص 441 ، السنن الكبرى ، ذكر ما
يستحب من الثياب وما يكره برقم : 9560 ، ج : 5 ص : 460 ، سنن ابن ماجه ، باب من لبس شهرة من
الثياب برقم : 3606 ج : 2 ص : 1192 . قال الشوكاني : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحديث أخرجه
أيضاً النسائي ورجال إسناده ثقات رواه أبو داود عن شيخه محمد بن عيسى بن بحيح بن الطباع قال فيه أبو
حاتم مبرز ثقة له عدة مصنفات عن أبي عوانة الوضاح وهو ثقة عن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وقد أخرج
له البخاري في الأنبياء عن المهاجر بن عمرو البسامي وقد أخرج له ابن حبان في الثقات عن ابن عمر
وأخرجه أيضاً من طريق محمد بن عيسى عن القاضي شريك عن عثمان بذلك الإسناد . ينظر : الدراري
المضية شرح الدرر البهية ، محمد بن علي الشوكاني ، ج : 1 ص : 95 ، دار الجيل - بيروت ، 1407 -
1987 .

(2) أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي وزعموا أنه كان ابن أخت الأصمعي وليس هذا بثبت ورأيت جعفر بن
محمد ينكره وكان أثبت من عبد الرحمن وأسنى وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وأقام ببغداد فربما
حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني ، المزهري في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 350
(3) ثعلب : إمام الكوفيين اسمه أحمد بن يحيى ، المزهري في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 365
(4) لسان العرب / لابن منظور / مادة شهر ، ج 4 - ص 431
(5) التعريف / للمناوي / ج 1 - ص 560

فأرى أن التشهير هو : محبة انكشاف مساوئ الإنسان ، ونشرها بين الناس ، فلا يخرج التشهير عن هذا المعنى .

المطلب الثاني : الأحاديث التي جاءت في ذم التشهير وتقديم النصيحة .

لا يوجد حديث صريح في ذم التشهير ، واعتمدت على أحاديث فيها إشارة إلى ذم التشهير ، ومن هذه الأحاديث :

الحديث الأول : ما أخرجه الترمذي رحمه الله بسنده عن ثوبان⁽¹⁾ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تؤذوا عباد الله ، ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته) .⁽²⁾

الحديث الثاني : عن أبي ذر⁽³⁾ رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أشاد⁽⁴⁾ على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها في الحق يوم القيامة .)⁽⁵⁾

الحديث الثالث : عن سهل بن معاذ⁽¹⁾ بن أنس الجهني عن أبيه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من حمى مؤمنا من منافق " أراه قال " بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال " ⁽²⁾

(1) ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي مشهور يقال إنه من العرب حكيم من حكم بن سعد حمير وقيل من السراة اشتراه ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمه إلى أن مات ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين قاله بن سعد وغيره ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر ج / 1 - ص 413

(2) رواه احمد ، برقم " 22455 ج 5 - ص 279 ، قال : شعيب الأرئوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في تعظيم المؤمن برقم : 2032 ج : 4 ص : 378 ، قال : أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد وروى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه وروي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا ، صحيح ابن حبان ، باب الغيبة ، برقم : " 5763 ج : 13 ص : 75 ، قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال ميمون بن عجلان وهو ثقة ، ينظر مجمع الزوائد ، ج : 8 ص : 87

(3) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر ج / 7 - ص 125

(4) قال أبو عبيد : قوله أشاد يعني : رفع ذكره بها و نوه به و شهره بالقبيح ، ينظر شعب الإيمان ، البيهقي ، ج 7 - ص 107 .

(5) الحديث ضعيف ، قال الحافظ العراقي : عبد الله بن ميمون فإن لم يكن القداح فهو متروك اه . ورواه عنه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي ، فيض القدير ، ج 6 - ص 62 كنز العمال / ج 3 - ص 1058

الحديث الرابع : عن معاذ بن جبل⁽³⁾ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ".⁽⁴⁾

المطلب الثالث: الفرق بين النصيحة والتشهير.

فالفرق بين النصيحة والتشهير، أن النصيحة: هي إرادة الناصح الخير للمنصوح لا التشهير به، فمن شهر بالمنصوح أمام الناس، فقد خرج عن مفهوم النصيحة فهذا هو الضابط والفرق بين النصيحة والتشهير ، فالنصيحة لها صيغة وهيئة تحتاج إلى تلطف ورفق، وإلا صارت فضيحة، وكان فسادها أكثر من صلاحها، وقال الإمام الغزالي (رحمه الله) في بيان الصيغة المثلى في تقديم النصيحة: (فالعتاب في السر خير من القطيعة، و التعريض به خير من التصريح، و المكاتبة خير من المشافهة، و الاحتمال خير من الكل، إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه، واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه)⁽⁵⁾

كما أن النصيحة بقصد التشهير والفضيحة تدخل في باب المراء قال المناوي (رحمه الله) : (والمراء قبيح جدا لأن فيه إيذاءً للمخاطب وتجهيلاً له، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها، بمزيد من الفطنة والعلم، ثم هو مشوش للعيش، فإنك لا تمار سفيهاً إلا ويؤذيك، ولا حليماً إلا ويقلبك، ويحقد عليك، ولا ينبغي أن يحدك الشيطان ويقول أظهر الحق ولا تدهن فيه، فإن الشيطان أبداً يسخر بالحمقى إلى الشر في معارض الخير، فلا تكن ضحكة له يسخر بك

(1) سهل بن معاذ بن أنس الجهني يروي عن أبيه روى عنه يزيد بن أبي حبيب وزبان بن فائد عداة في

أهل مصر لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زيان بن فائد عنه ، الثقات لابن حبان / ج 4 - ص 321

(2) رواه احمد برقم " 15687 " ج 3 - ص 441 قال : شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، سنن أبي داود

ج: 4 ص: 270 ، باب من رد عن مسلم غيبة، برقم 4883 قال : المنذري سهل بن معاذ الغرماء أبو أنس

مصري ضعيف، ينظر عون المعبود ج: 13 ص: 155.

(3) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدى بن علي بن أسد بن

ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن نابي بن تميم بن كعب بن سلمة أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي

الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 6 - ص 136

(4) سنن الترمذي ، برقم " 2505 " ج: 4 ص: 661 قال أبو عيسى هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل

وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل وروي عن خالد بن معدان أنه أدرك سبعين من أصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم ومات معاذ بن جبل في خلافة عمر بن الخطاب وخالد بن معدان روى عن غير واحد أصحاب

معاذ عن معاذ غير هذا الحديث. قال الصنعاني : الحديث منقطع وكأن الترمذي حسنه لكثرة شواهد . ينظر :

سبل السلام ، ج: 4 ص: 201.

(5) الإحياء / الغزالي / ج: 2 ص: 183

، فإظهار الحق حسن مع من يقبل منك، وذلك بطريق النصيحة لا الممارسة ومن خالط متفقهة العصر، غلب على طبعه المرء وعسر عليه الصمت، ففر منهم فرارك من الأسد. (1)

لذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم للنصيحة ضابطاً لئلا تخرج النصيحة عن مفهومها ، فتكون اقرب ما تكون إلى الفضيحة والتشهير بالمنصوح، فيما ظاهره النصح وكم ابتليت الأمة اليوم بمثل هذه النماذج فيمن يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بفضيحة المسلمين والتشهير بهم بقصد النصح والمناصحة. فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النصيحة للسلطان سراً، لئلا تخرج النصيحة عن مسارها وإذا كانت النصيحة للسلطان سراً فالأحرى أن تكون سراً بين أئمة المسلمين وعامتهم إلا إذا اقتضت المصلحة في ذلك - كأن يكون مرتكباً لبدعة ولم يقلع عنها بعد نصح ونصح .. أو يكون مرتكباً لفعل باطل أو فاسد عند جمهور الفقهاء أو اغلبهم - وهذا ما سيأتي بيانه وذكره قريباً إن شاء الله .

وعن شريح بن عبيد قال : (قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يأخذ بيده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه) (2)

وقال الأمام الغزالي (رحمه الله) : فعليك النصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل ، وفوائده تركه ، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ، لينتهي عنه ، وتنبهه على عيوبه ، وتقبح القبيح في عينه ، وتحسن الحسن ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد ، فما كان على المأل فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة و نصيحة. (3)

قال ابن حزم (رحمه الله) : (وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً ، وتعرض لا تصريح ، إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك ، فلا بد من التصريح ، ولا تنصح على شرط القبول منك ، فإن تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح ، وطالب طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة .) (4)

ذلك لأن المنصوح امرؤ يحتاج إلى جبر نقص وتكميله ، ولا يسلم المرء بذلك من حظ نفسه إلا لحظة خلوة وصفاء ، وهذه اللحظة تكون عند المسارة في السر ، وعندها تأتي النصيحة ثمرتها ، ولا يكون الناصح عوناً للشيطان على أخيه ، فإن الناصح في مأل يعين الشيطان على

(1) فيض القدير / المناوي / ج: 6 ص: 421

(2) سبق تخريجه ينظر ص 79 .

(3) ينظر الإحياء / للإمام الغزالي / ج: 2 ص: 182

(4) الأخلاق والسير في مداواة النفوس / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد / ج 1 ص 45

/دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية ، 1399 - 1979

صاحبه، ويوقظ في نفسه مداخل الشيطان، ويغلق أبواب الخير، وتضعف قابلية الانتفاع بالنصح عنده.

ولهذا المعنى فقد حرص سلفنا الصالح رضوان الله عليهم على النصح في السر دون العلن، وفي هذا المقام يقول الحافظ ابن رجب (رحمه الله): (وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرّاً حتى قال بعضهم⁽¹⁾: (من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه)⁽²⁾.

وقال الفضيل بن عياض (رحمه الله): ((المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير))⁽³⁾، ويعقب الحافظ ابن رجب (رحمه الله) على كلمة الفضيل هذه بقوله: (فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح، وهو أن النصح يقترب به الستر، والتعير يقترب به الإعلان)⁽⁴⁾.

ويقول الإمام أبو حاتم بن حبان البستي (رحمه الله تعالى): (النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل، ولكن ابداءها لا يجب إلا سرّاً، لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سرّاً فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد فيما يشينه)⁽⁵⁾.

وقيل لمسعر⁽⁶⁾: أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال: أن نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإن قرعني بين الملاء فلا، وقد صدق؛ فإن النصح على الملاء فضيحة و الله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة، فيضعه تحت كنفه⁽⁷⁾ في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا، وقد يدفع كتاب عمله مختوماً

(1) واسمه : سليمان الخواص، المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح / تحقيق : د. مفيد محمد قميحة / ج 1 ص 184 دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، 1986

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ص: 77.

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه / ص 82

(5) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / محمد بن حبان البستي أبو حاتم / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد / ص 196 / دار الكتب العلمية - بيروت ، 1397 - 1977

(6) مسعر بن كدام بكسر أوله وتخفيف ثانيه بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ثقة ثبت فاضل من السابعة مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 528

(7) ثبت هذا في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد " هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " سورة هود - الآيات 18 ، صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

﴿ برقم " 2309 " / ج 2 - ص 862

إلى الملائكة، الذين يحفون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه، وأما أهل المقت فينادون على رءوس الأشهاد، وتستنتق جوارحهم بفضائحهم، فيزدادون بذلك خزيًا وافتضاحاً، ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.⁽¹⁾

وإذا نظرت في كلام سلف الأمة وجدت حرص السلف على أن تكون النصيحة في السر لا في العلن حتى تخرج النصيحة من دائرة التشهير والتعريض بالناس، كما أن النصيحة بالسر أجدى وانفع من النصيحة في العلن لما يترتب على النصيحة بالعلن من عواقب وأمور منها

- إصرار المنصوح على الخطأ والتقصير .

- وإيغار الصدور على الناصح .

- وسوء الظن بالناس.

- وقطع الروابط والعلاقات بين الناصح والمنصوح،

أما إذا اقتضت المصلحة في ذلك ولزمت الضرورة أن تكون النصيحة أمام الناس، كأن يكون شخص في ظرف معين، لا يمكن إلا أنك توجه النصيحة إليه أمام الناس، ولا يوجد وقت أنسب من هذا الوقت، ولو أنك لم تنصحه فأت الوقت، للزمك أن تنصح له عندها، ومن الأمثلة على ذلك .

الحديث الأول :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: جاء سليك الغطفاني⁽²⁾ يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقعد سليك قبل أن يصلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أركعت ركعتين قال لا قال قم فأركعهما

تخريج الحديث

الحديث أخرجه الإمام مسلم⁽³⁾

تعليق على الحديث .

- يلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما تركه يجلس وينصحه بعد الصلاة على انفراد، لأنه لو سكت فعل المحذور، ولو جلس من غير أن يصلي ركعتين فات وقتهما وكيف

(1) ينظر الإحياء / للإمام الغزالي / ج:2 ص: 182

(2) سليك بن عمرو أو بن هدبة الغطفاني ووقع ذكره في الصحيح ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر ج 3 - ص 165

(3) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الجمعة ، باب التحية والإمام يخطب ، برقم " 875 " ينظر صحيح مسلم / ج 2 - ص 596

يقضيهما بعد ذلك؟ فلذلك أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقوم ويصلي الركعتين. فلم يعد هذا تشهيراً، قال الإمام النووي (وفي هذه الأحاديث أيضاً جواز الكلام في الخطبة لحاجة، وفيها جوازه للخطيب وغيره، وفيها الأمر بالمعروف والإرشاد إلى المصالح في كل حال وموطن)⁽¹⁾

الحديث الثاني :

عن أبي الزاهرية ⁽²⁾ قال: كنا مع عبد الله بن بسر ⁽³⁾ صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فجاء رجل يتخطى رقاب الناس، فقال عبد الله بن بسر: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " اجلس فقد آذيت "

تخريج الحديث

الحديث أخرجه أحمد أبو داود والنسائي وابن ماجه. ⁽⁴⁾

تعليق على الحديث .

- يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم نصحه أمام الناس لأنه كان يؤذي الناس، ولو سكت عنه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ونصحه بعد الصلاة، لترتب على ذلك أذية للمسلمين.

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام النووي / ج 6 - ص 164

(2) اسم أبي الزاهرية: حدير بن كريب الشامي سمع أبا أمامة وعبد الله بن بسر / ينظر التاريخ الصغير / محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / تحقيق : محمود إبراهيم زايد / ج 1 - ص 301 / دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة الطبعة الأولى ، 1397 - 1977

(3) عبد الله بن بسر بضم الموحدة وسكون المهملة المازني صحابي صغير ولأبيه صحبة مات سنة ثمان وثمانين وقيل ست وتسعين وله مائة سنة وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 297

(4) الحديث صحيح : رواه أحمد برقم " 17733 " ج 4 - ص 188 قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، سنن أبي داود ، باب تخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، برقم: " 1118 " ، ج: 1 ص: 292 ، السنن الكبرى ، كتاب الجمعة ، برقم : " 1706 " ج: 1 ص: 528 ، سنن ابن ماجه ، باب ما جاء في النهي عن تخطى الناس يوم الجمعة برقم: 1115 ، ج: 1 ص: 354 قال ابن حجر : ضعفه ابن حزم بما لا يقدح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو في حديث فيه ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا وهو عند أبي داود وعن معاذ بن أنس رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وفيه عن الأرقم بن أبي لأرقم مرفوعا الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الإثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه في النار . ينظر : ، تلخيص الحبير ، ج: 2 ص: 71 .

الحديث الثالث :

عن عروة⁽¹⁾ عن أبي حميد الساعدي⁽²⁾ أنه أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لي . فقال له: " أفلا قعدت في بيت أبيك وأملك فنظرت أيهدى لك أم لا " ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا " فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي "، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدى له أم لا ؟ فو الذي نفس محمد بيده لا يغفل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بغيره جاء به له رغاء وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار وإن كانت شاة جاء بها تيعر⁽³⁾ فقد بلغت) .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري⁽⁴⁾

تعليق على الحديث .

يلاحظ أن كل ما جاء نتيجة استخدام عامل في شيء من الفوائد أو العوائد فإنه يرجع إلى صاحب الحق أصلاً: (أفلا قعد في بيت أبيه وأمه) هذا تقرير؛ لأن القضية خطيرة، والمسألة تحتاج إلى نشرها بين الناس حتى يتعظوا بها، فقد يكون هناك سلبية في جرح شعور الشخص، لكن المصلحة أكبر من المفسدة، قال ابن حجر عن الحديث (وفيه جواز توبيخ المخطئ ، واستعمال المفضول في الإمارة والإمامة والأمانة ، مع وجود من هو أفضل منه)⁽⁵⁾

الخلاصة : من خلال هذا العرض والاستقراء اتضح لي أن سلف الأمة جعلوا ضوابط في أهم الفروق بين النصح التشهير وهي كما يلي:

أ- النصيحة تكون في السر، والتشهير يكون في العلن .

ب- يقوم بالنصح المؤمن، ويقوم بالتشهير الفاجر .

(1) سبقت ترجمته ، ينظر ص 83 .

(2) أبو حميد الساعدي اسمه المنذر بن سعد بن المنذر الأنماري من بني دينار بن النجار ويقال إن اسم أبي حميد عبد الرحمن بن سعد والأول أصح ، الثقات لابن حبان، ج 3 - ص 384

(3) "وهو صوت الشاة الشديد .. وقيل صوت المعز يعرت العنز تيعر بالكسر وبالفصح يعارا إذا صاحت" ينظر فتح الباري - لابن حجر ج 13 - ص 166

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم 6260 " ج 6 - ص 2446

(5) فتح الباري / لابن حجر / ج 13 - ص 167

ت- غرض الناصح الإصلاح وغرض المشهر الإفساد:الناصح مقصوده من نصحه الإصلاح وتسديد المسار، وتكميل النقص، وهذا بلا شك قصد شريف يشكر صاحبه عليه عند الناس، ويؤجر عليه عند الله. وعلى العكس من ذلك، فإن مقصد المشهر والمعيّر هتك الأعراض، وإشاعة الفساد والإفساد، وإيغار الصدور، وتتبع العورات، ولاشك أن هذا من أقبح الذنوب والأعمال عند الله وعند الناس.

ث- الناصح يؤدي حقاً واجباً عليه لأخيه المؤمن: فهو مأجور على نصحه لأخيه، وأما المشهر، فهو مهتك لحقوق عباد الله مفرق لجماعتهم، مفسد لدينهم، وبالتالي فهو آثم عند الله جزاء إيذاء عباد الله بإشاعة الأذى والفاحشة بينهم، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾⁽¹⁾

ج- الناصح يخلو من حظ النفس في الغالب، وأما المشهر فغير خال من حظ نفسه ومرض قلبه؛ ذلك لأن الناصح يحب لمنصوحه ما يحبه لنفسه من أفعال الخير، وبالتالي يحرص على ازدياده منها، ولو كان فيها حظ نفس لما أقدم على النصيحة. وأما المشهر فلا يحب من يريد التشهير به، ولا يحب له الخير، بل يرجو له الشر، ولا تخلو مقولته من حظ نفس يدفعه إلى الأذى والإفساد. هذه أهم الفروق بين النصح والتشهير.

ح- ومن أهم الضوابط في الفرق بين النصح والتشهير هو أن يعرف الناصح متى تكون النصيحة سرا ؟ ومتى تكون النصيحة علنا ؟

فيتوجب النصح سراً للمنصوح في الأحوال التالية :

- أ- أن يكون خطأ المنصوح غير ظاهر على الناس فيستحب أن ينصح سرا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)⁽²⁾
- ب- أن يكون المنصوح من ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد فيندب نصحه سرا . لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا

(1) سورة النور - الآية 19.

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، برقم " 2310 " / ج 2 - ص 862 ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم برقم " 2580 " / ج 4 - ص 1996

الحدود" ⁽¹⁾ قال الإمام النووي : (وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد). ⁽²⁾

ويتوجب النصح علناً للمنصوح في الأمور التالية :

أ- عندما يكون المنصوح معروفاً بخطئه . قال الإمام النووي : (فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر، إن لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله ..) ⁽³⁾

ب- عندما يكون المنصوح ممن يقتدى به، ويبلغون دين الله . قال الإمام النووي " أما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم، إذا رأى منهم ما يقدر في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه . " ⁽⁴⁾

ت- عندما يكون المنصوح من أهل البدع .

(فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم؛ كما جاء عن الحسن كان يقول : ليس لأهل البدع غيبة) ⁽⁵⁾

ث- عندما يكون الخطأ ظاهراً ومعلومًا بين الناس .

(1) رواه احمد ، برقم "25513" ج 6 - ص 181 قال شعيب الأرئوط : حديث جيد بطرقه وشواهد هذه وهذا إسناد قد اختلف فيه على أبي بكر ، سنن أبي داود ، كتاب الحدود ،باب في الحد يشفع ،برقم 4375 ، ج 2 - ص 538

(2) شرح النووي على مسلم ج 16 - ص 135

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

(5) شعب الإيمان /البيهقي /ج 7 - ص 111

المبحث الثاني الفرق بين النصيحة والتأنيب .

قد يشتهى على الناس اليوم أمر التأنيب ، فيعدونه ويحسبونه نصيحةً مندوبةً ومستحبةً ، لذا
لزم بيان الفرق بين النصيحة والتأنيب ، وبهذا سوف يقتصر هذا المبحث على ثلاثة مطالب في
هذا الجانب .

المطلب الأول : تعريف التأنيب عند أهل اللغة والاصطلاح

أما التأنيب عند أهل اللغة : مصدره أَنْبَ الرَّجُلُ تَأْنِيْبًا ، عَنَّفَهُ وَلاَمَهُ وَوَبَّخَهُ ، وقيل : بَكَّتْهُ .
والتَّأْنِيْبُ : أَشَدُّ الْعَذْلِ ، وهو التَّوْبِيْخُ والتَّشْرِيبُ . وفي حديث طَلْحَةَ ⁽¹⁾ رضي الله عنه أنه قال : لَمَّا

(1) صحابي جليل من العشرة المبشرة بالجنة " طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مرة التيمي أبو محمد المدني أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو بن ثلاث
وستين " ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 282

مات خالد بن الوليد استرجع عمر، رضي الله عنهم، فقلت يا أمير المؤمنين: ألا أراك، بُعِدَ الموت، تَنْدُبُنِي وفي حَيَاتِي ما زَوَّدْتَنِي زَادِي
فقال عمر: لا تُؤَنِّبُنِي. التَّائِبُ: المُبَالِغَةُ فِي التَّوْبِخِ وَالتَّعْنِيفِ. ومنه حديث الحسن بن علي⁽¹⁾
لَمَّا صَالَحَ مُعَاوِيَةَ، رضي الله عنهم، قيل له: سَوَّدَتْ وَجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ. فقال: لا تُؤَنِّبُنِي ومنه
حديث توبة كعب بن مالك⁽²⁾، رضي الله عنه: ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي.⁽³⁾
أما عند أهل الاصطلاح فمعناه: التوبيخ واللوم.⁽⁴⁾
وقال ابن القيم التائب: معناه التعيير والإهانة والذم والشتم في صورة النصيح⁽⁵⁾ ..

المطلب الثاني: أحاديث في ذم التائب والتوبيخ وتقديم النصيحة .

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اضربوه" قال فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم: "أخزأك الله" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقولوا هكذا ولا تعينوا الشيطان عليه"⁽⁶⁾ وفي رواية قال: (لا تقولوا هكذا لكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه)⁽⁷⁾ وفي رواية أخرى قال (لا تلعنوه فإنه يجب الله ورسوله)⁽⁸⁾

- (1) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه مات شهيدا بالسم سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين وقيل بل مات سنة خمسين وقيل بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 162
- (2) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن الجشم بن الخزرج الأنصاري السلمي المدني شهد العقبة من الثلاثة الذين تخلفوا ... من الذين نزل فيهم قراناً بتوبتهم ، ينظر الثقات لابن حبان / ج 3 - ص 350
- (3) لسان العرب / لابن منظور ، مادة أنب ، ج: 1 ص: 216-217
- (4) كتاب العين / أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي / تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي/ مادة أنب ، ج 8 - ص 384 / دار ومكتبة الهلال
- (5) ينظر الروح / لابن القيم / ج 1 - ص 257 / ، بتصرف من الباحث .
- (6) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعل ، برقم " 6395 " ، ج 6 - ص 2488 .
- (7) سنن البيهقي الكبرى ج: 8 ص: 312
- (8) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة ، برقم 6398 ج: 6 ص: 2489.

الحديث الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وهو جالس فقال: اللهم اغفر لي ولحمد ولا تغفر لاحد معنا قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " لقد احتظرت⁽¹⁾ واسعا" ثم ولى الأعرابي حتى إذا كان في ناحية المسجد فحج ليبول فقال الأعرابي بعد أن فقه في الإسلام: " فقام إلي رسول الله فلم يؤنبني ولم يسبني" وقال: " إنما بني هذا المسجد لذكر الله والصدقة وإنه لا يبال فيه" ثم دعا بسجل من ماء فأفرغه عليه⁽²⁾

الحديث الثالث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا زنت أمة أحدكم فتيين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها⁽³⁾ ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب ثم إن زنت الثالثة فتيين زناها فليبعها ولو بجبل من شعر⁽⁴⁾ الحديث الرابع : عن عبد الله بن عمر⁽⁵⁾ رضي الله عنهما قال :مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: " إنك لتستحيي" حتى كأنه يقول " قد أضربك" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه فإن الحياء من الإيمان⁽⁶⁾

المطلب الثالث : الفرق بين النصيحة والتأنيب .

قال ابن القيم رحمه الله (فالنصيحة هي إحسان إلى من تنصحه ، بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له ، وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة ، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه ، فيتلطف في بذلها غاية التلطف ، ويحتمل أذى المنصوح ولائمه

(1) احتظرت بحاء مهملة وظاء مشالة بمعنى امتنعت مأخوذ من الحظار بكسر أوله وهو الذي يمنع ما وراءه ، ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج 10 ص 439

(2) سنن ابن ماجه ، باب الارض يصيبها البول كيف تغسل برقم : " 529 ج: 1 ص: 176 ، صحيح ابن حبان ، باب الادعية برقم : " 1402 ج: 4 ص: 248 وقال شعيب الارنؤوط ، اسناده حسن ، قال ابن حجر : أخرجه ابن ماجه وصححه ، ينظر : فتح الباري ج: 10 ص: 439 .

(3) (أي لا يجمع عليها العقوبة بالجلد وبالتعير وقيل المراد لا يقتنع بالتوبيخ دون الجلد .. قال ابن بطال يؤخذ منه أن كل من أقيم عليه الحد لا يعزر بالتعنيف واللوم وإنما يليق ذلك بمن صدر منه قبل أن يرفع إلى الإمام للتحذير والتخويف فإذا رفع وأقيم عليه الحد كفاه) ينظر فتح الباري - لابن حجر ج 12 - ص 166 (4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع العبد الزاني برقم " 2045 " ، ج: 2 ص: 756 / صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، برقم " 1703 / ج: 3 ص: 1328

(5) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث ببسير واستصغر يوم أحد وهو بن أربع عشرة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادة وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 315

(6) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الآداب ، باب الحياء برقم " 5767 " ، ج: 5 ص: 2268

ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق المريض المشيع مرضاً، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرتة، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح . وأما المؤنب فهو رجل قصده التعبير والإهانة، وذم من أنبه، وشتمه في صورة النصح، فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا يا مستحقاً الذم والإهانة في صورة ناصح مشفق وعلامة هذا: أنه لو رأى من يحبه ويحسن إليه على مثل عمل هذا أو شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئاً، ويطلب له وجوه المعاذير، فإن غلب قال: "واني ضمنت له العصمة، والإنسان عرضه للخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه، والله غفور رحيم" ونحو ذلك فيا عجباً كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه؟ وكيف كان ذلك منك التأنيب في صورة النصح؟ وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير؟ (1)

ومن الفروق بين الناصح والمؤنب، أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال قد وقع أجرى على الله، قبلت أو لم تقبل، ويدعو لك بظهر الغيب، ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس، والمؤنب بخلاف ذلك (2) وهذا من أهم الفروق بين النصيحة والتأنيب، كما أن النصيحة بقصد التأنيب والتوبيخ هي غش وخيانة للمنصوح، وهذه الصورة هي طريقة الفجرة والمنافقين، لأن المؤمنين بعضهم لبعض نصحة وادون، كما قال تعالى عنهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (3) والمنافقون بعضهم من بعض، غششه متخاونون، كما قال تعالى عنهم ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...﴾ (4) ومن الفروق بين النصيحة والتوبيخ والتأنيب هو الأسرار والإعلان بها، قال الإمام الغزالي (رحمه الله): (فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان، كما أن الفرق بين المداراة والمداينة بالغرض الباعث على الإغضاء فإن أغضيت لأغضيت لسلامة دينك، ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك، واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن، و قال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة) (5)

(3) الروح / لابن القيم الجوزية/ج: 1 ص: 257

(2) ينظر المصدر نفسه / ج: 1 ص: 258

(3) سورة التوبة -آية 71

(4) سورة التوبة -آية 67

(5) الإحياء / للإمام الغزالي /ج: 2 ص: 182

وقال ابن حزم (رحمه الله): (النصيحة مرتان فالأولى فرض وديانة، والثانية تنبيه وتذكير، وأما الثالثة فتوبيخ وتقرير، وليس وراء ذلك إلا التركل واللطم، اللهم إلا في معاني الديانة، فواجب على المرء ترداد النصح فيها، رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذى).⁽¹⁾

الخلاصة : وارى بعد هذا العرض الوقوف على أهم الفروق بين النصيحة والتأنيب، وهي على ما يلي :

- أ- أن النصح هو منهج المؤمنين، والتأنيب هو منهج الفجرة والمنافقين .
- ب- إن الناصح ينصح بدافع الرحمة والحرص والشفقة على المنصوح، أما المؤنب فينصح بدافع الذم والاهانة في صورة ناصح مشفق .
- ت- إن الناصح يبتغي في نصحه الإصلاح للناس، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽²⁾ أما المؤنب فيبتغي في نصحه الإفساد ابتغاء الفتنة والاهانة .
- ث- إن الناصح يتحمل في نصحه للمنصوح سوء خلقه وشراسة طبعه، طمعا في هدايته، وقبول نصحه فيخالطه ويصبر على أذاه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)⁽³⁾ أما المؤنب فلا يستطيع الصبر على حال المنصوح فيكيل له اللوم والاهانة والتوبيخ .
- ج- إن الناصح يتلطف بحال المنصوح وطبعه، كيما يصل الدواء إليه بكل جهد ممكن، أما المؤنب فهو على العكس من ذلك، يفسد المنصوح ويزيد من حدة طبعه وشراسته بالتعنيف والكبت واللوم

(1) الأخلاق والسير / لابن حزم الظاهري / ج1 ص45

(2) سورة هود - الآية 88

(3) الحديث صحيح، سنن الترمذي، برقم: 2507 ج: 4 ص: 662 قال شعيب الارنؤوط ، إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين ، سنن ابن ماجه ، باب الصبر على البلاء برقم: "4032" ج: 2 ص: 1338 ، مسند الإمام احمد ، برقم " 5022 " ج 2 ص 43 ، قال الصنعاني : أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي. ينظر : سبل السلام ، ج: 4 ص: 211 وقال أبو نعيم في الحلية ، غريب من حديث حبيب والأعمش تفرد به الزاهري ، حلية الأولياء ، ج5 ، ص73 ، فتح الباري ، ج: 10 ص: 512 .

ح- إن الناصح لا يناسب المنصوح العداء إذا لم يقبل نصحه لأنه يطلب أجره من الحق وحده ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾⁽¹⁾ أما المؤنب فهو قد ناصب المنصوح العداء من أول وهلة ، وذلك لفساد طويته وسوء نيته فأنى يوفق الله هذا في نصحه .

خ- إن الناصح لا يذكر عيوبك حين النصح ولا يبينها للناس ، أما المؤنب فقد جعل من عيوب المنصوح غرضاً ووسيلة لبث سموم إهانتته وذمه .

المبحث الثالث

الفرق بين النصيحة والغيبة .

اعتقد أن هذا المبحث من أهم المباحث التي تحتاج إلى بسط كافٍ وشافٍ لما يحضى به من أهمية ، وهو المعيار في التعامل بالغيبة على وجه الإباحة بقصد النصيحة ، ولهذا سينصب هذا المبحث على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الغيبة عند أهل اللغة والاصطلاح وأدلة تجريمها .

الغيبة عند أهل اللغة مصدرها : غيب و الغَيْبُ ما غاب عنك ، تقول غَابَ عنه ، من باب باع و غَيْبَةً أيضا و غَيْبُوبَةً و غُيُوبًا و غَيَابًا بالفتح و مَغِيْبًا وجمع الغائب غُيُوبٌ و غُيَابٌ بتشديد الياء فيهما ، و غَيْبٌ بفتحين مخففاً ، و غِيَابَةٌ هبطت ، و الْمُغَايِبَةُ خلاف المخاطبة ، و

(1) سورة هود - الآية 29

اغْتَابَهُ اغْتِيَابًا وَقَعَ فِيهِ، وَالْأَسْمُ الْغَيْبَةُ بِالْكَسْرِ، وَهِيَ أَنْ يَتَكَلَّمَ خَلْفَ إِنْسَانٍ مُسْتَوْرٍ، بِمَا يَغْمُهُ لَوْ سَمِعَهُ، فَإِنْ كَانَ صَدَقًا سُمِّيَ غَيْبَةً وَإِنْ كَانَ كَذِبًا سُمِّيَ بَهْتَانًا. (1)

وقال ابن منظور: (وَالْغَيْبَةُ: مِنَ الْاِغْتِيَابِ. وَاغْتَابَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ اغْتِيَابًا إِذَا وَقَعَ فِيهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَكَلَّمَ خَلْفَ إِنْسَانٍ مُسْتَوْرٍ بِسَوْءٍ، أَوْ بِمَا يَغْمُهُ لَوْ سَمِعَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ صَدَقًا، فَهُوَ غَيْبَةً؛ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا، فَهُوَ الْبَهْتُ وَالْبُهْتَانُ؛ وَرُوي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ سَمِعَ: غَابَهُ يَغْيِبُهُ إِذَا غَابَهُ، وَذَكَرَ مِنْهُ مَا يَسُوؤُهُ. ابن الأعرابي: غَابَ إِذَا اغْتَابَ. وَغَابَ إِذَا ذَكَرَ إِنْسَانًا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ وَ الْغَيْبَةُ: فِعْلَةٌ مِنْهُ، تَكُونُ حَسَنَةً وَقَبِيحَةً. وَ غَائِبُ الرَّجُلِ: مَا غَابَ مِنْهُ، اسْمٌ، كَالْكَاهِلِ وَالْجَامِلِ؛ أَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ، هَدْيُهُ، كَفَى الْهَدْيُ، عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ، مُخْبِرًا (2)

أما الغيبة عند أهل الاصطلاح: فقد اجمع العلماء على اعتماد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة كيف هي؟ وما هي؟ وهو المبين عن الله عز وجل فعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته. (3)

وقال الكرمانى (4) الغيبة: نوع من النسيئة لأنه لو سمع المنقول عنه ما نقل عنه لغمه. (5)
قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) في التمهيد: (وقد قيل إن الغيبة إنما هي أن تصفه على جهة العيب له بما في خلقته من دمامة وسوء خلق أو قصر أو عمش أو عرج ونحو ذلك وأما أن تدمه بما فيه من أفعاله فليس ذلك غيبة، وهذا عندي ليس بالقوي). (6)

(1) مختار الصحاح / للرازي / مادة غاب ، ج: 1 ص: 203

(2) لسان العرب / لابن منظور / مادة غيب ، ج: 1 ص: 656

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة ، برقم " 2589 " ، ج 4 - ص 2001 .

(4) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى ثم البغدادي شمس الدين الإمام العلامة في التفسير والحديث والفقه وكانت ولادته في سنة سبع عشرة وسبعمائة في شهر جمادى الآخرة ، طبقات المفسرين - الأندروى / ج 1 - ص 298

(5) فتح الباري / لابن حجر / ج 10 - ص 470

(6) التمهيد / أبو عمر يوسف بن عبد البر / ج 19 - ص 159

قال الحسن البصري (رحمه الله): للغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة ، والإفك ، والبهتان ، فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فإن تقول فيه ما بلغك عنه ، وأما البهتان فإن تقول فيه ما ليس فيه . (1)

وقال الشاعر:

احذر الغيبة فهي الفسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالأكل من لحم أخيه (2)

وعن محمد بن سيرين (3) (رحمه الله) قال: " ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه " وعن الحسن البصري (رحمه الله) : " أنه سأله رجل فقال : يا أبا سعيد اغتبت فلانا وأنا أريد أن أستحلّه ؟ فقال : لم يكفك أن اغتبتّه حتى تريد أن تبتهه " (4)

ويلاحظ أن الغيبة تلازم النميمة لأن النميمة مشتملة على ضربين نقل كلام المغتاب إلى الذي إغتابه ، والحديث عن المنقول عنه بما لا يريده. (5)

لذا اختلف العلماء في الغيبة والنميمة : (هل هما متغايرتان أو متحدتان ؟ والراجح التغاير ، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا وذلك لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان بعلمه أم بغير علمه ، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه ، فامتازت النميمة بقصد الإفساد ، ولا يشترط ذلك في الغيبة ، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه ، واشتركتا فيما عدا ذلك ومن العلماء من يشترط في الغيبة أن يكون المقول فيه غائبًا . (6)

أما أدلة تحريم الغيبة :

فقد جاءت حرمة الغيبة بآيات واضحة وأحاديث صريحة .

أولا : قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (7)

(1) تفسير القرطبي / ج: 16 ص: 335

(2) الاستذكار / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري/ تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض / ج 8 - ص 563 / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1421 - 2000م

(3) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى من الثالثة مات سنة عشر ومائة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 483

(4) التمهيد / لابن عبد البر / ج 23 - ص 22

(5) فتح الباري / لابن حجر / ج 3 - ص 242

(6) فتح الباري / لابن حجر ، ج 10 - ص 473

(7) سورة الحجرات - الآية 12

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (فجعل جهة التحريم كونه أخا إخوة الإيمان ولذلك تغلظت الغيبة بحسب حال المؤمن ، فكلما كان أعظم أيمانا كان أغتيا به أشد ، ومن جنس الغيبة الهمز واللمز ، فان كلاهما فيه عيب الناس والطعن عليهم ، كما في الغيبة لكن الهمز هو الطعن بشدة وعنف بخلاف اللمز ، فانه قد يخلو من الشدة والعنف ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ ⁽¹⁾ أي يعيبك ويطعن عليك ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ⁽²⁾ أي لا يلمز بعضكم بعضا وقال : ﴿ هَمَّازٌ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴾ ⁽³⁾ وقال : ﴿ وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ ^(*) (⁽⁴⁾).

ثانيا : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن ما عزا الأسلمي ⁽⁵⁾ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه بالزنى فرجحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر " انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجم الكلب " فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائلة ⁽⁶⁾ رجلها فقال : " أين فلان وفلان " فقالا : " نحن ذا يا رسول الله " قال : " انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار " فقالا : " يا نبي الله ومن يأكل من هذا " قال :

(1) سورة التوبة - الآية 58

(2) سورة الحجرات - الآية 11

(3) سورة القلم - الآية 11

* سورة الهمزة - الآية 1

(4) ينظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (661 - 728 ت (هـ) / تحقيق : حسنين محمد مخلوف / ج: 28 ص: 225 / الطبعة الأولى - دار المعرفة - بيروت - سنة 1386 .

(5) ماعز بن مالك الأسلمي قال ابن حبان له صحبة وهو الذي رجم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثبت ذكره في الصحيحين ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 5 - ص 705

(6) الشائلة معناها : المرتفعة ، لسان العرب / لابن منظور ، مادة فيج ، ج 2 - ص 550

فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن
لفي أثمار الجنة ينغمس فيها " (1).
ثالثا : عن عائشة (2) رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه
وسلم حسبك من صفية (3) كذا وكذا قال غير مسدد تعني قصيرة فقال " لقد
قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته " (4)

رابعا : عن أنس بن مالك (5) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون
وجوههم وصدورهم ، فقلت : "من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين
يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم " (6)

(1) الحديث أخرجه أصحاب السنن ، سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب رجم ماعز بن مالك ، برقم 4428
، ج: 4 ص: 148 ، السنن الكبرى ، كتاب الرجم ، ذكر استقصاء الإمام على المعترف عنده بالزنا برقم : 7164
ج: 4 ص: 276 ، و صحيح ابن حبان ، كتاب الحدود ، ج: 10 ص: 244 برقم 4399 . قال ابن حزم (رحمه
الله) فهذا خبر صحيح ، ينظر المحلى بالآثار شرح المجلى باختصار / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
بن حزم الأندلسي/تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، ج: 11 ص: 180 ، المطبعة المنيرية - 1352هـ ،
(2) عائشة بنت أبي بكر الصديق .. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، ينظر الإصابة في تمييز
الصحابه / ج 8 - ص 16

(3) صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية أم المؤمنين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خيبر وماتت
سنة ست وثلاثين وقيل في خلافة معاوية وهو الصحيح ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 749
(4) الحديث أخرجه أهل السنن، سنن أبي داود باب في الغيبة برقم: 4874، 4875 ، ج: 4 ص: 269 ،
سنن الترمذي برقم : " 2502 " 2503 ، 2504 ، ج: 4 ص: 660 وأحمد في المسند : (6 / 136 ، 189 ،
(والبيهقي في الشعب برقم : 6720 ، 6721 قال المنذري : أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح . ينظر :
تحفة الأحوذى ج: 7 ص: 177

(5) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين
مشهور مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 115
(6) الحديث حسن : رواه احمد ، برقم " 13364 " ج 3 - ص 224 ، سنن أبي داود ، كتاب الاداب ، باب
في الغيبة، برقم: 4878 ، ج: 4 ص: 269 ، قال ابن حجر : أخرجه أبو داود وله شاهد عن ابن عباس
عند أحمد وحديث سعيد بن زيد رفعه ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق أخرجه أبو داود
وله شاهد عند البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وعند أبي يعلى من حديث عائشة ومن حديث أبي
هريرة رفعه من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حيا فيأكله ويكلج
ويصيح سنده حسن وفي الأدب المفرد عن ابن مسعود قال ما التقم أحد لقمة شراً من اغتياب مؤمن الحديث
وفيه أيضا وصحه بن حبان من حديث أبي هريرة في قصة ماعز ورجمه في الزنا .. وأخرج أحمد والبخاري

المطلب الثاني : أحاديث قد يفهم منها الغيبة وحقيقتها النصيحة .

الحديث الأول .

عن فاطمة بنت قيس⁽¹⁾ أما أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن معاوية وأبا جهم خطباها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه انكحي أسامة بن زيد⁽²⁾ فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم⁽³⁾

تعليق على الحديث .

- الحديث قد يفهم منه الغيبة لكن حقيقته النصح .

- إن أبا جهم هذا هو عامر بن حذيفة العدوي القرشي وهو مشهور .. ومعاوية هذا هو ابن أبي سفيان بن حرب الأموي .. وقوله صعلوك أي فقير لا مال له .⁽⁴⁾

- اجمع العلماء على أن تبين حال المرء وذكر ما فيه من العيوب إذا سئل عنه جائز ، قال ابن عبد البر (رحمه الله) : (فيه دليل على أن قول المرء في غيره ما فيه إذا سئل عنه عند الخطبة جائز، وأن إظهار ما هو عليه من عيب صواب لا بأس به ، وليس من باب الغيبة في شيء ، وهو يعارض قوله إذا قلت في أخيك ما فيه فقد اغتبته ، وقد أجمعوا على أنه جائز تبين حال الشاهد إذا سأل عنه الحاكم ، وتبيين حال ناقل الحديث وتبيين حال الخاطب إذا سئل عنه ، وفي ذلك أوضح الدلائل على أن حديث الغيبة ليس على عمومته)⁽⁵⁾

في الأدب المفرد بسند حسن عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين . وفتح الباري ج : 10 ص : 470 .

(1) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس تقدم نسبها في ترجمته وكانت أسن منه قال أبو عمر كانت من المهاجرات الأول وكانت ذات جمال وعقل .. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 8 - ص 69

(2) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير أبو محمد وأبو زيد صحابي مشهور مات سنة أربع وخمسين وهو بن خمس وسبعين بالمدينة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 98

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الطلاق ، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ، برقم " 1480 " ، ج 2 - ص 1114

(4) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 4 - ص 241

(5) التمهيد لابن عبد البر / ج : 19 ص : 159

وقال أيضا: (والذي عليه مدار هذا المعنى أن من استشير لزمه القول بالحق وأداء النصيحة وليس ذلك من باب الغيبة لأنه لم يقصد بذلك إلى لزمه، ولا إلى شفاء غيظ، ولا أدى ويكون حديث الغيبة مرتبا على هذا المعنى .) ⁽¹⁾

- نصح النبي صلى الله عليه بنكاح أسامة لما علمه من فضله ودينه وحسن خلقه . قال الإمام النووي (رحمه الله) : (وأما إشارته صلى الله عليه وسلم بنكاح أسامة فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله، فنصحها بذلك فكرهته لكونه مولى ولكونه كان أسود جدا ، فكرر عليها النبي صلى الله عليه وسلم الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك، وكان كذلك ولهذا قالت: " فجعل الله لي فيه خيرا واغبطت ") ⁽²⁾

- وفيه استحباب إرشاد الإنسان إلى مصلحته وإن كرهها ، وتكرار ذلك عليه ، وكذا قبول نصيحة أهل الفضل والانقياد إلى إرشادهم وأن عاقبتها محمودة . ⁽³⁾

الحديث الثاني .

عن أبي أسيد الساعدي ⁽⁴⁾ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم خير دور الأنصار بنو النجار .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم ⁽⁵⁾

تعليق على الحديث .

-الحديث قد يفهم منه الغيبة ولكن حقيقته النصح .

(1) المصدر نفسه /ج: 19 ص: 159- 160 ، تحفة الاحوذى /للمباركفوري /ج: 4 ص: 241

(2) شرح النووي على صحيح مسلم / ج 10 - ص 98

(3) ينظر المصدر نفسه / ج 10 - ص 107

(4) أبو أسيد الساعدي واسمه مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة أبي عمرو بن الخزرج بن ساعدة وأمه عمرة بنت الحارث بن حبل بن أمية بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة وكان لأبي أسيد من الولد أسيد الأكبر والمنذر وأمهما سلامة بنت وهب بن سلامة بن أمية بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة وغلظ بن أبي أسيد وأمه سلامة بنت ضمضم بن معاوية ، الطبقات الكبرى /ابن سعد /ج 3 - ص 557

(5) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل دور الأنصار ، برقم " 3578 " ج 3 ، ص 1380 /صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه ، باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم برقم " 2511 " ، ج 4 - ص 1949

- لا يدخل هذا الحديث في الغيبة بل هو من باب جواز المفاضلة بين الناس لمن يكون عالماً بأحوالهم لينبه على فضل الفاضلة . قال ابن حجر (رحمه الله) : (أن هذا ليس من الغيبة أصلاً، إلا إن أخذ من أن المفضل عليهم يكرهون ذلك، فيستثني ذلك من عموم قوله ذكرك أخاك بما يكره، ويكون محل الزجر إذا لم يترتب عليه حكم شرعي، فأما ما يترتب عليه حكم شرعي، فلا يدخل في الغيبة، ولو كرهه المحدث عنه، ويدخل في ذلك ما يذكر لقصد النصيحة، من بيان غلط من يخشى أن يقلد أو يغتر به في أمر ما فلا يدخل ذكره بما يكره من ذلك في الغيبة المحرمة، وقال ..وفي حديث أبي أسيد دليل على جواز المفاضلة بين الناس لمن يكون عالماً بأحوالهم، لينبه على فضل الفاضل، ومن لا يلحق بدرجته في الفضل فيتمثل أمره صلى الله عليه وسلم بتنزيل الناس منازلهم وليس ذلك بغيبة) (1)

الحديث الثالث .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: "بنس أخو العشيرة وبنس ابن العشيرة" فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: "يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة متى عهدتني فحاشاً إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره" .

تخرج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري (2)

تعليق على الحديث .

- تكلم الخطابي (رحمه الله) عن مكانة الحديث وأهميته فقال : (جمع هذا الحديث علماً وأدباً، وليس في قول النبي صلى الله عليه وسلم في أمته بالأمر التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك، ويفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم، وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه، لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته) (3)

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج: 10 ص: 471

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الآداب ، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، برقم " 5685 " ، ج: 5 ص: 2244

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج: 10 ص: 454

- قال النووي (رحمه الله): (واسم هذا الرجل عيينة بن حصن ولم يكن اسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله، وكان منه في حياته صلى الله عليه وسلم وبعده ما دل على ضعف إيمانه، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بنس ابن العشيرة أو أخو العشيرة، من أعلام النبوة لأنه ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وجيء به أسيرا إلى أبي بكر الصديق).⁽¹⁾

- قال ابن حجر (رحمه الله): (كل من يتحقق من حال شخص على شيء، وخشى أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما، فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدا نصيحته، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي صلى الله عليه وسلم أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه المغتر ليكون نصيحة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه)⁽²⁾

- قال القرطبي (رحمه الله): (في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداينة في دين الله تعالى).⁽³⁾

- الحديث قد يفهم منه الغيبة ولكن حقيقته النصح، قال ابن حجر (رحمه الله): (وقد يتصور البعض في هذا الحديث في كون ما وقع من ذلك غيبة وإنما هو نصيحة ليحذر السامع، وإنما لم يواجه المقول فيه بذلك لحسن خلقه صلى الله عليه وسلم، ولو واجه المقول فيه بذلك لكان حسنا، ولكن حصل القصد بدون مواجهة وقوله في الحديث إن شر الناس يستنبط منه إن المجاهر بالفسق والشر لا يكون ما يذكر عنه من ذلك من ورائه من الغيبة المذمومة)⁽⁴⁾ وقال الخطيب البغدادي (رحمه الله): (وفيه دليل على أن أخبار المخبر بما يكون في الرجل من العيب على ما يوجب من النصيحة للسائل ليس بغيبة، إذ لو كان ذلك غيبة لما أطلقه النبي صلى

(1) تحفة الاحوذى / للمباركفوري / ج: 6 ص: 112

(2) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 10 ص: 454

(3) فتح الباري ج: 10 ص: 454، شرح الزرقاني / للزرقاني / ج: 4 ص: 319 ، تحفة الاحوذى

/ للمباركفوري / ج: 6 ص: 113

(4) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 10 ص: 471

الله عليه وسلم ، وإنما أراد عليه السلام بما ذكر فيه والله اعلم أن يبين للناس الحالة المذمومة منه وهي الفحش فيجتنبونها ، لا انه أراد الطعن عليه والثلب له . (1)

- فيه اللين والمداراة لمن كان طبعه الفحش والفسق لا المداينة ، قال النووي (رحمه الله) :
(وإنما ألان له القول تألفا له ولأمثاله على الإسلام ، وفيه مداراة من يُتقى فحشُه ، وجواز غيبة الفاسق ، وفيه دليل على أن ذكر الفاسق بما فيه ليعرف أمره فيتقى ، لا يكون من الغيبة ، ولعل الرجل كان مجاهرا بسوء أفعاله ولا غيبة لمجاهر) (2)

الحديث الرابع .

عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة (3) قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال : خذي ما يكفيك وولدتك بالمعروف .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه : البخاري ومسلم (4)

تعليق على الحديث .

أ- في هذا الحديث فوائد ذكرها الإمام النووي (5)

- منها وجوب نفقة الزوجة .
- وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار .
- أن النفقة مقدرة بالكفاية لا بالأمداد .
- جواز سماع كلام الأجنبية عند الإفتاء والحكم وكذا ما في معناه .
- جواز ذكر الإنسان بما يكرهه إذا كان للاستفتاء والشكوى ونحوهما .

(1) ينظر الكفاية في علم الرواية / احمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (393-463 هـ .ت) / تحقيق . أبي عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني / ج: 1 ص: 39 / المكتبة العلمية / المدينة المنورة

(2) تحفة الاحوذى / للمباركفوري / ج: 6 ص: 112

(3) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية والدة معاوية بن أبي سفيان أخبرها قبل الإسلام مشهورة وشهدت أحدا وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هي يوم الفتح ، الإصابة في تمييز الصحابة / ج 8 - ص 155

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب النفقات ، باب إذا لم ينفق الرجل فالمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف برقم " 5049 " ج: 5 ص: 2052 ، صحيح مسلم ،

كتاب الاقضية ، باب قضية هند ، برقم 1714 ، ج 3 ، ص 1338

(5) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 12 ص: 7-8

- أن من له على غيره حق وهو عاجز عن استيفائه يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذنه
 ب- قال ابن حجر (رحمه الله) : واستدل بهذا الحديث على جواز ذكر الإنسان بما لا يعجبه ، إذا كان على وجه الاستفتاء والاشتكاء ونحو ذلك ، وهو أحد المواضع التي تباح فيها الغيبة ، وفيه من الفوائد جواز ذكر الإنسان بالتعظيم كاللقب والكنية كذا قيل ، وفيه نظر لأن أبا سفيان كان مشهوراً بكنيته دون اسمه ، فلا يدل قولها أن أبا سفيان على إرادة التعظيم ، وفيه جواز استماع كلام أحد الخصمين في غيبة الآخر ، وفيه أن من نسب إلى نفسه أمراً عليه فيه غضاضة فليقرنه بما يقيم عذره في ذلك ، وفيه جواز سماع كلام الأجنبية عند الحكم والإفتاء ⁽¹⁾

المطلب الثالث : متى تباح الغيبة لغرض النصيحة .

والغيبة تباح في نحو سبعة عشر موضعاً ذكرها ابن العماد ⁽²⁾ فقال : (والغيبة تباح في سبعة عشر موضعاً نظمتها في جملة أبيات من جملة قصيدة وهي هذه الأبيات .

وَمَا عَلَيْكَ إِذَا مَا اغْتَبَتْ مُبْتَدَأً	لَقَوْلِ رُشْدٍ وَنُصْحِ الْمُسْتَشِيرِ وَلَا
إِنْ تَذَكَّرَ الْعَالَمَ الْمُخْطِئَ لِتَابِعِهِ	أَوْ تَسْتَعِينَ عَلَى ذِي ذِلَّةٍ عَدَلًا
أَوْ تَذَكَّرَ إِسْمًا قَبِيحًا عِنْدَ سَامِعِهِ	كِي يَسْتَعِينَ بِهِ مَقْصُودًا مَا جَهَلًا
كَأَسْوَدٍ قَالَ ذَا أَوْ أَعْوَرَ مَثَلًا	أَوْ أَعْمَشٍ مُخَيَّرًا أَوْ أَعْرَجَ نَقَلًا
وَعِصْمَةُ الْقَرَضِ فِي جُرْحِ الْفَتَى سَقَطَتْ	كَذَلِكَ الْقَدْحُ فِي الْفَتْوَى قَدْ احْتَمَلَا
كَذَلِكَ مَنْ يَشْكُو ظَلَامَتَهُ	إِلَى الْقَضَاةِ أَوْ الْوُلِيِّ إِذَا عَدَلَا
وَمَظْهَرُ الْبِدْعَةِ إِذْ كُرِهَ لِمُنْكَرِهَا	وَمُنْجِيءُ الْبِدْعَةِ إِذْ كُرِهَ لِمَنْ جَهَلَا
مَسَاوِيءَ الْخَصْمِ إِنْ يَذْكُرُ لِحَاكِمِهِ	حِينَ السُّؤَالِ أَوْ الدَّعْوَى فَلَا تَهَلَا
وَغِيْبَةُ الْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ قَدْ سَهَلَتْ	وَعَكْسُهَا غِيْبَةُ الذَّمِّ قَدْ عَقَلَا
وَتَارِكُ الدِّينِ لَا فَرَضَ الصَّلَاةِ فَلَا	أَخْشَى إِذَا مَا اغْتَبَتْهُ جَلَلَا

لكني سأقتصر على ذكر ستة مواضع مشهورة عند أهل العلم تباح فيها الغيبة لغرض شرعي ذكرها الأمام النووي رحمه الله وهي كآلاتي :

أولاً : التظلم : (فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة علي إنصافه من ظالمه فيقول ظلمي فلان أو فعل بي كذا) ⁽¹⁾

(1) ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج: 9 ص: 509

(2) آداب الأكل ابن العماد الاقفهسي / احمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي ابو العباس شهاب الدين الاقفهسي القاهري (فقيه شافعي 750-808 هـ / 1349-1405 م) / ص 19/ دار الكتب العلمية / بيروت 1986 م

ثانيا : الاستفتاء : (بأن يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك ،وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد كان من أمره كذا ،ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند وقولها أن أبا سفيان رجل شحيح)⁽²⁾.

ثالثا : ومنها تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه :

أ- (منها جرح المجروحين من الرواة حيث أقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة ولم يعد ذلك من الغيبة المذمومة بل كان ذلك واجبا عليهم وجوب كفاية ثم ألف الحفاظ في أسماء المجروحين كتباً كثيرة كل منهم على مبلغ علمه ومقدار ما وصل إليه اجتهاده)⁽³⁾.

ب- (ومنها الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك)⁽⁴⁾.

ت- "ومنها الأخبار بعيه عند المشاورة في مواصلته .

ث- ومنها إذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو زانياً أو شارباً أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد .

ج- ومنها إذا رأيت متفقهاً يتردد إلى غير محمود السيرة أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحتك ببيان حاله قاصدا النصيحة .

ح- ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، لعدم أهليته أو لفسقه، فيذكره لمن له عليه ولاية عامة ليستدل به على حاله فلا يغتر به ويلزم الاستقامة " ⁽⁵⁾

رابعا : أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة أموال الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيه إلا بسبب آخر⁽⁶⁾، (عن بهز بن

(1) شرح النووي على صحيح مسلم /ج: 16 ص: 142 ، روضة الطالبين وعمدة المفتين /أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (631-676 هـ .ت) /ج: 7 ص: 12/33 جزء / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية - بيروت 1405 هـ ..

(2) المصدر نفسه /ج: 16 ص: 142 ، / ج: 7 ص: 33 ، تفسير القرطبي /ج: 16 ص: 339

(3) لسان الميزان /لابن حجر /ج: 1 ص: 3

(4) شرح النووي على صحيح مسلم /ج: 16 ص: 142 ، روضة الطالبين /للإمام النووي ج: 7 ص: 33

(5) المصدر نفسه /ج: 16 ص: 142-143 ، / ج: 7 ص: 34

(6) المصدر نفسه / ج: 16 ص: 143 ، / ج: 7 ص: 34

حكيم⁽¹⁾ عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترعون عن ذكر الفاجر للناس إذكروه بما فيه يحذره الناس"⁽²⁾، الفاجر هو الذي يفجر الحدود فإن الإسلام كحظيرة حظرها الله تعالى على أهله، فلا يتعدون حدود الحظائر، فإذا ثلم أحدهم الحظيرة بالخروج منها متخطياً إلى ما ورائها فقد فجرها، و نعني بالفاجر الفاجر الموحد دون الكافر، فإن المشرك لا حرمة له، و لا يتوقى لذكره، و قد تورعوا عن ذكر المسلم؛ لحرمة التوحيد؛ و لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحث على الستر ..

وهو يقول: "من ستر مسلماً ستره الله تعالى، و من هتك ستراً لأخيه هتك الله تعالى ستره، فهابوا هذا الأمر وكفوا فقال لهم صلى الله عليه وسلم: أترعون عن ذكر الفاجر"⁽³⁾ معناه إذا

(1) بهز بن حكيم بن معاوية القشيري أبو عبد الملك صدوق، تقريب التهذيب ج 1 - ص 128
(2) الحديث حسن: وفي إسناده بهز بن حكيم غير أن بهز بن حكيم اختلف الناس فيه فحكى بن أبي حاتم عن أبيه أنه شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به وعن أبي زرعة أنه قال فيه صالح ولكن ليس بالمشهور وجعله الحاكم في أقسام الصحيح المختلف فيه وقول أبي حاتم لا يحتج به لا ينبغي أن يقبل منه إلا بحجة وبهز ثقة عند من علمه وقد وثقه بن الجارود والنسائي وكذا الترمذي روايته عن أبيه عن جده وقال ابن عدي روى عنه ثقات الناس كالزهري روى عنه حديثين ثم ذكرهما ثم قال ولم أر له حديثاً منكر وأرجو أنه إذا حدث عنه ثقة فلا بأس بحديثه، وقال أبو جعفر السبتي إسناده بهز عن أبيه عن جده صحيح وقال محمد بن الحسين سألت ابن معين هل روى شعبة عن بهز قال نعم روى عنه حديث أترعون عن ذكر الفاجر وقد كان شعبة متوقفاً عنه فلما روى هذا الحديث كتبه وأبراه مما اتهمه به قلت فكم له عن أبيه عن جده قال: أحاديث قلت لأحمد بن حنبل ما تقول في بهز قال سألت غندراً عنه فقال كان شعبة مسه لم يبين معناه فكتبت عنه (ينظر : نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، ج: 3 ص: 310، دار الحديث - مصر، 1357

(3) الحديث بهذا اللفظ رواه الطبراني في الكبير، وفي الأوسط عن محمد بن سيرين قال خرج عقبة بن عامر فذكره مختصراً ورجال الكبير رجال الصحيح وعن عبد الملك بن عمير عن منيب عن عمه قال بلغ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة ورجل إليه وهو بمصر فسأله عن الحديث قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة قال فقال وأنا قد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد ومنيب هذا إن كان ابن عبد الله فقد وثقه ابن حبان وإن كان غيره فإني لم أر من ذكره قال ابن جريج وركب أبو أيوب إلى عقبة بن عامر إلى مصر قال إني سائلك عن أمر لم يبق ممن حضره من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنا وأنت كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله عز وجل يوم القيامة فرجع إلى المدينة فما حل رحله حتى تحدث بهذا الحديث رواه أحمد هكذا منقطع الإسناد وعن رجاء ابن حيوة قال سمعت مسلمة بن مخلد يقول بينا أنا على مصر إذ أتى البواب فقال إن أعرابياً على الباب على بغير يستأذن

غلب عليه الفجور وقد أعلن به و هتك ستره، فإذا لم يبق له ستر استحال أن يستر أو يكتم أمره، و في كتمان أمره خيانة و لهذا قال صلى الله عليه وسلم "أترعون عن ذكر الفاجر للناس" بين نفع الذكر فقال : "يحذره الناس" و إنما هذا الذكر لمن احتسب به النصيحة للعامة، لئلا يغتر مسلم به، فأما من ذكر تشفيا لغيظه أو تنقما لنفسه، فهو خارج عن هذا الحديث حتى يذكره على تلك النية. (1)

وبهذا أشار ابن تيمية رحمه الله بقوله: (أن يكون الرجل مظهرًا للفجور مثل الظلم والفواحش والبدع المخالفة للسنة، فإذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه بحسب القدرة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان " (2) .. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال: " أيها الناس إنكم تقرأون القرآن وتقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (3) وإنني سمعت رسول الله يقول إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " (4) فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار، وان يهجر ويذم على ذلك، فهذا معنى

فقلت من أنت قال جابر بن عبد الله الأنصاري قال فأشرفت عليه فقلت أنزل إليك أو تصعد فقال لا تنزل ولا أصعد حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستر المؤمن جئت أسمعته قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موودة فضرب بغيره راجعا رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو سنان القسملي وثقه ابن حبان وابن خراش في رواية وضعفه أحمد والبخاري ويحيى بن معين وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدونه عالما أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن محمد ابن عقيل وهو ضعيف عند الأكثرين . ينظر : مصنف عبد الرزاق/ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، باب ستر المسلم ، ج: 10 ص: 224 ، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية ، 1403 ، مجمع الزوائد ج: 1 ص: 135.

(1) نواذر الأصول في أحاديث الرسول /محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي / تحقيق د. عبد الرحمن عميرة /ج: 2 ص: 257- 258 / دار الجيل الطبعة الأولى - بيروت 1992م. ، فيض القدير / للمناوي /ج: 1 ص: 115 ، تفسير القرطبي /ج: 16 ص: 339

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، برقم " 49 " ، ج 1 - ص 69

(3) سورة المائدة - الآية 105

(4). سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الامر والنهي ، برقم : 4338 ، ج: 4 ص: 122 ، سنن الترمذي برقم " 2168 " ج 4 - ص 467 ، سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم: 4004 ج: 2 ص: 1327 ، صحيح ابن حبان كتاب البر والاحسان ، باب الصديق والامر

قولهم من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بخلاف من كان مستتراً بذنبه مستخفياً، فإن هذا يستر عليه لكن ينصح سراً، ويهجره من عرف حاله حتى يتوب، ويذكر أمره على وجه لنصيحة). (1)

خامساً: التعريف (فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقصاً، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله اعلم). (2)

(لحديث ابن عمر رضي الله عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " مؤذنان بلال وابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنهما " (3) ففي هذا الحديث فوائد منها جواز وصف الإنسان بعيب فيه للتعريف أو مصلحة تترتب عليه، لا على قصد التنقيص، وهذا أحد وجوه الغيبة المباحة وهي ستة مواضع يباح فيها ذكر الإنسان بعيبه ونقصه وما يكرهه). (4)

سادساً: الاستشارة والاستئذان (كقوله صلى الله عليه وسلم ((أما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه) الحديث . وفيه تأويلان مشهوران أحدهما : أنه كثير الأسفار .

والثاني: أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح بدليل الرواية التي ذكرها مسلم بعد هذه أنه ضراب للنساء (5).

وفيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاركة وطلب النصيحة ولا يكون هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة). (1)

بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم 305 ، ج: 1 ص: 540 ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين، سنن البيهقي الكبرى ، كتاب آداب القاضي ، باب ما يستدل به على أن القضاء برقم " 1997 ج: 10 ص: 91 ، قال ابن حجر : الحديث حسن : فتح الباري ج: 10 ص: 193 .

(1) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج: 28 ص: 219-220

(2) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 16 ص: 143 ، روضة الطالبين / النووي / ج: 7 ص: 34

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد برقم " 380 " ج 1 - ص 287

(4) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 4 ص: 82

(5) ما أخرجه مسلم في صحيحه " أن فاطمة بنت قيس تقول إن زوجها طلقها ثلاثاً فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنى ولا نفقة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا حللت فأذنيني فأذنته فخطبها معاوية وأبو جهم وأسامة بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما معاوية فرجل ترب لا مال له وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء " صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب المطلقة ثلاثاً ، برقم 1480 ، ج 2 - ص 114 .

بينما صنف شيخ الإسلام ابن تيمية إباحة الغيبة على وجهين لما سئل رحمه الله عن الغيبة هل تجوز على أناس معينين أو يعين شخص بعينه وما حكم ذلك فأجاب بقوله: (ذكر الناس بما يكرهون هو في الأصل على وجهين أحدهما ذكر النوع والثاني ذكر الشخص المعين الحي أو الميت أما الأول ذكر النوع: فكل صنف ذمه الله ورسوله يجب ذمه وليس ذلك من الغيبة كما إن كل صنف مدحه الله ورسوله يجب مدحه وما لعنه الله ورسوله لعن كما أن من صلى الله عليه وملائكته يصلى عليه فالله تعالى ذم الكافر والفاجر والفاسق والظالم .. وأما الثاني : الشخص المعين فيذكر ما فيه من الشر في مواضع : منها المظلوم له أن يذكر ظالمه بما فيه إما على وجه دفع ظلمه واستيفاء حقه كما قالت هند يا رسول الله : " إن أبا سفيان رجل شحيح وانه ليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي فقال لها النبي خذي ما يكفيك وولدتك بالمعروف " (2) كما قال صلى الله عليه وسلم : "الواجد يحل عرضه وعقوبته" (3) وقال وكيع (4): عرضه شكايته وعقوبته حبسه وقال تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (5) وقد روى أنها نزلت في رجل نزل بقوم فلم يقره (6) فإذا كان هذا فيمن ظلم بترك قراه

(1) شرح النووي على صحيح مسلم /ج: 10 ص: 97 ، روضة الطالبين ، ج: 7 ص: 34، تفسير القرطبي /ج: 16 ص: 340

(2) الحديث صحيح : سبق تخريجه ،ينظر ص 113

(3) سنن أبي داود ، باب في الحبس في الدين وغيره برقم: 3628 ج: 3 ص: 313، السنن الكبرى برقم : 6288 ج: 4 ص: 59 ، سنن النسائي - المجتبى، باب مطل الغني برقم: 4688، ج: 7 ص: 316 سنن ابن ماجه، باب الحبس في الدين والملازمة برقم: 2427 ، ج: 2 ص: 811، المستدرک على الصحيحين برقم: 7065، ج: 4 ص: 115، قال ابن حجر : رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي من رواية عمرو بن الشريد عن أبيه قال الحاكم صحيح الإسناد وذكره البخاري تعليقا ، فتح الباري ، ج: 5 ص: 62 ، وقال البخاري في باب لصاحب الحق مقال، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم (لي الواجد يحل عقوبته وعرضه) ينظر : صحيح البخاري باب لصاحب الحق مقال، ج: 2 ص: 845 .

(4) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي بضم الراء وهمزة ثم مهملة أبو سفيان الكوفي ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة مات في آخر سنة ست وأول سنة سبع وتسعين وله سبعون سنة ، تقريب التهذيب /لابن حجر

ج/ 1 - ص 581

(5) سورة النساء - الآية 148

(6) ثبت هذا في صحيح البخاري ومسلم ، من حديث عقبة بن عامر انه قال قلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انك تبعنا فننزل بقوم لا يقرونا فما ترى في ذلك فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم . ينظر : صحيح البخاري ، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه ، ج: 2 ص: 868 برقم 2329 ، صحيح مسلم ، باب الضيافة ونحوها ، ج: 3 ص: 1353 برقم 1727.

الذي تنازع الناس في وجوبه وان كان الصحيح انه واجب فكيف بمن ظلم بمنع حقه الذي اتفق المسلمون على استحقاقه إياه أو يذكر ظالمه على وجه القصاص من غير عدوان ولا دخول في كذب ولا ظلم الغير وترك ذلك أفضل ...⁽¹⁾

ويرى الباحث أن الحاصل في الغيبة وهي ذكر الإنسان بما فيه مما يكره ولو في ماله أو ولده أو زوجته أو نحو سواء أذكره بلفظ أم كتابة أم إشارة بيد أو رأس أو جفن أو نحو ذلك لكنها تباح للأسباب المذكورة بل قد تجب بذلاً للنصيحة، كما مر بالفارق بين النصيحة والغيبة بدا واضحاً أنه تباح الغيبة لغرض شرعي وهو النصيحة على كل الأحوال . وهو ما لخصه و أجمله ابن القيم (رحمه الله) في ذكر الفارق بين النصيحة والغيبة بقوله : (أن النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع أو فتن أو غاش أو مفسد فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به كما قال النبي لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية وأبي جهم فقال أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقال بعض أصحابه لمن سافر معه إذا هبطت عن بلاد قومه فأحذروه فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات وإذا وقعت على وجه ذم أخيك وتمزيق عرضه والتفكه بلحمه والغض منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب) .⁽²⁾

(1) ينظر ما قاله ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى / ج: 28 من ص: 225 - 236 ، فإنه من هذا المهييع الطيب ولولا طوله لذكرته هنا .

(2) الروح / ابن قيم الجوزية / ج: 1 ص: 240

المبحث الرابع الفرق بين النصيحة والنميمة

وهذا الفرق مهمٌ وواضح لأن البعض يسعى بالنميمة ويفرق بين الأُخوة، ويشعل فتيل الفتنة بين الإخوة، فان سئل عن فعلته قال: "إنما أنا أسعى بين الأطراف بدور الناصح" وكذب والله، إنما نم وسعى في الفتنة بين الناس، فكان لابد من ضابط تتضح فيه صورة الناصح من النمام، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث ، وان هذا المبحث سوف يشتمل على عدة مطالب وهي :

المطلب الأول: تعريف النميمة عند أهل اللغة والاصطلاح وبيان تحريمها .

أولاً : تعريف النميمة عند أهل اللغة والاصطلاح .

فالنميمة عند أهل اللغة : مصدرها نمم : والنَّمُّ : التوريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزْيِينُ الكلام بالكذب، والفعلُ نَمَّ يَنْمُ و يَنْمُ، والأصل الضم، و نَمَّ به وعليه نَمًا و نَمِيمَةً و نَمِيمًا، وقيل: النَّمِيمُ جمعُ نَمِيمَةٍ بعد أن يكون اسماً. التهذيب: النَّمِيمَةُ و النَّمِيمُ هما الاسم، والنعتُ نَمَامٌ؛ ورجل نَمُومٌ و نَمَامٌ و مِنْمٌ و نَمَّ أي قَتَّاتٌ ، وصرَّح اللحياني⁽¹⁾ بأنَّ نُمًا جمعُ نَمُومٍ، وهو القياس، وامرأة نَمَّة. ..والتَّمَامُ معناه في كلام العرب الذي لا يُمَسِّكُ الأحاديثَ ولم يَحْفَظْهَا، من قولهم جُلُودٌ نَمَّةٌ إذا كانت لا تُمَسِّكُ الماءَ. يقال: نَمَّ فلانٌ يَنْمُ نَمًا إذا ضَيَّعَ الأحاديثَ ولم يحفظها؛ وأنشد الفراء:

بَكَتْ من حديثِ نَمَّةٍ وَأَشَاعَهُ وَلَصَّقَهُ واشٍ من القومِ واضِعُ

ويقال للتَّمَامِ: القَتَّاتُ، يقال: قَتَّ إذا مشى بالنَّمِيمَةِ. ويقال للتَّمَامِ قَسَّاسٌ ودَرَّاجٌ وَغَمَّازٌ وَهَمَّازٌ ومائِسٌ ومِمَّاسٌ، وقد ماسَ من القومِ و نَمَلَ. الجوهري: نَمَّ الحديثَ يَنْمُهُ وَيُنْمُهُ نَمًا أي قَتَّته،

(1) أبو الحسن علي بن حازم اللّخاني قال في الصّحاح : لقب بذلك لعظم لحيته ، المزهر في علوم اللغة /

والاسم النَّمِيْمَةُ، وقد تكرر في الحديث ذكرُ النَّمِيْمَةِ، وهو نَقْلُ الحديث من قومٍ إلى قومٍ على جهة الإفسادِ والشرِّ. ونَمَّ الحديثُ: نقله. ونَمَّ الحديثُ: إذا ظهر. (1)

وقال الرازي: (نَمَّ الحديث أي قَتَّه وبابه ردٌّ وَيَنِم بالكسر لغة فيه والاسم النَّمِيْمَةُ والرجل نَمٌّ و نَمَّامٌ أي قَتَّات والنَمَّامُ أيضا نبت طيب الرائحة، و نَمَمَ الشيء رَقَّشه وزخرفه وثوب مُنَمَّم أي مُوشَّي) (2)

أما النَمِيْمَةُ عند أهل الاصطلاح: هي نقل كلام الناس بقصد التفريق والفتنة "وقال النووي (رحمه الله): "هي نقل كلام الغير بقصد الإضرار، وهو من أقبح القبائح". (3)

قال العلماء عن النَمِيْمَةِ: هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم. (4)

قال الإمام أبو حامد الغزالي "رحمه الله": اعلم أن النَمِيْمَةَ إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا، قال وليست النَمِيْمَةُ مخصوصة بهذا بل حد النَمِيْمَةُ كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء، فحقيقة النَمِيْمَةُ إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نَمِيْمَةٌ، قال وكل من حملت إليه نَمِيْمَةٌ وقيل له: "فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا" فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدق له لأن المنام فاسق.

الثاني: أن ينهأ عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمل له ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى المنام عنه فلا يحكي نَمِيْمَتَهُ عنه فيقول فلان حكي كذا فيصير به ناما ويكون آتيا ما نهى عنه (5).

ثانيا: أدلة تحريم النَمِيْمَةِ:

حرم الله عز وجل النَمِيْمَةَ في كتابه وشنع بأصحابها فقال عز وجل: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنَمِيمٍ ﴾ (1)

(1) ينظر لسان العرب / لابن منظور / مادة نم ، ج: 12 ص: 592

(2) مختار الصحاح / للرازي / مادة نم ، ج: 1 ص: 283

(3) تحفة الأحوذى / للمباركفوري / ج1 ص195

(4) شرح النووي على صحيح مسلم / ج 2 - ص 112

(5) الاحياء / للإمام الغزالي / ج 3 - ص 156

الحديث الأول : عن ابن عباس⁽²⁾ رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال : "يعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يمشي بالنميمة" ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو ثنتين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا فقال : "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا" .

تخرج الحديث :

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽³⁾.

تعليق على الحديث :

- حيث جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النميمة من الكبائر.

- ومن اللطائف على هذا الحديث ما ذكره ابن حجر (رحمه الله) بقوله : (لطيفة أبدى بعضهم للجمع بين هاتين الخصلتين مناسبة وهي أن البرزخ مقدمة الآخرة وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء ومفتاح الصلاة التطهر من الحدث والخبث ومفتاح الدماء الغيبة والسعي بن الناس بالنميمة بنشر الفتن التي يسفك بسببها الدماء .)⁽⁴⁾

الحديث الثاني : وعن حذيفة⁽⁵⁾ رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة قتات⁽⁶⁾.

(1) سورة القلم - الآية 11

(2) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وقال عمر لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد الكثيرين من الصحابة وأحد العبادة من فقهاء الصحابة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 309 .

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله برقم 213 ج 1 - ص 88 ، صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول برقم 292 ج 1 - ص 240 .

(4) فتح الباري / لابن حجر / ج 10 : ص 474

(5) حذيفة بن اليمان واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغرا ويقال حسل بكسر ثم سكون العبسي بالموحدة حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين صح في مسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة وأبوه صحابي أيضا استشهد بأحد ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 154

(6) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب ما يكره من النميمة وقوله هماز مشاء بنميم ويل لكل همزة لمزة يهزم ويلمز يعيب ، برقم "5709" ج 5 - ص 2250 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان غلط تحريم النميمة ، برقم "105" ، ج 1 - ص 101 .

الحديث الثالث : عن ابن مسعود⁽¹⁾ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا هل أنبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس .

تخرج الحديث :

الحديث أخرجه الإمام مسلم⁽²⁾

تعليق على الحديث :

- قال الإمام النووي (رحمه الله): (هذه اللفظة رووها على وجهين : أحدهما: العِصَّة بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة والثاني: العَضُّه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه ، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا، والأشهر في كتب الحديث ..والأول أشهر في كتب اللغة ، ونقل القاضي أنه رواية أكثر شيوخهم وتقدير الحديث والله اعلم ألا أنبئكم ما العضة الفاحش الغليظ التحريم .)⁽³⁾

- بينما يراها صاحب شرح كتاب التوحيد : (على أن معنى العضه هو السحر ويدل على ذلك حديث " كادت النميمة أن تكون سحرا " ⁽⁴⁾... وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير ⁽⁵⁾ قال يفسد المنام والكذاب في ساعة مالا يفسد الساحر في سنة .. ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس قال في الفروع ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة أشبه السحر ولهذا يعلم بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله الساحر أو أكثر ، فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين، لكنه يقال الساحر إنما كفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطى حكمه إلا فيما

(1) عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبة جملة وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 323 .

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم النميمة برقم " 2606 " ، ج 4 ص 2012

(2) شرح النووي على مسلم / ج 16 - ص 159 .

(4) قال الذهبي : الحديث ضعيف . وفيه الكدومي وقد مر غير مرة ضعفه والمعلّى بن الفضل قال عنه الذهبي في الضعفاء : له مناكير ويزيد الرقاشي قد تكرر أنه متروك ، فيض القدير ، ج 4 - ص 542

(5) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي ثقة ثبت لكنه يدلّس ويرسل من الخامسة مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل قبل ذلك ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 596

اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة انتهى ملخصاً وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة والحديث دليل على تحريم النميمة وهو كذلك بالإجماع وفيه دليل على أنها من الكبائر وقد قال أبو محمد بن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة .⁽¹⁾

المطلب الثاني: أحاديث ظاهرة النميمة وحقيقتها النصيحة .

الحديث الأول :

عن ابن عمر ومحمد بن كعب⁽²⁾ وزيد بن أسلم⁽³⁾ وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : " ما رأينا مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء " يعني رسول الله وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك⁽⁴⁾ : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر كاني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله : " أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزنون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم " ما يلفت إليه وما يزيده عليه فانزل الله تعالى قوله : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزنون ﴾⁽⁵⁾ (*)

(1) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1200 - 1233 هـ) / تحقيق . زهير الشاويش / ج: 1 ص: 353 / مكتبة الرياض الحديثة - الطبعة الثالثة - الرياض (1406 هـ)

(2) محمد بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي بالفتح المدني ثقة من الثالثة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 504

(3) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني ثقة عالم وكان يرسل من الثالثة مات سنة ست وثلاثين ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 222

(4) عوف بن مالك الأشجعي أبو حماد ويقال غير ذلك صحابي مشهور من مسلمة الفتوح وسكن دمشق ومات سنة ثلاث وسبعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 433
* سورة التوبة - الآية 65

(5) الحديث صحيح ، سنن البيهقي الكبرى : برقم " 17648 " ج 9 - ص 33 ، تفسير الطبري ج 6 - ص 408 قال الوادعي : رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد وله شاهد بسند حسن ، ينظر الصحيح المسند من أسباب النزول ، مقبل بن هادي الوادعي ، ص 122 ، دار ابن حزم الطبعة الثانية ، سنة 1415 هـ .

تعليق على الحديث :

- (فيه المبادرة في الإنكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال أو فعل ما يدل عليه قوله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن هذا وما أشبهه لا يكون غيبة ولا نسيمة بل من النصح لله ورسوله فينبغي الفرق بين الغيبة والنسيمة وبين النصيحة لله ورسوله فذكر أفعال المنافقين والفساق لولاة الأمور ليزجروهم ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من الغيبة والنسيمة انتهى⁽¹⁾ .

- وفيه دلالة على علم الله سبحانه وعلى قدرته وإلهيته قال تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾⁽²⁾ .

- وفي هذا الحديث جملة من المسائل :

الأولى : وهي العزيمة - أن مَنْ هَزَلَ بهذا إنه كافر . قال القاضي أبو بكر بن العربي : " لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو العلم والحق والهزل أخو الباطل والجهل " ⁽³⁾ الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة : الفرق بين النسيمة وبين النصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يُحِبُّه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل .

الحديث الثاني :

عن عروة أن رجلاً من الأنصار يقال له الجلاس بن سويد⁽⁴⁾ قال ليلة في غزوة تبوك : "والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير" فسمعه غلام يقال له عمير بن سعد⁽⁵⁾ وكان ربيبه فقال له : "أي عم تب إلى الله " ، وجاء الغلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليه فجعل يحلف ويقول :

(1) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الله / ج : 1 ص : 557-558

(2) سورة ق - الآية 18

(3) تفسير القرطبي ، ج 8 - ص 181

(4) الجلاس بن سويد بن صامت الأنصاري كان متهماً بالنفاق وهو ربيب عمير بن سعد زوج أمه وقصته

معه مشهورة في التفاسير ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 1548

(5) عمير بن سعد الأنصاري الأوسي صحابي كان عمر يسميه نسيج وحده بفتح النون وكسر المهملة بعدها تحتانية ساكنة ثم جيم ثم واو مفتوحة ومهملة ساكنة وهي كلمة تطلق على الفائق ، تقريب التهذيب / لابن

حجر / ج 1 - ص 431

"والله ما قلت يا رسول الله"، فقال الغلام: "بلى والله لقد قلته فتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته"، فجاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا فلا يتحركون إذا نزل الوحي، فرفع عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكْذِبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾⁽¹⁾، فقال: "قد قلته وقد عرض الله علي التوبة فأنا أتوب" فقبل ذلك منه وقتل له قتيل في الإسلام فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ديته فاستغنى بذلك، وكان هم أن يلحق بالمشركين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للغلام: "وعت أذنك" وأخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين رضي الله عنه قال لما نزل القرآن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذن عمير فقال: "وعت أذنك يا غلام وصدقك ربك"⁽²⁾

وفي هذا الحديث جملة من المسائل منها :

- فيه أن هذه منقبة لعمير بن سعد بصدق نصحه لله ولرسوله وللمؤمنين .
- وفيه أن إخبار عمير بن سعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما قاله عمه كان من قبيل النصيحة لا من باب النسيئة والغيبة .
- وفيه مماثلة أهل النفاق بالاعتراف بالذنب والاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وفيه قبول النبي صلى الله عليه وسلم لخبر عمير بن سعد وكان فتى صغير يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- قال الإمام القرطبي (قال علماؤنا : تضمنت هذه الآية قبول يمين الحالف وإن لم يلزم المحلوف له الرضا واليمين حق للمدعي ، وتضمنت أن يكون اليمين بالله عز وجل ، حسب ما تقدم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)^(*))⁽³⁾
- وفيه أن مَنْ هَزَلَ بشيء من الدين فقد كفر بقوله : ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾⁽⁴⁾

(1) سورة التوبة - الآية 74

(2) مصنف عبد الرزاق ج 10 - ص 47 برقم " 18304 " ، قال ابن حزم : الحديث مرسل ، ينظر المحلى ، ابن حزم ، ج 11 ، ص 85 .

* الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات باب كيف يستحلف، برقم 2533 ج 2 - ص 951 .

(3) تفسير القرطبي / ج 8 - ص 178

(4) سورة التوبة - الآية 74

- وفيه عرض التوبة على من هزل بالدين فان تاب قبل منه وان لم يتب قتل حداً .

الحديث الثالث :

عن زيد بن أرقم⁽¹⁾ قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: " لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يتفضوا من حوله ولنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " . فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾⁽²⁾ فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال : إن الله قد صدقك يا زيد⁽³⁾ وفي هذا الحديث جملة من المسائل منها :

1. قال ابن حجر رحمه الله وفي الحديث فوائد⁽⁴⁾ منها:

- أ- ترك مؤاخذه كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم ، والاقتصار على معاتبتهم وقبول أعتذارهم وتصديق أيمانهم ، وأن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف .
- ب- وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه، ولا يعد نسيمة مذمومة ، إلا إن قصد بذلك الإفساد المطلق وأما إذا كانت فيه مصلحة ترجح على المفسدة فلا .
2. وفيه أن المذموم من نقله الأخبار من يقصد بها الإفساد وأما من يقصد النصيحة ويتحرى الصدق ويتجنب الأذى فلا ، وقَلَّ من يفرق بين البابين فطريق السلامة في ذلك لمن يخشى عدم الوقوف على ما يباح من ذلك مما لا يباح ، الإمساك عن ذلك⁽⁵⁾
3. وفيه حلف المنافقين كذباً وزوراً ، واتهام المؤمنين بالبهتان فكشف الله بواطنهم .
4. وفيه أن من صفات المنافقين الكذب والتخذيل والإساءة لدين الله ورسوله .

(1) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين مات سنة ست أو ثمان وستين ، تقريب التهذيب/ لابن حجر / ج 1 - ص 222

(2) سورة المنافقون - الآية 1

(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله الآية ، برقم "4617" ، ج 4 - ص 1859 .

(4) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري / لابن حجر العسقلاني ج 8 - ص 646

(5) المصدر نفسه /ج: 10 ص: 475-476

والخلاصة : إن النميمة إذا كان بها مصلحة شرعية واضحة فلا مانع منها بل هي من باب النصيحة قال ابن حجر (رحمه الله) : (وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فان دعت حاجة إليها فلا منع منها، وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانا يريد الفتك به، أو بأهله أو بماله أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانا يفعل كذا ، ويسعى بما فيه مفسدة ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته ، فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام ، وقد يكون بعضه واجباً وبعضه مستحباً على حسب المواطن ، والله أعلم)⁽¹⁾

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج 2 - ص 113

الفصل الثالث أحكام وآداب وأحاديث تتعلق بالنصيحة

ويضم التمهيد والمباحث الآتية :

- المبحث الأول : حكم النصيحة في الإسلام.
- المبحث الثاني : أهلية الناصح والمنصوح وصفاته .
- المبحث الثالث : ضوابط وخصائص النصيحة .
- المبحث الرابع : طرق وأساليب النصيحة .
- المبحث الخامس : آداب النصيحة .
- المبحث السادس : النصيحة والأحاديث المقاربة لها .

تمهيد :

النصيحة فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط عن الباقيين ، وهي لازمة على قدر الطاقة ، وكل مسلم بالغ عاقل مكلف ، هو مطالب بالنصيحة ولا تسقط عنه بأي حال ، كما انه يجب أن يكون هم الناصح وقضيته هو : "إخراج الناس من الجهل إلى العلم ... ومن الغفلة إلى التوبة ... ومن إيثار الدنيا إلى إيثار الآخرة " . وبحجم هذه المهمة تعظم شروطها وضوابطها ومتطلباتها

ولوازمها ، والتي من أعظمها واجلها تأليف القلوب ، وتحبيب النفوس إلى الخير ، وعماد هذا الأمر الأسلوب المتبع ، والوسيلة المختارة ، والأدب المنتقى في تقديم النصيحة ... فالنصيحة في خلاصتها هي الوظيفة التي تعنى بحصول الهداية والخير للخلق ، ووقوعها فعلا وواقعا وحقيقة . ولهذا سنتناول في هذا الفصل عدة مباحث تتعلق بهذا على الوجه الآتي :

المبحث الأول حكم النصيحة في الإسلام

عند البحث في حكم النصيحة عند أهل العلم وجدت فيها الأقوال التالية:

أ- أنها فرض عين : ذهب بعض الفقهاء إلى أن النصيحة تجب للمسلمين ، قال ابن حجر الهيتمي (رحمه الله) : (كُلُّ ذَلِكَ أَدَاءٌ لِلنَّصِيحَةِ الْمُتَأَكَّدِ وَجُوبُهَا لِخَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)⁽¹⁾ ، وقال المالكية : "النصيحة فرض عين سواء طلبت أو لم تطلب إذا ظن الإفادة لأنه من باب الأمر بالمعروف"⁽²⁾ ويقول في هذا المقام الإمام ابن حزم (رحمه الله): (النصيحة مرتان فالأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير ..)⁽³⁾ ، إذاً فهذا الواجب هو المفهوم من النصوص المتعلقة بالأمر

(1) الزواجر عن اقتراف الكبائر / شهاب الدين أحمد بن محمد ، ابن حجر الهيتمي (المتوفى : 974هـ) / ج 1

، تحقيق ، عبد اللطيف عبد الرحمن / ص 163 ، دار الكتب العلمية ، سنة 2005 .

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية / وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / ج 1 ، ص 103 / الطبعة الثانية ، دار السلاسل ، الكويت .

(3) الأخلاق والسير / لابن حزم / ج 1 - ص 45 .

بالمعروف والنهي عن المنكر ،ومن مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة على المناصحة ، كما ورد عن جرير بن عبد الله :بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ،والنصح لكل مسلم (فقد قرنهما مع واجبين عظيمين ⁽¹⁾

ب-أنها فرض كفاية : إذا قام بها من يكفي ، سقط عن غيره ، وهي لازمة على قدر الطاقة . وهذا ما قاله الإمام ابن دقيق العيد ⁽²⁾(رحمه الله) ،وقاله ابن بطال (رحمه الله) بقوله: (والنصيحة فرض يجزى فيه أن قام به البعض عن الباقيين ، قال والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح انه يُقبل نصحه وبطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فان خشي على نفسه أذى فهو في سعة ،والله اعلم) ⁽³⁾، وبها قال الإمام الشوكاني (رحمه الله) بقوله : (فالنصيحة فرض كفاية على الجماعة وعين على الواحد، وهي لازمة بقدر الطاقة، إذا علم الناصح أن المنصوح يقبل وأمن على نفسه وماله) ⁽⁴⁾

وهذا هو الحكم العام للنصيحة .

بينما أرى إن حكم النصيحة يمكن أن ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : حكم النصيحة لله ورسوله وكتابه .

يرى بعض أهل العلم أنها على وجهين :

أ- نصيحة واجبة لله بإتباع محبة الله في أداء الفرائض وترك المحرمات.

قال المروزي (رحمه الله): (فالنصيحة المفترضة لله تعالى : هي شدة العناية من الناصح بإتباع محبة الله في أداء ما افترض ، ومجانبة ما حرم بجميع جوارحه ، ما كان مطيقا له فإن عجز عن القيام بفرضه لآفة حلت به من مرض أو حبس أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له، قال الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ⁽⁵⁾ فسماهم محسنين ، نصيحتهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بأنفسهم ،وقد يرفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات، ولا يرفع عنه النصح لله، لو كان من المرض بحال لا

(1) شرح الأربعين النووية في ثوب جديد / عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية /ص 127

(2) شرح الأربعين النووية/ للإمام محمد بن علي بن وهب القشيري (ابن دقيق العيد)/تحقيق : محمد

عوض هيك / الحديث السابع ، ص 129 / دار السلام ،الطبعة الاولى 1426هـ - 2005م

(3) شرح النووي على صحيح مسلم /ج: 2 ص: 39

(4) فيض القدير / المناوي / ج: 1 ص: 450

(5) سورة التوبة -آية 91

يمكنه عمل بشيء من جوارحه بلسان ولو أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه، وهو أن يندم على ذنوبه، وينوي إن يصح أن يقوم بما افترض الله عليه، ويتجنب ما نهاه عنه، وإلا كان غير ناصح لله بقلبه، وكذلك النصح لله ولرسوله فيما أوجبه على الناس على أمر ربه، ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصي ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله (1).

ب- نصيحة مستحبة بإيثار محبة الله على محبة نفسه، في فعل المسنونات واجتناب المكروهات:

قال المروزي (رحمه الله) (وأما النصيحة التي هي نافلة : فهي إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض أمران أحدهما لنفسه والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه ... فبذل المحمود بإيثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح، حتى لا يكون في الناصح فضلا عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لمن ينصحه، لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته، فكذلك الناصح لربه، ومن تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله، غير محق للنصح بالكمال) (2).

القسم الثاني : حكم النصيحة لأئمة المسلمين .

وهي على نوعين أيضا:-

أ- فرض كفاية على الأمة : فإذا قام بها البعض سقط عن الباقي وهي لازمة على قدر الاستطاعة لحديث تميم الداري : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال (الدين النصيحة) ، قلنا : لمن ؟ قال : (لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) (3) .

ب- فرض عين على بطانته وحاشيته : قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) في هذا الحديث (أن من الدين النصح لأئمة المسلمين وهذا أوجب ما يكون فكل من وآكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك ، إذا رجا أن يسمع منه ، وعن السائب بن يزيد (4) قال: قال رجل

(1) تعظيم قدر الصلاة / للمروزي / ج: 2 ص: 691-692

(2) ينظر المصدر نفسه ، بتصرف

(3) الحديث صحيح : سبق تخريجه ، ينظر ص15

(4) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي وقيل غير ذلك في نسبه ويعرف بابن أخت النمر صحابي صغير له أحاديث قليلة وحج به في حجة الوداع وهو بن سبع سنين وولاه عمر سوق المدينة مات سنة

لعمر بن الخطاب ألا أخاف في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على أمري؟ فقال أما من ولي من أمر المسلمين شيئاً فلا يخف في الله لومة لائم ومن كان خلوا فليقبل على نفسه ولينصح لأمره ، وسئل مالك بن أنس : أيأتي الرجل إلى السلطان فيعظه وينصح له ويندبه إلى الخير؟ فقال إذا رجا أن يسمع منه وإلا فليس ذلك عليه⁽¹⁾

أما إذا لم يستطع أن ينصحهم أو ينكر عليهم فعليه بالفرار منهم، قال ابن عبد البر (رحمه الله): (إنما فر من فر من الأمراء، لأنه لا يمكنه أن ينصح لهم ولا يغير عليهم ،ولا يسلم من متابعتهم فعن كعب بن عجرة⁽²⁾ قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة ، خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم فقال : اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء ، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم ، فهو مني وأنا منه ، وهو وارد علي الحوض⁽³⁾ .

وعن أبي سعيد الخدري⁽⁴⁾ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " أو " أمير جائر "⁽⁵⁾....وقد كان الفضيل بن عياض يشدد

إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 228

(1) التمهيد لابن عبد البر / للإمام ابن عبد البر/ج: 21 ص: 285

(2) كعب بن عجرة الأنصاري المدني أبو محمد صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 461

(3) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، برقم " 2259 " ج: 4 ص: 525 ، قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث مسعر إلا من هذا الوجه و السنن الكبرى ، كتاب البيعة ، باب من لم يعن اميرا على الظلم ، برقم 7831 ج: 4 ص: 435 ، 4208 و سنن النسائي - المجتبى - كتاب البيعة ، باب من لم يعن اميرا على الظلم ، برقم: 4208 ، ج: 7 ص: 160 .

(4) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 232

(5) الحديث حسن : سنن الترمذي كتاب الفتن ، باب افضل الجهاد كلمة عدل ، برقم " 2174 " ج: 4 ص: 471 ، قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي أمامة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، و سنن أبي داود كتاب الملاحم ، باب الامر والنهي ، برقم "4344" ج: 4 ص: 124 ، و سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، برقم "4011" ، ج: 2 ص: 132 ، والمستدرک على الصحيحين ، برقم "6628" . ج: 3 ص: 725 .

في هذا فيقول : ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء قالوا: كيف ذلك ؟ قال يمدحه في وجهه ويصدقه في كذبه ! وذكر احمد بن حنبل عن ابن المبارك قال : لا تأتهم فإن أتيتهم فأصدقهم قال وأنا أخاف ألا أصدقهم ..⁽¹⁾

القسم الثالث : حكم نصيحة الحاكم لرعيته .

أنها فرض عين على الراعي تجاه رعيته ، قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : (ويجب على الإمام من النصح لرعيته كما يجب عليهم له .. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته)⁽²⁾ .

فالإمام الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من أمير يؤمر على عشرة إلا يسئل عنهم يوم القيامة .⁽³⁾ وعن معقل بن يسار⁽⁴⁾ رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من استرعاه الله رعية ومات وهو لها غاش حرم الله عليه الجنة .⁽⁵⁾

(1) ينظر التمهيد لابن عبد البر / للإمام ابن عبد البر / ج: 21 ص: 285

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عدي وأمتي ، برقم " 2416 " ، ج 2 ، ص 901 / صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ، برقم " 1829 " ، ج 3 ص 1459 .

(3) الحديث حسن : قال الهيثمي : فيه رشدين بن كريب وهو ضعيف اه . ورواه أحمد عن أبي هريرة بلفظ ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . ورواه الطبراني وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير ، وأخرج البيهقي حديثاً آخر عن أبي هريرة بمعنى حديثه هذا ، ينظر : فيض القدير ج 5 - ص 473 ، مسند أبي عوانة ، يعقوب بن اسحاق الاسفرائني ابو عوانة (ت 316 هـ) ، ج: 1 ص: 32 ، دار المعرفة ، بيروت ، و مجمع الزوائد ج: 5 ص: 205 ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1255 هـ . ت) / ج: 9 ص: 163 / دار الجيل - بيروت 1973 م

(4) معقل بن يسار المزني صحابي ممن بايع تحت الشجرة وكنيته أبو علي على المشهور وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة مات بعد الستين ، تقريب التهذيب ج 1 - ص 540

(5) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابو عوانة في مسنده ، وله شواهد في الصحيح بالفاظ أخرى ، صحيح البخاري باب من استرعى رعية فلم ينصح برقم " 6731 " ، ج: 6 ص: 2614 ، صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب

وعن الحسن قال مرض معقل بن يسار مرضاً ثقل فيه فأثاه زياد⁽¹⁾ يعوده فقال إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يجد ريح الجنة وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام^(*) (2).

القسم الرابع : حكم النصيحة بين المسلمين .

والنصيحة لعامة المسلمين على ثلاثة أضرب :

أ- فرض عين على كل مسلم : قال الشافعي (رحمه الله) : فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض ، ثم أورد قول جرير بن عبد الله بسنده : "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصيحة لكل مسلم"⁽³⁾.

ب- فرض عين على من طلب النصيحة: لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه)⁽⁴⁾ قال الإمام الصنعاني (رحمه الله)

فضيلة الامام العادل ، برقم 142 ج 3 - ص 1459 ، الجامع ، معمر بن راشد الازدي (151هـ) ، تحقيق ، حبيب الاعظمي ، ج: 11 ص: 319 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1403 هـ . ، فتح الباري ، ج: 13 ص: 128 ، سبل السلام ، ج: 4 ص: 191 .

(1) عبيد الله بن زيادة ويقال زياد أبو زيادة البكري أو الكندي الدمشقي ثقة من الثالثة وروايته عن بلال مرسله ، تقريب التهذيب/ لابن حجر / ج 1 - ص 371
* رواه احمد وابن أبي شيبة في مصنفه ، مسند أحمد برقم " 20330 " ، ج 5 - ص 27 ، قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد قوي/ المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت برقم: 37723 ، ج: 7 ص: 527. مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ، 1409.

(2) ينظر التمهيد لابن عبد البر / للإمام ابن عبد البر / ج: 21 ص: 288 ، بتصريف

(3) ينظر الرسالة / محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (150 - 204 هـ .ت) / تحقيق . احمد محمد شاكر / ج: 1 ص: 50/ القاهرة 1358 هـ - 1939 م .

(4) الحديث صحيح : سبق تخريجه ينظر ص 62 .

: (فقله إذا استنصحك أي طلب منك النصيحة فانصحه دليل على وجوب نصيحة من يستنصح وعدم الغش له وظاهره أنه لا يجب نصحه إلا إذا طلبها) (1).

ت - مندوب : قال الإمام الصنعاني رحمه الله (والنصح بغير طلب مندوب لأنه من الدلالة على الخير والمعروف وهو ما ذهب إليه الأمام الشوكاني رحمه الله) (2) .

المبحث الثاني أهلية الناصح والمنصوح.

هناك الكثير من الشروط التي تؤهل الناصح لمباشرة النصيحة للمنصوح، وتؤهل المنصوح لاستماع النصح، ولا بد من توفر تلك الشروط في الناصح والمنصوح ؛ لأن النصيحة ليست عملاً عادياً باستطاعة كل إنسان مباشرته بل تحتاج إلى شروط واضحة وصفات معينة . حيث ضم هذا المبحث مطلبين .

المطلب الأول: أهلية الناصح والمنصوح .

أولاً :تعريف الأهلية عند أهل اللغة والاصطلاح :

الأهلية عند أهل اللغة : هي الاستحقاق والصلاحية يقال فلان " (أهلّ) للإكرام أي مستحق له" (3) .

(1) سبل السلام / للإمام الصنعاني / ج: 4 ص: 149

(2) المصدر نفسه .

(3) المصباح المنير / الفيومي/ مادة أهل ، ج 1 - ص 28

الأهلية عند أهل العلم : عبارة عن صلاحية لوجوب الحقوق الشرعية له وعليه ⁽¹⁾.
وقد ميز الفقهاء في الأهلية من حيث المناط الذي تناط به بين نوعين فقسموها إلى قسمين ⁽²⁾ :

أهلية الوجوب : هي صلاحية الإنسان أن تثبت له حقوق وتجب عليه واجبات
أما أهلية الأداء : فهي ترادف : (المسؤولية) وهي صلاحية الإنسان لأن تعتبر أقواله وأفعاله
شرعاً.

ثانيا : أهلية الناصح والمنصوح

كل مسلم مكلف بالنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بشروط لازمة تجعل من
الناصح أهلاً للنصيحة ولتقديم النصح ، وتجعل من المنصوح أهلاً لتقبل النصيحة، وهذه الشروط
مستوحاة من شروط المحتسب التي ذكرها الإمام الغزالي (رحمه الله) : (أن يكون مكلفاً مسلماً
قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا
مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرفيق والمرأة) ⁽³⁾.

فمن خلال هذا التأصيل للإمام الغزالي (رحمه الله) أقول لابد أن تتوفر في الناصح
والمنصوح الشروط التالية:

أ-الإسلام : فالأصل في الناصح أن يكون مسلماً، فيخرج بذلك الكافر؛ وهو ما ذكره الإمام
الغزالي (رحمه الله) عن هذا الشرط فقال : (فلا يخفى وجه اشتراطه، لأن هذا نصرة للدين
، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له) ⁽⁴⁾.

فهذا الشرط أصل في أهلية الناصح ، إذ كيف يتوقع أن ينصح كافرٌ مؤمناً وهو لا يقر بالإيمان
ولا يعترف بالدين ،ولسانه حاد على عباد الله من المؤمنين وأفعاله تستجلب سخط رب العالمين،

(1) التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي/ تحقيق : د. محمد رضوان الداية / ج 1 -
ص 104 ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، 1410 ، التعريفات
/الجرجاني / ج 1 - ص 58

(2) شرح العمدة في الفقه/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/ تحقيق : د. سعود صالح
العطيشان/ ج 1 - ص 100 / مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة الأولى ، 1413

(3) الإحياء /للإمام الغزالي / ج:2:ص:312

(4) الإحياء /للإمام الغزالي / ج:2:ص:312.

إذاً بماذا ينصح ؟ وبماذا يوجه ؟ وماذا يقدم للدين والدعوة والنصيحة ؟ والقول الفصل والكلام القاطع بهذا الشرط هو قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾⁽¹⁾ .

وأما بالنسبة للمنصوح، فقد ذهب الحنابلة إلى أنه لا يجب على المسلم أن ينصح الكافر أو الذمي و لابد أن يكون المنصوح مسلماً، وفي هذا يقول الإمام أحمد (رحمه الله) : (ليس على المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم)⁽²⁾ وحجة من اشترط الإسلام حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: (والنصح لكل مسلم)⁽³⁾ .

ويرى آخرون عدم اشتراط الإسلام، وأن التقييد بالإسلام للأغلب، وفي هذا يقول ابن حجر (رحمه الله) : (التقييد بالمسلم للأغلب وإلا فالنصح للكافر معتبر، بأن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب إذا استشار)⁽⁴⁾ .

ب- التكليف: فيشترط في الناصح والمنصوح البلوغ والعقل لأن البلوغ والعقل مناط التكليف، قال الإمام الغزالي (رحمه الله) : (وهو لا يخفى وجه اشتراطه، فإن غير المكلف لا يلزمه أمر، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل، حتى إن الصبي المراهق للبلوغ المميز، وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر... وإذا فعل ذلك نال به ثواباً، ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف... فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستتضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر)⁽⁵⁾ .

ولا يسقط التكليف بالنصيحة عن المسلم مادام صحيح العقل قال ابن رجب (رحمه الله) (قد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات، ولا يرفع عنه النصح لله، فلو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل بشيء من جوارحه بلسان ولا غيره غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه، وهو أن يندم على ذنوبه، وينوي إن صح أن يقوم بما افترض الله عليه، ويجتنب ما نهاه عنه، وإلا كان غير ناصح لله بقلبه)⁽⁶⁾ .

فنجد أن التكليف هو شرط للنصح، فلا بد أن يكون الناصح والمنصوح مكلفين، فلا يعقل أن يأتي النصح من مجنون، ولا يمكن أن يقبل النصح من الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم

(1) سورة النساء - الآية 141

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي/ ج 1 - ص 82

(3) الحديث متفق عليه ، سبق تخريجه : ينظر 62 .

(4) فتح الباري - لابن حجر/ ج 1 - ص 140 ، عمدة القاري / بدر الدين العيني/ ج 1 - ص 326

(5) الإحياء / للإمام الغزالي/ ج 2: ص 312

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 - ص 79

، كما لا يمكن أن يقبل النصيحة معتوه ، وهذا ثابت في حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل وقد قال حماد أيضا وعن المعتوه حتى يعقل ⁽¹⁾ فمن خلال هذا الحديث تتأكد حيثيات الشرط .

ت- العدالة : إذ لا يمكن أن يقدم النصح فاجر أو فاسق متهتك ، وهذا هو الأصل ، وقد اعتبرها قوم كما ذكر الأمام الغزالي رحمه الله . واستدلوا بصريح الآيات والأحاديث التي تؤكد هذا الشرط :

منها قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ⁽²⁾ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ⁽³⁾

وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ⁽⁴⁾

وحديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه ⁽⁵⁾ في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون: أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية ⁽⁶⁾)

(1) الحديث أخرجه الأربعة إلا الترمذي وصححه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، سنن أبي داود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا برقم 4398 ، ج: 4 ص: 139 ، السنن الكبرى ، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج ، برقم 5625 ، ج: 3 ص: 360 ، سنن ابن ماجه ، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم برقم: 2041 ، ج: 1 ص: 658 ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب البيوع ، برقم "2350" ج: 2 ص: 67 .

(2) سورة البقرة - الآية 44

(3) سورة الصف - الآية 2

(4) سورة هود - الآية 88

(5) والأفتاب جمع قتب بكسر القاف وسكون المثناة بعدها موحدة هي الأمعاء واندلاقها خروجها بسرعة يقال اندلق السيف من غمده إذا خرج من غير أن يسله أحد ، ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج 13 - ص 52 (6) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة برقم "3094" ج: 3 ص: 1191 / صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ، برقم "2989" ، ج 4 ، ص 2290

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه جاءه رجل فقال : يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال: أبلغت ذلك قال أرجو قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل قال: وما هن؟ قال قوله تعالى ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾ أحكمت هذه؟ قال: لا ! قال: فالحرف الثاني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾ أحكمت هذه؟ قال: لا ! قال: فالحرف الثالث قول العبد الصالح شعيب عليه السلام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽³⁾ أحكمت هذه الآية؟ قال: لا ! قال فابدأ بنفسك .⁽⁴⁾

وربما استدلووا كما ذكر الإمام الغزالي (رحمه الله): (من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة، والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره، ومتى يستقيم الظل والعود اعوج .)⁽⁵⁾ والظاهر أن هذا الشرط ليس مجمعاً عليه بين أهل العلم بل اختلفوا فيه، وارى انه يمكن أن نجتمع ونوفق بين هذا الاختلاف، فأقول: لا يمكن أن نأخذ هذه الأدلة في عدالة الناصح على إطلاقها، بل يجوز للفاسق أن ينصح ويعظ، فلا يشترط في النصح أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها، إذ لا عصمة للصحابة فضلاً عن دونهم، ولهذا قال سعيد بن جبیر رضي الله عنه "إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأعجب مالكاً ذلك من سعيد بن جبیر رضي الله عنه ."⁽⁶⁾

ث- القدرة : يشترط في النصيحة أن يكون صاحبها قادراً على النصح والأمر والنهي وتغيير المنكر، فإن كان عاجزاً فلا وجوب عليه إلا بقلبه، أي: عليه أن يكره المعاصي ويُنكرها ويقاطع فاعليها . ولما كانت النصيحة جزءاً أساسياً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووسيلة من وسائلها ، حتى يمكن اعتبارهما مترادفين أو موضوعاً واحداً . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله

(1) سورة البقرة- الآية 44

(2) سورة الصف- الآية 2

(3) سورة هود- الآية 88

(4) تفسير ابن كثير / ج: 1 ص: 87

(5) الإحياء/الإمام الغزالي / ج:2 ص:312

(6) الإحياء/الإمام الغزالي /ج:2 ص:312-313 بتصرف

عنه، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .⁽¹⁾
فمن شروط الناصح أن تكون له قدرة على الإنكار بحسب قدرته ، وأما إنكاره بالقلب ، فلا بد منه ولا يعفى منه أحد والقلب الذي لا ينكر ، ليس في قلبه من الإيمان حبة خردل . لأن المفترض حالة العلم وليس حالة الغفلة .

فبمجموع هذه الشروط نخرج بأهلية الناصح والمنصوح في النصيحة .

المطلب الثاني : صفات الناصح .

لابد للناصح من صفات يتميز بها في نصحه ويتخلق بها في نصيحته وهذه الصفات كثيرة لكن نقتصر على ذكر أهمها وعلى بيان أجلها .

أ - أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق .

لابد للناصح من أن يكون لطيفاً رقيقاً أديباً في نصحه لغيره، وهذا يضمن استجابة المنصوح للنصيحة، ذلك لأن قبول النصح كفتح الباب، والباب لا يفتح إلا بمفتاح مناسب، والمنصوح امرؤ له قلب قد أغلق عند مسألة قصر فيها، إن كانت أمراً مطلوباً في الشرع ، أو وقع فيها، إن كانت أمراً ممنوعاً في الشرع .

وحتى يترك المنصوح الأمر أو يفعله لابد له من انفتاح قلبه له، ولا بد لهذا القلب من مفتاح، ولن تجد له مفتاحاً أحسن ولا أقرب من لطف في النصح، وأدب في الوعظ، ورفق في الحديث، فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (2).

ويقول عبد العزيز بن أبي راود (3) رحمه الله: (كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئاً يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه ، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره) (4).

(1) سبق تخريجه ، ينظر ص 118

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، برقم "2594" ، ج 4 ص 2004

(3) عبد العزيز بن أبي رواد يفتح الرأء وتشديد الواو صدوق عابد ربما وهم ورمي بالإرجاء من السابعة مات سنة تسع وخمسين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 357 .

(4) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج 1 ص 82

فانظر حال من نصح بشدة وغلظة وفظاظة، كم من باب للخير قد أغلق؟ وكم من منصوح قد صد عن باب الله؟ وكم من صديق قد أوغر صدره عليه بالعداوة، وكم من أذى قد أوقع على أخيه؟ وكم من الأجر قد فاته؟ وكم قد أعان الشيطان على إخوانه؟.

وانظر في الجهة المقابلة إلى حسن الرفق في النصيحة، فكم من قلب مغلق قد فتح؟ وكم من حق مضاع قد حفظ؟ وكم من نقص قد استكمل؟ وكم من أخوة قد روعيت؟ وكم من تأخر عن الركب قد أدرك؟ وكم من الأجر قد تحصل؟ وكم من إرغام للشيطان قد كان؟ فمن قارن بين الحالتين وجد الفرق واضحاً

ب- من صفات الناصح التخلي عن الأخلاق السيئة التي تؤذي المؤمنين

ولذلك ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم أبداً : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم)⁽¹⁾ فالناصح يتخلى قلبه ويظهر من الخيانة والحسد والعداوة والبغضاء المدمرة، إذا جمع في قلبه هذه الثلاث قال ابن عبد البر (رحمه الله) : (فأما قوله ثلاث لا يغفل عليهن قلب مؤمن ، فمعناه لا يكون القلب عليهن ومعهن غليلاً أبداً ، يعني لا يقوى فيه مرض ولا نفاق ، إذا أخلص العمل لله ولزم الجماعة وناصح أولي الأمر)⁽²⁾ ، وقال الإمام السيوطي (رحمه الله) : (وله ثلاث لا يغفل من الأغلال وهو الخيانة ، ويروى بفتح الياء من الغل هو الحقد والشحناء، ويحتمل أن يكون قوله "عليهن" حالاً من القلب الفاعل فيكون المعنى قلب الرجل المسلم، حال كونه متصفاً بهذه الخصال الثلاث، لا يصدر عنه الخيانة والحقد والشحناء، ولا يدخله ما يزيله عن الحق ، والحاصل أن هذه الخصال الثلاث، مما يستصلح به القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والحقد وغيرهما من الرذائل ، ويحتمل أن يكون قوله "عليهن" متعلقاً بقوله يغفل أي لا

(1) الحديث صحيح رواه احمد والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ،مسند أحمد ، "13374" ج 3 - ص 225 ، سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب الحث على السماع ، برقم برقم :2660 ج: 5 ص: 35 ، و سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، برقم : 3056 ج: 2 ص: 1015 ، و صحيح ابن حبان ، كتاب العلم ، باب الزجر عن كتابة المرء السنن ، برقم 67 ج: 1 ص: 270، وقال شعيب الارنؤوط : اسناده صحيح ، والمستدرک على الصحيحين ،كتاب العلم ، برقم " 295 " ج: 1 ص: 162 ، غير ان الحديث فيه مقال ، قال الكنانى : هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن إسحاق وقد تقدم هذا الحديث بإسناده في كتاب السنة وله شاهد من حديث ابن مسعود رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وابن إسحاق قد رواه بالغنعة والمتن على حاله صحيح . ينظر : ومصباح الزجاجاة ج: 3 ص: 206 برقم: 601 .

(2) التمهيد / لابن عبد البر / ج 21 ص 277

يخون في هذه الخصال يعني إن من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يحسد فيها بل يأتي بها بتمامها بغير نقصان في حق من حقوقها. (1)

فالناسح لا يخون في هذه الثلاثة ولا يدخله زيغ يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك .

ت - من صفات الناسح التحلي بالأخلاق الفاضلة .

التحلي بالفضائل ،التي جاء بها الإسلام ،وهي من مميزات الإيمان ومكملات الإسلام وشرائط الإحسان والعدل، يتصف بها كل مسلم في السر والعلن ،فالناسح عليه أن يتصف بكل فضيلة ،نادى بها الإسلام اتصاف وجوب ،لا يستطيع أن يعفي نفسه منها أبداً ،ولقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جرير على النصح لما شاهده من تحليه بأخلاق فاضلة ، ولذلك (: لما دخل جرير على النبي صلى الله عليه وسلم ألقى له وسادة فجلس على الأرض فقال صلى الله عليه وسلم : " أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً " فأسلم ،فقال جرير فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيأيعني وقال : " على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان، وتنصح المسلم وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً " . فقال : نعم . قال : فبايعه) (2) قال جرير : فو الله ما زلت انصح لكل مسلم حتى ألقى الله .

ث - ومن صفات الناسح انه ينصح لأخيه بالغيب .

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حق المؤمن على المؤمن ست خصال أن يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس وان دعاه أن يجيبه وإذا مرض أن يعودوه وإذا مات أن يشهده وإذا غاب أن ينصح له. (3)

(فمن حق المسلم على المسلم أن ينصح له إذا غاب .ومعنى ذلك أنه إذا ذكر في غيبته بالسوء أن ينصره ويرد عنه، وإذا رأى من يريد أذاه في غيبته كفه عن ذلك، فإن النصح في الغيب يدل على صدق الناسح، فإنه قد يظهر النصح في حضوره تملقاً، ويغشه في غيبته، وقال الحسن البصري : إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما يعجز عنه، قال الحسن وقال بعض

(1) شرح سنن ابن ماجه / السيوطي ، عبد الغني ، / ج 1 - ص 21 / قديمي كتب خاتمة - كراتشي

(2) مختصر تاريخ دمشق / ج 1 ص 766

(3) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ومحمد بن موسى المخزومي المدني ثقة روى عنه عبد العزيز بن محمد وابن أبي فديك ، ينظر : سنن الترمذي ، كتاب الادب ، باب تشميت العاطس، برقم 2737 ، ج: 5 ص: 80 ، و السنن الكبرى ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن سب الاموات، برقم : 2065 ج: 1 ص: 630 ، سنن النسائي - المجتبى ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن سب الاموات برقم : 1938 ج: 4 ص: 53.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ويحبون عباد الله إلى الله ، ويسعون في الأرض بالنصيحة .(1)

ج- ومن صفات الناصح العلم بحال المنصوح والاعتدال في النصح .

عن سالم بن عبد الله⁽²⁾ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : مر على رجل من الأنصار وهو يعظ (أي ينصح) أخاه في الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فإن الحياء من الإيمان .(3)

قال المناوي (رحمه الله تعالى) : (إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علم وعقل ، وفكر صحيح ورؤية حسنة ، واعتدال مزاج وتؤدة ، فإن لم يكن فيه هذه الخصال فالخطأ أسرع إليه من الإصابة وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة) .(4)

ح- ومن صفات الناصح دفع النصيحة إلى من هو أعلم منه .

وهو اعتراف الناصح بأهل الفضل والسابقة ودفعه الأمر إلى من هو أعلم منه ، كما جاء في الحديث (عن قتادة عن زرارة⁽⁵⁾ أن سعد بن هشام بن عامر⁽⁶⁾ أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقاراً له بها ، فيجعله في السلاح والكرع ، ويجاهد الروم ، حتى يموت ، فلما قدم المدينة لقي أناساً من أهل المدينة فنهوه عن ذلك ، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " أليس لكم في أسوة" فلما حدثوه بذلك راجع امرأته وقد كان طلقها وأشهد على رجعتها ، فأتى ابن عباس فسأله

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / ج: 1 ص: 81

(2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر أو أبو عبد الله المدني أحد الفقهاء السبعة وكان ثبثاً عابداً فاضلاً كان يشبهه بأبيه في الهدى والسمت من كبار الثالثة مات في آخر سنة ست على الصحيح ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 226

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الحياء من الإيمان برقم " 24 " ج: 1 ص: 17 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ، برقم " 36 " ، ج 1 - ص 63

(4) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 328

(5) زرارة بن أوفى النخعي أبو عمرو قال ابن أبي حاتم عن أبيه له صحبة ومات في زمن عثمان وتبعه أبو عمر فلم يزد قلت فأما زرارة بن أوفى قاضي البصرة فهو تابعي معروف ثقة وهو حرشي بفتح المهملة والراء بعدها معجمة ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 2 - ص 558

(6) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ثقة من الثالثة استشهد بأرض الهند ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 232

عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال آبن عباس: ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من؟ قال عائشة فأتها فاسألها ثم أئتنى فأخبرني بردها عليك ... الحديث (1)

قال الإمام النووي (رحمه الله): (قوله فأتى ابن عباس يسأله فقال ألا أدلك على أعلم أهل الأرض فيه أنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه به أن يرشد السائل إليه فإن الدين النصيحة ويتضمن مع ذلك الإنصاف والاعتراف بالفضل لأهله والتواضع) (2)

وفي الحديث أيضا عن حبيب بن أبي ثابت (3) أنه سمع أبا المنهال (4) يقول: سألت البراء بن عازب (5) على الصرف؟ فقال سل زيد بن أرقم فهو أعلم، فسألت زيدا فقال: سل البراء فإنه أعلم ثم قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الورق بالذهب دينا. (6) قال ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من التواضع وإنصاف بعضهم بعضا ومعرفة أحدهم حق الآخر واستظهار العالم في الفتيا بنظيره في العلم) (7).

المبحث الثالث

ضوابط وخصائص النصيحة .

يقوم هذا المبحث على مطلبين هما ضوابط النصيحة والخصائص التي تقوم عليها النصيحة ..

- (1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ، برقم " 746 " ج: 1 ص: 512
- (2) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 6 ص: 25- 26
- (3) حبيب بن أبي ثابت قيس ويقال هند بن دينار الأسدي مولاهم أبو يحيى الكوفي ثقة فقيه جليل وكان كثير الإرسال والتدليس من الثالثة مات سنة تسع عشرة ومائة، تقريب التهذيب ج 1 - ص 150 .
- (4) عبد الرحمن بن سلمة ويقال بن مسلمة ويقال بن المنهال بن سلمة الخزاعي يكنى أبا المنهال مقبول من الرابعة ، ينظر تقريب التهذيب ، ج 1 - ص 341 .
- (5) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي صحابي بن صحابي نزل الكوفة استصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لدة مات سنة اثنتين وسبعين ، ينظر تقريب التهذيب ، ج 1 - ص 121 .
- (6) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم ، صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع الورق بالذهب نسيئة ، برقم " 2070 " ج 2 ص 762 ، صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب النهي عن بيع الورق بالذهب دينا ، برقم " 1589 " ج 3 - ص 1212
- (7) فتح الباري - لابن حجر ، ج 4 - ص 383 .

المطلب الأول: الضوابط التي تقوم عليها النصيحة .

كل مطلب من مطالب الشريعة لها ضوابط وشروط خاصة بها بما في ذلك النصيحة إذ لا يمكن أن ينصح الناصح من غير ضابط يلزمه فيما ينصح به ، فالناصح يمشي في نصحه على ضوابط وهي كيف ينصح ؟ ومتى ينصح ؟ وبأي وسيلة يمكن أن ينصح ؟ وغير ذلك ، فمن ضوابط النصيحة ما يأتي :-

أولاً - أن تكون مبنية على الدليل.

فمن ضوابط النصيحة قيامها على الدليل لأن من الناس من قد ينصح في أمرٍ خطأ، قد يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف من باب النصيحة وإنما أتى من جهله ؛ لأنه لم يعرف الأمر على وجهه، ولم يعرف دليل ما يأمر به، فالدليل له أهمية كبيرة ، فمن خلاله يعرف أن النصيحة في محلها أو لا. وما مدى قيمة النصيحة عند المنصوح ، والدليل الذي نقصده هو بعمومه، سواء كان من الكتاب أو من السنة، أو من أقوال الصحابة، أو من الإجماع أو قياس .. إلخ. فالناصح ملزم إن كان يريد النصح أن يتفقه في الدين ، وإن يحوز على الدليل ، وبذلك يملك الخير كله ، فعن حميد بن عبد الرحمن⁽¹⁾ قال سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين⁽²⁾

فالفقه هنا هو الفهم ، وقل في الناس من يملك فهماً عميقاً إلى جانب علم دقيق ، فمن الضوابط التي يلتزم بها الناصح ، الفهم في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا ترجم الأمام البخاري باباً اسماه (باب الفهم في العلم) ، ثم ساق حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتني بجمار فقال: " إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم " فأردت أن أقول: " هي النخلة " فإذا أنا أصغر القوم فسكت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة⁽³⁾

(1) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ثقة من الثانية مات سنة خمس ومائة على الصحيح وقيل إن روايته عن عمر مرسله ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 182

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، برقم " 71 " ج: 1 ص: 39 ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، برقم " 1037 " ج: 2 - ص 718

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الفهم في العلم ، برقم " 72 " ج: 1 ، ص 39 ، صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، برقم " 2811 " ج: 4 ، ص 2164.

فالفقه في الدين هو أساس النصح ومبنى النصيحة وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه . لذا جاءت أحاديث ودعوات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بوجوب التفقه في دين .

ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنه فقال : " اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل " ⁽¹⁾ ففقّه الله وعلمه .

وعن معاوية بن أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أراد الله بعبد خيراً ففقّهه في الدين ⁽²⁾

وقال ابن عباس رضي الله عنه : " كونوا ربانيين حلماء فقهاء " ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ⁽³⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال : " أتقاهم " فقالوا : ليس عن هذا نسألك قال : " فيوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله " قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : " فعن معادن العرب تسألون خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " ⁽⁴⁾

فيجب على الناصح أن يكون عالماً بما ينصح به من أمر أو نهي لذا قال الإمام النووي (رحمه الله) : (إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف بحسب الأشياء فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة ، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال ومما يتعلق بالاجتهاد ، لم يكن للعوام الابتداء بإنكاره ، بل ذلك للعلماء ويلتحق بهم من أعلمه العلماء بأن ذلك مجمع

(1) الحديث صححه ابن حبان والحاكم و قال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي ، صحيح ابن حبان ، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن الصحابة ، برقم " 7055 " ج 15 - ص 531 قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، برقم: 6280 ، ج: 3 ص: 615 .

(2) الحديث صحيح : مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الفرائض ، في الفقه في الدين برقم 31048 ، ج: 6 ص: 240 ، مجمع الزوائد ج: 1 ص: 121 ، إذا أراد الله بعبد خيراً ففقّهه في الدين وألهمه رشده رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، ج: 1 ص: 37

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ النساء ، برقم " 3175 " ج: 3 ص: 1224 / صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل يوسف عليه السلام ، برقم " 2378 " ، ج 4 - ص 1846

عليه عند العلماء ، وإنما ينكر ما أجمع على إنكاره أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ، لأن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد ولا نعلمه ولا إثم على المخطئ ، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف ، فهو حسن محبوب ، ويكون برفق لأن العلماء متفقون على استحباب الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال ..⁽¹⁾ .

كما أن من نصح الناس وهو جاهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، لذا قال ابن تيمية (رحمه الله) : (ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن منكر ، بلا منكر ، وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات ، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، والله لا يحب الفساد ، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح ، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ودم الفساد والمفسدين في غير موضع ، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم يكن مما أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ لمؤمن عليه أن يتقى الله في عباد الله وليس عليه هداهم .⁽²⁾)

قال المناوي (رحمه الله) : (يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير ، فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس وعلم الزمان وعلم المكان وعلم الترجيح ، إذا تقابلت هذه الأمور فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان ، وهكذا ، فينظر في الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده مثاله أن يضيق الزمن عن فعل أمرين اقتضاهما الحال فيشير بأهمهما وإذا عرف من حال إنسان بالمخالفة وأنه إذا أرشده لشيء فعل ضده ، يشير عليه بما لا ينبغي ليفعل ما ينبغي وهذا يسمى علم السياسة ، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها ...⁽³⁾)

ثانياً - تحري الحكمة في النصيحة .

ما من نبي ورسول إلا آتاه الله الحكمة وانزل معه الكتاب فقال الله عن داود عليه السلام ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ ﴾⁽⁴⁾ وقال عن نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَدْ

(1) روضة الطالبين / النووي / ج: 10 ص: 219 .

(2) الاستقامة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو عباس (661-728 هـ .ت) / تحقيق د. محمد رشاد سالم . / ج: 2 ص: 211 / جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة الطبعة الأولى (1403 هـ) ، مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج: 28 ص: 126 .

(3) فيض القدير / المناوي / ج: 6 ص: 268 .

(4) سورة ص - الآية 20

مَنْ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ⁽¹⁾ لا بل حتى أوليائه أجرى الله الحكمة على لسانهم فقال عن لقمان ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾⁽²⁾

بل إن الله عز وجل أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة . ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾⁽³⁾

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو

يقضي بها ويعلمها. ⁽⁴⁾

إذا لا بد أن يراعي الإنسان الحكمة عند إبداء النصيحة للآخرين ؛ لأن النصيحة أحيانا تؤدي إلى تفرق الشمل، أو تؤدي إلى منكر أكبر من المعروف الذي تحمله في طياتها، فلذلك على الإنسان المسلم أن يكون حكيماً ويقدر أبعاد الأمور عندما ينصح، فقد يكون من الحكمة أن تؤخر النصيحة إلى مستقبل قريب؛ لأن هذا الوقت ليس وقتها، فمن القواعد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن الإنسان لا يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر إذا كان سيؤدي إلى منكر أكبر منه، أو يضيع معروفاً أكبر من المعروف الذي يدعو إليه.

فالنصح هو الذي يتحرى الحكمة في نصحه وذلك بان يقدم نصيحته بإتقان وإحكام وهذا ضابط من ضوابط النصيحة التي لا تقبل النصيحة إلا به .

كما أن الحكمة كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم في باب النصح على مراتب منها :

(1) سورة آل عمران - الآية 164

(2) سورة لقمان - الآية 12

(3) سورة النحل - الآية 125

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم "73" ج: 1 ص: 39 / صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها و علمها ، برقم "816" ، ج 1 - ص 559 .

أ- انه كان إذا سئل عن مسألة يأتي بجواب آخر لسؤال آخر، وهذا من تحري الحكمة في نصيحته ودعوته . وهذا يسمى عند أهل البلاغة جواب الحكيم .
مثاله .

لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد ؟ فانزل الله عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (*) (1)

فهم سئلوا عن الأهلة كيف حجمها ؟ ولماذا تكبر وتصغر ؟ فأجابهم الله وصرفهم إلى جواب آخر انفع لهم فقال: (قل هي مواقيت للناس والحج) الآية ...

ومثاله أيضا في حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال: وماذا أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال : "أنت مع من أحببت" (2).
حيث أن الرجل سئل عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ ومتى قيامها ؟

فصرفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جواب آخر هو انفع له بقوله : وماذا أعددت لها ؟ وهذا كله من خلق النبي صلى الله عليه وسلم في تحري الحكمة في الجواب عند النصيحة بإرشاده إلى ما هو انفع وأفضل .

ولاشك أن الناصح حين ينتهج هذا الأسلوب الحكيم ويعطي السائل ما ينفعه في دينه ودنياه ، ويصرفه من المهم إلى الأهم يكون ممن أوتي نباهة وحكمة في إصلاح الناس وهداية المجتمع

ب- ومنها : الزيادة بالجواب عند النصح لحكمة .

* سورة البقرة - الآية 189

(1) قال الزيلعي حديث غريب ، وقال الإمام الشوكاني سنده ضعيف ، ينظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، عبد الله بن يوسف الزيلعي ، ج1 ، ص118 ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى - سنة (1414 هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، ج1 ، ص281 ، دار الحديث ، الطبعة الأولى ، سنة (1413 هـ) .

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب علامة الحب في الله عز وجل ، برقم " 5819 " ج 5 - ص 2283 / صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المر مع من أحب ، برقم " 2639 " ، ج 4 - ص 2032 .

كما في حديث أبي هريرة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا أنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته " .⁽¹⁾

فهو قد سأله عن الماء وحكمه؟ فأفتاه عن الماء وعن ميتة البحر، لأن من جهل حكم الماء فمن باب أولى أن يجهل حكم الميتة .

ثالثاً - التدرج بالنصيحة في المأمورات والمنهيات .

وذلك أن يبدأ الناصح بالأولويات مع الناس بان لا يقدم صغار المسائل على كبارها . وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم عندما أتى قريشا في الحرم والخمر يشرب والزنا يفعل فما أتى إلا ليقول (قولوا لا إله إلا الله) فهو بدا بأساسيات الدين وهو التوحيد قبل أن ينظر إلى المعاصي أو الآثام والمظاهرة الجاهلية . ثم تلا ذلك بالفرائض . فلما قامت القلوب بالفرائض دعا إلى السنن . فلا بد من التدرج (في النصيحة) ..

والدليل كما جاء في الحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : (لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ..)⁽²⁾

(1) الحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن ، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر برقم "83" ج 1 - ص 69 سنن الترمذي ، كتاب أبواب الطهارة ، باب ماء البحر وأنه طهور برقم "69" ج: 1 ص: 101 سنن النسائي كتاب الطهارة ، باب ماء البحر برقم "59" ج 1 - ص 50 ، سنن ابن ماجه كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر برقم "386" ج 1 - ص 136 قال النووي : حديث صحيح و قال الهيثمي : الحديث حسن . والحديث رواه أحمد وابن ماجه وصححه ابن حبان وقال الحافظ أبو علي بن الموطأ إنه أصح ما روى في الباب وأخرجه في صحاحه وهو للأربعة من حديث أبي هريرة وصححه الترمذي والبخاري وابن خزيمة وابن حبان وابن الموطأ ، قال ابن حجر : أخرجه مالك وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم . ، شرح النووي على صحيح مسلم ج: 13 ص: 86، مصنف عبد الرزاق ج: 4 ص: 504 برقم : 8656، مصباح الزجاجة ج: 1 ص: 57 باب هل يجوز الوضوء بماء البحر برقم: 157 تحفة المحتاج ج: 1 ص: 136، مجمع الزوائد ج: 1 ص: 215 ، فتح الباري ج: 9 ص: 619 برقم: 5174 .

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة برقم "1389" ، ج 2 - ص 529.

فانظر كيف وجه النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى التدرج في الدعوة، ونصح القوم وعدم التسرع في عرض كل ما في الإسلام دفعة واحدة، وإنما يبدأ فيه بالأساس أولاً، ثم ينتقل إلى ما بعده حين استجابتهم، وكلما استجابوا لأمر كلما عرض عليهم ما بعده، فابتدأ بالتدرج معهم من الأعلى إلى الأدنى بحسب الأهمية .

ويلاحظ أن أهم ما يبدأ فيه الناصح مع المنصوح هو ما بدأ به رسل الله جميعاً، وما نبه إليه القرآن وما وجه به النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً ألا وهو الدعوة إلى التوحيد وإلى إفراد الله بالعبادة، وتحقيق معنى لا إله إلا الله، فإذا استطاع الناصح أن يكسب المنصوح إلى تحقيق هذه الأمور السابقة، فالأمر سيكون بعد ذلك سهلاً ويسيراً، ذلك أن الإنسان إذا استشعر معنى العبودية لله، وتعرف على عظمة الخالق جل شأنه، دعاه ذلك إلى التمسك بهذا الدين والإقبال عليه ومعرفة أحكامه وشرائعه. ثم بعد ذلك تأتي أركان الإسلام والتي لا يقوم إلا بها من صلاة وزكاة وصيام وحج. وهكذا يستطيع الناصح شيئاً فشيئاً أن يوضح للمنصوح أحكام الشريعة الإسلامية دون تنفير أو تعقيد، ذلك أن تعلق القلب بربه أولاً واستشعاره عظمته وغرس الخوف والخشية منه والرجاء فيما عنده، مما يدفع المدعو إلى الاستجابة لأحكام الشريعة الإسلامية بكل تفاصيلها .

(وسنة التدرج ثابتة في التشريع الإسلامي بصورة بينة ملموسة، وهذا من تيسير الإسلام على البشر، انه راعى سنة التدرج فيما يشرعه لهم إيجاباً وتحريماً فنجد حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة فرضها على مراحل، ودرجات حتى انتهت على الصورة الأخيرة التي استقرت عليها) ⁽¹⁾

رابعا - أن تكون النصيحة ضمن الأمر الشرعي .

وذلك أن يكون الأمر المنصوح به داخلاً تحت الأمر الشرعي، بأن يكون إما طلباً لفعل مطلوب فعله شرعاً، أو طلباً لترك أمر مطلوب تركه شرعاً، وعلى هذا فإن النصح بترك المأمور به شرعاً لا يسمى نصيحة، وكذا النصح بفعل المحرم شرعاً لا يعد نصحاً شرعياً يحتم على المنصوح قبوله، وعلى الناصح إسدائه، كأن ينصح أحداً آخر بترك الصلاة، أو نصح المرأة بالتبرج وخلع اللباس الشرعي، أو ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذه أمور لا تعد من باب النصيحة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ديناً.

خامسا - أن تكون النصيحة مما اتفق عليها .

(1) فقه النصر والتمكين / الصلابي / ص 416 .

أن يكون الأمر المنصوح به قد اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه، ولا يكون أمراً خلافياً بين أهل العلم يبيحه قوم، ويمنعه آخرون، وهذا أمر متفرع على قاعدة العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في أنه لا إنكار على مجتهد، ولا إنكار في أمر مختلف فيه. وفي هذا المقام يقول سفيان الثوري (رحمه الله): (إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه) ⁽¹⁾ ويقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى): (ما ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم) ⁽²⁾.

ولكن يستثنى من هذه القاعدة حالتان ذكرهما القاضي أبو يعلى الحنبلي ⁽³⁾ حيث يقول: (ما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه كربا النقد فيدخل في إنكار المحتسب بحكم ولايته) ⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم .

من أراد أن يتطلع إلى حقيقة خصائص النصيحة، فلينظر في خصائص نصحه عليه الصلاة والسلام، التي تميزت عن غيرها قولاً وعملاً وتفوقت عن سواها أسلوباً وعرضاً، بوضوح المعنى وجمال العبارة، فنصائحه لا يقابلها شيء ورسائل نصحه أفحمت وهوت بجمع الناصحين في العالم.

حيث نجد أن نصائح النبي صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بل هي جانب مهم من دعوته. واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله

(1) حلية الأولياء/لأبي نعيم / ج 6 - ص 368.

(2) الفتاوى الكبرى / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/ تحقيق : حسنين محمد مخلوف/ ج: 6 ص: 338 / دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى، 1386.

(3) القاضي أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد القاضي أبو يعلى الحنبلي أخو أبي خازم الحنبلي المقدم ذكره ولد في المحرم سنة ثمانين وثلاث مائة وسمع الحديث الكثير انتهت إليه رئاسة الحنابلة وصنف الكتب وتولى الحكم بحريم الخلافة وتوفي عشرين شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربع مائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة، الوافي في الوفيات /الصفدي / ج 1 - ص 306

(4) جامع العلوم والحكم /لابن رجب / ج: 1 ص: 325.

وغضبه في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأنه يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.⁽¹⁾

وها نحن نذكر في هذا المبحث خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم التي تميز وتفوق عن نصائح الناس .. فمن هذه الخصائص .

أولاً : الأصالة والعمق .

من خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم الأصالة الباقية، والعمق المؤثر، دون أن يتطرق إليها تحريف أو يطرأ عليها تغير أو تبديل، لأنها جاءت عن نبي معصوم عن الهوى قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾،⁽²⁾ وهذه ميزة من مميزات أصالة نصائحه صلى الله عليه وسلم كما أن لنصائحه عمق في النفوس، وهيمنة على القلوب وتأثير على سلطان الروح، لان نصائحه جمعت المعاني وانطلقت من نقاوة الألفاظ وجمال العبارة على مدى الزمان والأيام، وكفلت سعادة الدارين . ومن الأمثلة على ذلك

حديث سفيان بن عبد الله الثقفي⁽³⁾ قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : قل آمنت بالله ثم فاستقم⁽⁴⁾.

قال القاضي عياض (رحمه الله) : هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

ولا ريب إنها نصيحة جامعة لخصال الدين كلها، وذلك لعموم معنى الاستقامة، فالإيمان بالله هو أساس العقيدة والعبادة، والاستقامة هي أساس المعاملة وركن الشريعة الأول، فالحديث شامل لجميع عقائد الإسلام وعباداته وشرائعه ومعاملاته، كما انه شامل للشرط الأساسي لها جميعاً، وهو تحري الصواب وموافقة ما يريد الله منها وفيها⁽⁶⁾.

فيلاحظ في هذا الحديث جمال العبارة ونقاوة الألفاظ وأصالتها، كانت في نصيحة جامعة منه صلى الله عليه وسلم بناء على طلب بعض الصحابة، فهي إحدى وسائل التبليغ والبيان النبوي البليغ حيث جمع الدين في كلمتين : الإيمان والإسلام، بل وربما الإحسان، فهو شامل

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج: 1 ص: 325 .

(2) سورة النجم - الآية 3.

(3) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي صحابي وكان عامل عمر على الطائف ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 244 .

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، برقم " 38 " ، ج: 1 ص: 65 .

(5) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 2 ص: 9

(6) ينظر شرح الأربعين النووية في ثوب جديد / لعبد الوهاب أبو صفية / ص 250

للعقيدة والشريعة والأخلاق . فهل يستطيع ناصح أن يصوغ مثل هذه العبارات وينشأ مثل هذه الجمل الجامعة لخصال الإسلام كلها ؟ قال ابن رجب (رحمه الله) : (طلب منه أن يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتى لا يحتاج بعده إلى غيره ، فأمره بالإيمان والاستقامة ، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمينة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها⁽¹⁾ .

فمن ميزة نصائحه أنها شملت الدين والدنيا وجمعت بين الإسلام والأيمان والإحسان .

ثانيا : الإيجاز والوضوح .

فالملاحظ والمستقرأ لنصائحه يجد أن فيها إيجازاً واختصاراً فلا إسهاب ولا إطناب ، ووضوحاً في المعنى . ولا شك في أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وأختصر له الكلام اختصاراً فكيف لا تكون هكذا نصائحه والدليل على ذلك :

ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون⁽²⁾ .

وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً⁽³⁾ .

فلقد كانت نصائحه بحق قليلة اللفظ كثيرة المعاني وكانت غاية بالبلاغة والإيجاز وكان صلى الله عليه وسلم ينصح و يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني .

ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية : (حديث عائشة : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد "⁽⁴⁾)

وحديث : " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل "⁽¹⁾ وحديث أبي هريرة : وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم "⁽²⁾ . وحديث المقدم : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه "^(*) ..⁽³⁾ .

(1) ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 - ص 203 - 205

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم " 523 " ، ج : 1 ص : 371

(3) الحديث أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفه والدارقطني في سننه ينظر : مصنف عبد الرزاق ج : 6 ص : 113 مصنف ابن أبي شيبة برقم : 31772 ج : 6 ص 324 سنن الدار قطني ج : 4 ص : 144

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، برقم " 2550 " ج 2 ص 959 / صحيح مسلم ، كتاب الاقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، برقم " 1718 " ج 3 ص 1343 .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في نصحه مقتصدًا معتدلاً حتى لا يقع الناس في الملل والسآمة وهذا أوقع في قلوب السامعين وأحب إلى أسماعهم ..

ثالثاً : مراعاة الحال .

عند استعراض النصائح النبوية التي حفلت بها كتب السنة ، نجد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاجات الناس ومشاكلهم ، وتراعي تنوعها واختلافها ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصح أقواماً بالاجتهاد في العبادة والإكثار منها ، فإنه ينصح آخرين بالقصد في العبادة حينما يراهم تجاوزوا الحد المطلوب، وكلفوا أنفسهم ما لا يطيقون، ومن ذلك نصيحته لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عندما علم من حاله الغلو والمبالغة في التعبد، فقد قال له : (يا عثمان ، أرغبت عن سنتي ؟) ، فقال : " لا والله يا رسول الله ، ولكن سنتك أطلب " ، فقال له : (فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله يا عثمان ؛ فإن لأهلك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم وأفطر ، وصل ونم)⁽⁴⁾. وأحياناً ربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه ميلاً إلى الدنيا، فيحذّرهم من الاغترار أو التعلق بها ،

(1) متفق عليه أخرجه الشيخان في صحيحيهما، بلفظ " ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، من شرط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل " صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل ، برقم "2060" ج2ص759 ، صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن اعتق ، برقم "1504" ، ج2ص1142.

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برقم "6858" ج6 - ص2658 / صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، برقم "1337" ، ج2 - ص975

* الحديث رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ، مسند أحمد برقم "17225" ج4 - صفحة132 قال شعيب الأرناؤوط : رجاله ثقات غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدم ، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح وإلا فهو منقطع ، سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم: 2380 ج: 4 ص: 590 ، السنن الكبرى ، كتاب آداب الأكل ، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل برقم: 6768 ج: 4 ص: 177 ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع برقم: 3349 ج: 2 ص: 1111 ، صحيح ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب الفقر والزهد برقم: 674 ج: 2 ص: 449 ، المستدرک على الصحيحين برقم: 7139 ج: 4 ص: 135.

(3) ينظر فتح الباري / لا بن حجر / ج: 13 ص: 248.

(4) مسند أحمد برقم "26351" ج6 - ص268 ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن من أجل ابن

إسحاق ، سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة ، برقم 1369 ج1 - ص435 ، .

ومن المواقف الدالة على ذلك قول حكيم بن حزام⁽¹⁾ رضي الله عنه : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم قال : (يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى) " ⁽²⁾، فوقعت هذه النصيحة في نفس حكيم رضي الله عنه وتأثر منها غاية التأثر حتى عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يسأل أحداً بعده أبداً، وظلّ على عهده ذلك طيلة حياته. إذاً من خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة الحال والإحساس بمشاعر الآخرين فهي تراعي حال المنصوح وتراعي وضعه ومشاعره وهمومه . قال المتنبي⁽³⁾ :

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى⁽⁴⁾

فلقد كانت نصائحه صلى الله عليه وسلم تتناسب وتنسجم مع حال المنصوح .. ومن ذلك أيضاً.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني قال: لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب. ⁽⁵⁾

قال ابن حجر (رحمه الله) : (لعل السائل كان غضوباً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر كل أحد بما هو أولى به فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب ..) ⁽⁶⁾

فيلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه ونصحه بما يتناسب مع حاله، وينسجم مع نفسه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرف أن من سمات هذا الرجل الغضب وعليه مظاهر

(1) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي أبو خالد المكي بن أخي خديجة أم المؤمنين أسلم يوم الفتح وصحب وله أربع وسبعون سنة ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها وكان عالماً بالنسب ، تقريب التهذيب ج 1 - ص 176 .

(2) متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى ، برقم 1396 ، ج 2 - ص 532 ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، برقم 1035 ، ج 2 - ص 717

(3) أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور هو احمد بن الحسين، لسان الميزان / لابن حجر/ ج 7 - ص 68
(4) خزنة الأدب وغاية الأرب/ تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري /تحقيق : عصام شعيثو/ ج 1 - ص 200 /دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة الأولى ، 1987

(5) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب الحذر من الغضب ، برقم " 5765 " ج: 5 ص: 2267

(6) فتح الباري / لابن حجر / ج: 10 ص: 520

الغضب من اكفهار الوجه وحدة الطبع وحرارة الأعصاب فعالجه النبي صلى الله عليه وسلم بدواء يناسبه ويراعي حاله ،وهو كظم الغيظ وصب ماء العفو على نار الغضب .

وحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه : أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله. " (1)
والشريعة: مورد الإبل على الماء الجاري. والمراد ما شرع الله وأظهره لعباده من الفرائض والسنن .. وأن المراد بها هنا النوافل لقوله (قد كثرت عليّ) أي غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي . (2)

فيلاحظ أن هذا الرجل كان شيخاً كبيراً فانياً ،فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أن شرائع الإسلام كثرت عليّ، أي غلبت علي بكثرتها ،حتى عجزت لضعفي ،فأوصني فنصحته وأوصاه بذكر الله بما يتناسب مع حاله ويتمشى مع وضعه وضعفه .

وحديث عمرو بن تغلب (3) رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال فأعطى قوما ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا فقال: (إني أعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ،أعطي أقواما لما في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب) فقال عمرو : ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم (4) .

قال ابن حجر (رحمه الله) : (وفيه أن الرزق في الدنيا ليس على درجة المرزوق في الآخرة وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية ،فكان صلى الله عليه وسلم

(1) الحديث حسن : رواه الترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ، سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ،باب فضل الذكر برقم : 3375 ج: 5 ص: 458، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، سنن ابن ماجه ،كتاب الأدب ،باب فضل الذكر ، برقم : 3793 ج: 2 ص: 1246 ، صحيح ابن حبان كتاب الرقائق ،باب الأذكار، برقم 4188 ج: 9 ص: وقال شعيب الأرئوط : إسناده قوي 496 والمستدرک على الصحيحين ج: 1 ص: 672 برقم : 1822.

(2) ينظر تحفة الأحوذی / المباركفوري / ج: 9 ص: 222 بتصرف.

(3) عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام ثم موحدة النمري بفتح النون والميم صحابي تأخر إلى بعد الأربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر ج/ 1 - ص 419 .

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ، برقم " 881 " ، ج 1 - ص 312 .

يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو مُنِع ، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة (1)

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي لأقوام لما يرى في قلوبهم الطمع والجشع ويمنع أقواماً لما يرى في قلوبهم من الحب لله ورسوله فأى معرفة ومراعاة لحال قومه كانت عند هذا النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والسلام . ثم أي رجل يعرف هذه المعرفة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

رابعاً : ومن خصائص نصائحه شمولها على أمور الدنيا .

وهذه ميزة أخرى من خصائص نصحه أن نصائحه لا تقتصر على أمور الدين فحسب بل حتى في الأمور الدنيوية ، ومن ذلك :

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال : (يا أيها الناس إن الله تعالى يعرض بالخمير ، ولعل الله سينزل فيها أمراً ، فمن كان عنده منها شيء فليبيعه ولينتفع به .) قال فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية (2) وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع .) قال فاقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها (*) (3) وفي هذا الحديث فوائد .

أ- منها أن هذا الحديث فيه (دليل على أن الأشياء قبل ورود الشرع لا تكليف فيها بتحريم ولا غيره

وفي المسألة خلاف مشهور للأصوليين (4) الأصح أنه لا حكم ولا تكليف قبل ورود الشرع لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (1) والثاني أن أصلها على التحريم حتى يرد الشرع

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج: 13 ص: 511 .

(2) الآية التي نزلت في تحريم الخمر : قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة المائدة الآية : 90 .

* أي أراقوها في طرق المدينة ، ينظر شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 11 ص: 2

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم ، كتاب المسابقات ، باب تحريم بيع الخمر ، برقم " 1578 " ، ج : 3 ص: 1205 .

(4) قال الشيرازي في اللمع : (اختلف أصحابنا في الأعيان المنتفع بها قبل ورود الشرع فمنهم من قال أنها على الوقف لا يقضي فيها بحظر ولا إباحة وهو قول أبي علي الطبري وهو مذهب الأشعرية ومن أصحابنا من قال هو على الإباحة وهو قول أبي العباس وأبي إسحاق فإذا رأى شيئاً جاز له تملكه وتناوله وهو قول

بغير ذلك والثالث على الإباحة والرابع على الوقف وهذا الخلاف التنفس ونحوه من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها فإنها بلا خلاف إلا على قول من يجوز تكليف ما لا يطاق⁽²⁾.
ب- (وفي هذا الحديث أيضا بذل النصيحة للمسلمين في دينهم ودنياهم لأنه صلى الله عليه وسلم نصحهم في تعجيل الانتفاع بها ما دامت حلالا)⁽³⁾

خامسا : ومن خصائصه انه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا نصحا .

كما ثبت في الحديث أن رجلاً من اليهود اسمه " زيد بن سعة" ⁽⁴⁾، ذكره المؤرخون ،قرأ التوراة فرأى أوصاف الرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وصفاً واحداً ، انه صلى الله عليه وسلم إذا اغضب زاد حلمًا ، كلما زدته غضباً ازداد حلمًا ، فأراد أن يجرب ، رأى الرسول الله صلى الله عليه وسلم فراه ابيض مشوبا بحمرة ،النور في وجهه ، فذهب فأتى بمال وقال : يا محمد عندي مال وأنت في حاجة إلى المال خذه مني سلفة ، اقترضه مني إلى حين ، فأخذه صلى الله عليه وسلم مقترضا منه لحاجة ، وقبل أن يحل الموعد ، أتى اليهودي في صلاة العصر ، والناس مجتمعون مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد اقض لي مالي ، إنكم قوم مطل يا بني عبد مطلب ، يعني تماطلون صاحب المال ، قال : اقض مالي ، ثم غضب ورفع صوته ، فقام

المعتزلة البصريين ومنهم من قال هو على الحظر فلا يحل له الانتفاع بها ولا التصرف فيها وهو قول أبي علي بن أبي هريرة وهو قول المعتزلة البغداديين والأول أصح لأنه لو كان العقل يوجب في هذه الأعيان حكما من حظر أو إباحة لما ورد الشرع فيها بخلاف ذلك ولما جاز ورود الشرع بالإباحة مرة وبالحظر مرة أخرى دل على أن العقل لا يوجب في ذلك حظرا ولا إباحة) وقال ابن حزم في الأحكام : (الأشياء كلها في العقل قبل ورود الشرع على الحظر وقال آخرون بل هي على الإباحة وقال آخرون بل هي على الحظر حاشا الحركة النقلية من مكان إلى مكان وشكر المنعم فقط وقال آخرون بل هي على الإباحة حاشا الكفر والظلم وجدد المنعم وقال آخرون وهم جميع أهل الظاهر وطوائف من أهل أصحاب القياس ليس لها حكم في العقل أصلا لا بحظر ولا بإباحة وإن كل ذلك موقوف على ما ترد به الشريعة قال أبو محمد وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره واحتج من قال بحظرها بأن قال الأشياء كلها ملك لله عز وجل ولا يجوز أن يقدم على ملك مالك إلا بإذنه)، ينظر اللمع في أصول الفقه/ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي / ج 1 - ص 67 / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1405هـ ، 1985م / الإحكام في أصول الأحكام/ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد / ج 1 - ص 52 / دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى، 1404.

(1) سورة الإسراء: الآية 15 .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم /ج: 11 ص: 2 - 3.

(3) المصدر نفسه /ج: 11 ص: 3 .

(4) زيد بن سعة الحبر الإسرائيلي اختلف في سعة فقيل بالنون وقيل بالتحتمانية قال ابن عبد البر بالنون أكثر روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر/ ج2 - ص 606 .

عمر ليقتله فأسكتته صلى الله عليه وسلم ، وقال : (يا عمر أنت كنت أولى أن تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن الاقتضاء)) ، ثم قام صلى الله عليه وسلم ، وكلما رفع اليهودي صوته كلما تبسم صلى الله عليه وسلم ، وذهب به فأعطاه ماله وزاده .

فقال اليهودي : اشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله ، قرأت كل صفة فيك فرايتها كما قرأتها إلا صفة ، انك كلما أغضبت ازدادت حلما ، فرايتها اليوم ، فأنت رسول الله لا محالة ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (*) (1)

تعليق على الحديث .

أ-فيه انه لا يزيده حلمه وشدة الجهل عليه إلا نصحا بقوله لعمر (إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء) .

ب- وفيه زيادة حلم النبي صلى الله عليه وسلم كلما ازدادت شدة الجهل عليه .

ت- وفيه حسن عطاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقد زاده على حقه عشرين صاعا من تمر ، مكان ترويع عمر له .

سادسا : ومن خصائص نصائحه القدرة على الإقناع والتأثير .

ومن خصائص نصحه صلى الله عليه وسلم قدرته على الإقناع والتأثير بقلوب الآخرين ، فمناصحة العقول والقلوب فن لا يجيدها إلا من يمتلك أدواتها ، وإذا اجتمعت مع مناسبة الحال أثرت تأثيراً بالغاً ، بل وبلغ الغاية في نصحه وإرشاده ، فكيف إذا كان الناصح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، ومن الأمثلة على ذلك :

حديث عبد الله بن زيد بن عاصم⁽²⁾ رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي) . كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله

* سورة الأحقاف - الآية 10 .

(1) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي مرسل . المستدرک على الصحيحين برقم : 2237 ، ج: 2 ص: 37 .

(2) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني أبو محمد صحابي شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب واستشهد بالحررة سنة ثلاث وستين ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 304 .

أمن قال: (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) . قال (لو شئتم قلتم جئنا كذا وكذا أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة⁽¹⁾ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض⁽²⁾ .

قال الخطابي (رحمه الله): (أراد بهذا الكلام تألف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحدا منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها)⁽³⁾

فأي إقناع هذا ؟ وأي تأثير ذاك الذي يحول الموقف بهذه القدرة وتلك الصولة ؟ لقد هنز الكلام الكريم قلوبهم وهدهد مشاعرهم وأقنع عقولهم، فلا سبيل لهم إلا البكاء والقبول الرضا .. بل والسعادة.

سابعا : ومن خصائص نصائحه تحمل الأذى في نصحه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري قالت : "إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي " ولم تعرفه فقبل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " .⁽⁴⁾

تعليق على الحديث .

(1) قال ابن حجر : (أثره بضم الهمزة وسكون المثناة ويفتحتين ويجوز كسر أوله مع الاسكان أي الانفراد بالشئ المشترك دون من يشركه فيه وفي رواية الزهري أثره شديدة والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق وقال أبو عبيد معناه يفضل نفسه عليكم في الفيء وقيل المراد بالآثرة الشدة ويرده سياق الحديث .) فتح الباري - لابن حجر / ج 8 - ص 52 .

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، برقم " 4075 " ج: 4 ص: 1574 ، واللفظ له / صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ، برقم " 1061 " ، ج 2 - ص 738

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 8 - ص 51 .

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ، برقم " 1223 " ، ج: 1 ص: 430 / صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ، برقم " 926 " ج 2 - ص 637 .

قال ابن حجر رحمه الله في هذا الحديث فوائد⁽¹⁾ :

أ- فيه بيان عذر هذه المرأة في كونها لم تعرفه، وذلك أنه كان من شأنه أن لا يتخذ بوابا مع قدرته على ذلك تواضعا، وكان من شأنه أنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى، كما جرت عادة الملوك والأكابر فلذلك اشبهه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوجد والبكاء .

ب- فيه أنه لما قيل لها أنه النبي صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها، فتصورت أنه مثل الملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته.

ت- وفيه أن الصبر الذي يحمده عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو.

ث- فيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة .

المبحث الثالث

ضوابط وخصائص النصيحة .

يقوم هذا المبحث على مطلبين هما ضوابط النصيحة والخصائص التي تقوم عليها النصيحة ..

المطلب الأول: الضوابط التي تقوم عليها النصيحة .

كل مطلب من مطالب الشريعة لها ضوابط وشروط خاصة بها بما في ذلك النصيحة إذ لا يمكن أن ينصح الناصح من غير ضابط يلزمه فيما ينصح به ، فالناصح يمشي في نصحه على ضوابط وهي كيف ينصح ؟ ومتى ينصح ؟ وبأي وسيلة يمكن أن ينصح ؟ وغير ذلك ، فمن ضوابط النصيحة ما يأتي :-

أولا - أن تكون مبنية على الدليل.

فمن ضوابط النصيحة قيامها على الدليل لأن من الناس من قد ينصح في أمرٍ خطأ، قد يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف من باب النصيحة وإنما أتى من جهله ؛ لأنه لم يعرف الأمر على وجهه، ولم يعرف دليل ما يأمر به، فالدليل له أهمية كبيرة ، فمن خلاله يعرف أن النصيحة في محلها أو لا. وما مدى قيمة النصيحة عند المنصوح ، والدليل الذي نقصده هو بعمومه، سواء كان من الكتاب أو من السنة، أو من أقوال الصحابة، أو من الإجماع أو قياس .. إلخ.

فالناصح ملزم إن كان يريد النصح أن يتفقه في الدين، وإن يحوز على الدليل ، وبذلك يملك الخير كله ، فعن حميد بن عبد الرحمن⁽¹⁾ قال سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين⁽²⁾

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج: 3 ص: 149 - 150.

فالفقه هنا هو الفهم ،وقل في الناس من يملك فهماً عميقاً إلى جانب علم دقيق ، فمن الضوابط التي يلتزم بها الناصح ، الفهم في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ولهذا ترجم الإمام البخاري باباً اسماءه (باب الفهم في العلم) ، ثم ساق حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتني بجمار فقال: " إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم " فأردت أن أقول: " هي النخلة " فإذا أنا أصغر القوم فسكت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة (3)

فالفقه في الدين هو أساس النصح ومبنى النصيحة وإلا فان فاقد الشيء لا يعطيه . لذا جاءت أحاديث ودعوات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بوجوب التفقه في دين .

ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنه فقال : "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (4) ففقهه الله وعلمه .

وعن معاوية بن أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين (5)

وقال ابن عباس رضي الله عنه : " كونوا ربانيين حلماء فقهاء " ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره (6)

(1) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ثقة من الثانية مات سنة خمس ومائة على الصحيح وقيل إن روايته عن عمر مرسله ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 182

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، برقم " 71 " ج: 1 ص: 39 ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، برقم " 1037 " ، ج 2 - ص 718

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الفهم في العلم ، برقم " 72 " ج 1 ، ص 39 ، صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، برقم " 2811 " ج 4 ، ص 2164 .

(4) الحديث صححه ابن حبان والحاكم و قال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي ، صحيح ابن حبان ، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن الصحابة ، برقم " 7055 " ج 15 - ص 531 قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، برقم: 6280 ، ج: 3 ص: 615 .

(5) الحديث صحيح : مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الفرائض ، في الفقه في الدين برقم 31048 ، ج: 6 ص: 240 ، مجمع الزوائد ج: 1 ص: 121 ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

(6) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، ج: 1 ص: 37

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: " أتقاهم " فقالوا : ليس عن هذا نسألك قال : " فيوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله " قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : " فعن معادن العرب تسألون خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " (1).

فيجب على الناصح أن يكون عالماً بما ينصح به من أمر أو نهي لذا قال الإمام النووي (رحمه الله): (إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف بحسب الأشياء فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة ، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال ومما يتعلق بالاجتهاد ، لم يكن للعوام الابتداء بإنكاره ، بل ذلك للعلماء ويلتحق بهم من أعلمه العلماء بأن ذلك مجمع عليه عند العلماء ، وإنما ينكر ما أجمع على إنكاره أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ، لأن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد ولا نعلمه ولا إثم على المخطئ، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف ، فهو حسن محبوب ، ويكون برفق لأن العلماء متفقون على استحباب الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال ..) (2).

كما أن من نصح الناس وهو جاهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، لذا قال ابن تيمية (رحمه الله): (ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن منكر ، بلا منكر ، وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات ، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، والله لا يحب الفساد ، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح ، وقد أثنى الله على الصالح والمصلحين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ودم الفساد والمفسدين في غير موضع ، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم يكن مما أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ لمؤمن عليه أن يتقى الله في عباد الله وليس عليه هداهم .) (3).

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ النساء ، برقم " 3175 " ج: 3 ص: 1224 / صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل يوسف عليه السلام ، برقم " 2378 " ، ج 4 - ص 1846

(2) روضة الطالبين / النووي / ج: 10 ص: 219 .

(3) الاستقامة / أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو عباس (661-728 هـ . ت) / تحقيق . د. محمد رشاد سالم . ج: 2 ص: 211 / جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة الطبعة الأولى (1403 هـ) ، مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج: 28 ص: 126 .

قال المناوي (رحمه الله) : (يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير ، فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس وعلم الزمان وعلم المكان وعلم الترجيح ، إذا تقابلت هذه الأمور فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان ، وهكذا ، فينظر في الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده مثاله أن يضيق الزمن عن فعل أمرين اقتضاهما الحال فيشير بأهمهما وإذا عرف من حال إنسان بالمخالفة وأنه إذا أرشده لشيء فعل ضده ، يشير عليه بما لا ينبغي ليفعل ما ينبغي وهذا يسمى علم السياسة ، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها ...)⁽¹⁾

ثانيا - تحري الحكمة في النصيحة .

ما من نبي ورسول إلا آتاه الله الحكمة وانزل معه الكتاب فقال الله عن داود عليه السلام ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ ﴾⁽²⁾ وقال عن نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾⁽³⁾ لا بل حتى أوليائه أجرى الله الحكمة على لسانهم فقال عن لقمان ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾⁽⁴⁾

بل إن الله عز وجل أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة . ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾⁽⁵⁾

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو

يقضي بها ويعلمها .⁽⁶⁾

(1) فيض القدير / المناوي / ج: 6 ص: 268 .

(2) سورة ص - الآية 20

(3) سورة آل عمران - الآية 164

(4) سورة لقمان - الآية 12

(5) سورة النحل - الآية 125

(6) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم " 73 " ج: 1 ص: 39 / صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم

إذا لا بد أن يراعي الإنسان الحكمة عند إبداء النصيحة للآخرين ؛ لأن النصيحة أحياناً تؤدي إلى تفرق الشمل، أو تؤدي إلى منكر أكبر من المعروف الذي تحمله في طياتها، فلذلك على الإنسان المسلم أن يكون حكيماً ويقدر أبعاد الأمور عندما ينصح، فقد يكون من الحكمة أن تؤخر النصيحة إلى مستقبل قريب؛ لأن هذا الوقت ليس وقتها، فمن القواعد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن الإنسان لا يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر إذا كان سيؤدي إلى منكر أكبر منه، أو يضيع معروفاً أكبر من المعروف الذي يدعو إليه.

فالنصح هو الذي يتحرى الحكمة في نصحه وذلك بان يقدم نصيحته بإتقان وإحكام وهذا ضابط من ضوابط النصيحة التي لا تقبل النصيحة إلا به .

كما أن الحكمة كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم في باب النصح على مراتب منها :
ت- انه كان إذا سئل عن مسألة يأتي بجواب آخر لسؤال آخر، وهذا من تحري الحكمة في نصيحته ودعوته . وهذا يسمى عند أهل البلاغة جواب الحكيم .
مثاله .

لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقتاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد ؟ فانزل الله عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (*)
(1)

فهم سئلوا عن الأهلة كيف حجمها ؟ ولماذا تكبر وتصغر ؟ فأجابهم الله وصرفهم إلى جواب آخر انفع لهم فقال: (قل هي مواقيت للناس والحج) الآية ...

بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها و علمها ،برقم "816" ، ج 1 - ص 559 .

* سورة البقرة - الآية 189

(1) قال الزيلعي حديث غريب ، وقال الإمام الشوكاني سنده ضعيف ، ينظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، عبد الله بن يوسف الزيلعي ، ج1 ، ص118 ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى - سنة(1414 هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، ج1 ، ص281 ، دار الحديث ، الطبعة الأولى ، سنة(1413 هـ) .

ومثاله أيضا في حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنت مع من أحببت" (1).
حيث أن الرجل سئل عن الساعة فقال: متى الساعة؟ ومتى قيامها؟
فصرفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جواب آخر هو انفع له بقوله: وماذا أعددت لها؟
وهذا كله من خلق النبي صلى الله عليه وسلم في تحري الحكمة في الجواب عند النصيحة بإرشاده إلى ما هو انفع وأفضل.

ولاشك أن الناصح حين ينتهج هذا الأسلوب الحكيم ويعطي السائل ما ينفعه في دينه ودنياه، ويصرفه من المهم إلى الأهم يكون ممن أوتي نباهة وحكمة في إصلاح الناس وهداية المجتمع

ث- ومنها: الزيادة بالجواب عند النصح لحكمة.

كما في حديث أبي هريرة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا أنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته" (2).
فهو قد سأل عن الماء وحكمه؟ فأفتاه عن الماء وعن ميتة البحر، لأن من جهل حكم الماء فمن باب أولى أن يجهل حكم الميتة.

ثالثا- التدرج بالنصيحة في الأمور والمنهيات.

(1) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب علامة الحب في الله عز وجل، برقم "5819" ج 5 - ص 2283 / صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المر مع من أحب، برقم "2639"، ج 4 - ص 2032.

(2) الحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم "83" ج 1 - ص 69 سنن الترمذي، كتاب أبواب الطهارة، باب ماء البحر وأنه طهور برقم "69" ج: 1 ص: 101 سنن النسائي كتاب الطهارة، باب ماء البحر برقم "59" ج 1 - ص 50، سنن ابن ماجه كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم "386" ج 1 - ص 136 قال النووي: حديث صحيح وقال الهيثمي: الحديث حسن. والحديث رواه أحمد وابن ماجه وصححه ابن حبان وقال الحافظ أبو علي بن الموطأ إنه أصح ما روى في الباب وأخرجه في صحاحه وهو للأربعة من حديث أبي هريرة وصححه الترمذي والبخاري وابن خزيمة وابن حبان وابن الموطأ، قال ابن حجر: أخرجه مالك وأصحاب السنن وصححه بن خزيمة وابن حبان وغيرهم. شرح النووي على صحيح مسلم ج: 13 ص: 86، مصنف عبد الرزاق ج: 4 ص: 504 برقم: 8656، مصباح الزجاجة ج: 1 ص: 57 باب هل يجوز الوضوء بماء البحر برقم: 157 تحفة المحتاج ج: 1 ص: 136، مجمع الزوائد ج: 1 ص: 215، فتح الباري ج: 9 ص: 619 برقم: 5174.

وذلك أن يبدأ الناصح بالأولويات مع الناس بان لا يقدم صغار المسائل على كبارها . وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم عندما أتى قريشا في الحرم والخمر يشرب والزنا يفعل فما أتى إلا ليقول (قولوا لا اله إلا الله) فهو بدأ بأساسيات الدين وهو التوحيد قبل أن ينظر إلى المعاصي أو الآثام والمظاهرة الجاهلية . ثم تلا ذلك بالفرائض . فلما قامت القلوب بالفرائض دعا إلى السنن . فلا بد من التدرج (في النصيحة) ..

والدليل كما جاء في الحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : (لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ..)⁽¹⁾

فانظر كيف وجه النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى التدرج في الدعوة، ونصح القوم وعدم التسرع في عرض كل ما في الإسلام دفعة واحدة ، وإنما يبدأ فيه بالأساس أولاً ، ثم ينتقل إلى ما بعده حين استجابتهم، وكلما استجابوا لأمر كلما عرض عليهم ما بعده ، فابتدأ بالتدرج معهم من الأعلى إلى الأدنى بحسب الأهمية .

ويلاحظ أن أهم ما يبدأ فيه الناصح مع المنصوح هو ما بدأ به رسل الله جميعاً، وما نبه إليه القرآن وما وجه به النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً ألا وهو الدعوة إلى التوحيد وإلى أفراد الله بالعبادة، وتحقيق معنى لا إله إلا الله، فإذا استطاع الناصح أن يكسب المنصوح إلى تحقيق هذه الأمور السابقة، فالأمر سيكون بعد ذلك سهلاً ويسيراً، ذلك أن الإنسان إذا استشعر معنى العبودية لله، وتعرف على عظمة الخالق جل شأنه، دعاه ذلك إلى التمسك بهذا الدين والإقبال عليه ومعرفة أحكامه وشرائعه. ثم بعد ذلك تأتي أركان الإسلام والتي لا يقوم إلا بها من صلاة وزكاة وصيام وحج. وهكذا يستطيع الناصح شيئاً فشيئاً أن يوضح للمنصوح أحكام الشريعة الإسلامية دون تنفير أو تعقيد، ذلك أن تعلق القلب بربه أولاً واستشعاره عظمته وغرس الخوف والخشية منه والرجاء فيما عنده، مما يدفع المدعو إلى الاستجابة لأحكام الشريعة الإسلامية بكل تفاصيلها .

(وسنة التدرج ثابتة في التشريع الإسلامي بصورة بينة ملموسة ، وهذا من تيسير الإسلام على البشر، انه راعى سنة التدرج فيما يشرعه لهم إيجاباً وتحريماً فنجد حين فرض الفرائض كالصلاة

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة برقم " 1389 " ، ج 2 - ص 529.

والصيام والزكاة فرضها على مراحل ، ودرجات حتى انتهت على الصورة الأخيرة التي استقرت عليها ⁽¹⁾

رابعاً - أن تكون النصيحة ضمن الأمر الشرعي .

وذلك أن يكون الأمر المنصوح به داخلاً تحت الأمر الشرعي ، بأن يكون إما طلباً لفعل مطلوب فعله شرعاً، أو طلباً لترك أمر مطلوب تركه شرعاً، وعلى هذا فإن النصح بترك المأمور به شرعاً لا يسمى نصيحة، وكذا النصح بفعل المحرم شرعاً لا يعد نصحاً شرعياً يحتم على المنصوح قبوله، وعلى الناصح إسدائه، كأن ينصح أحد آخر بترك الصلاة، أو نصح المرأة بالتبرج وخلع اللباس الشرعي، أو ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذه أمور لا تعد من باب النصيحة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ديناً.

خامساً - أن تكون النصيحة مما اتفق عليها .

أن يكون الأمر المنصوح به قد اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه، ولا يكون أمراً خلافاً بين أهل العلم يبيحه قوم، ويمنعه آخرون، وهذا أمر متفرع على قاعدة العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في أنه لا إنكار على مجتهد، ولا إنكار في أمر مختلف فيه. وفي هذا المقام يقول سفيان الثوري (رحمه الله): (إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه) ⁽²⁾

ويقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى): (ما ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم) ⁽³⁾.

ولكن يستثنى من هذه القاعدة حالتان ذكرهما القاضي أبو يعلى الحنبلي ⁽⁴⁾ حيث يقول: (ما ضعف الخلاف فيه، و كان ذريعة إلى محذور متفق عليه كربا النقد فيدخل في إنكار المحتسب بحكم ولايته) ⁽⁵⁾.

(1) فقه النصر والتمكين / الصلابي / ص 416 .

(2) حلية الأولياء/لأبي نعيم / ج 6 - ص 368.

(3) الفتاوى الكبرى / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/ تحقيق : حسنين محمد مخلوف/ ج: 6 ص: 338 / دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى ، 1386.

(4) القاضي أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد القاضي أبو يعلى الحنبلي أخو أبي خازم الحنبلي المقدم ذكره ولد في المحرم سنة ثمانين وثلاث مائة وسمع الحديث الكثير انتهت إليه رئاسة الحنابلة وصنف الكتب وتولى الحكم بحريم الخلافة وتوفي عشرين شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربع مائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، الوافي في الوفيات /الصفدي / ج 1 - ص 306

(5) جامع العلوم والحكم /لابن رجب / ج: 1 ص: 325.

المطلب الثاني: خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم .

من أراد أن يتطلع إلى حقيقة خصائص النصيحة، فليُنظر في خصائص نصحه عليه الصلاة والسلام، التي تميزت عن غيرها قولاً وعملاً وتفوقت عن سواها أسلوباً وعرضاً، بوضوح المعنى وجمال العبارة، فنصائحه لا يقابلها شيء ورسائل نصحه أفحمت وهوت بجمع الناصحين في العالم .

حيث نجد أن نصائح النبي صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بل هي جانب مهم من دعوته. واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبتة، وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأنه يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال. (1)

وها نحن نذكر في هذا المبحث خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم التي تميز وتفوق عن نصائح الناس.. فمن هذه الخصائص .

أولاً : الأصالة والعمق .

من خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم الأصالة الباقية، والعمق المؤثر، دون أن يتطرق إليها تحريف أو يطرأ عليها تغير أو تبديل، لأنها جاءت عن نبي معصوم عن الهوى قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، (2) وهذه ميزة من مميزات أصالة نصائحه صلى الله عليه وسلم كما أن لنصائحه عمق في النفوس، وهيمنة على القلوب وتأثير على سلطان الروح، لان نصائحه جمعت المعاني وانطلقت من نقاوة الألفاظ وجمال العبارة على مدى الزمان والأيام، وكفلت سعادة الدارين . ومن الأمثلة على ذلك

حديث سفيان بن عبد الله الثقفي (3) قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: قل آمنت بالله ثم فاستقم (4).

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج: 1 ص: 325 .

(2) سورة النجم - آية 3.

(3) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي صحابي وكان عامل عمر على الطائف، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 244 .

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم " 38"، ج: 1 ص: 65 .

قال القاضي عياض (رحمه الله) : هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ⁽¹⁾.
ولا ريب إنها نصيحة جامعة لخصال الدين كلها، وذلك لعموم معنى الاستقامة، فالإيمان بالله هو
أساس العقيدة والعبادة، والاستقامة هي أساس المعاملة وركن الشريعة الأول، فالحديث شامل
لجميع عقائد الإسلام وعباداته وشرائعه ومعاملاته، كما انه شامل للشرط الأساسي لها جميعاً
، وهو تحري الصواب وموافقة ما يريد الله منها وفيها ⁽²⁾.

فيلاحظ في هذا الحديث جمال العبارة ونقاوة الألفاظ وأصالتها، كانت في نصيحة
جامعة منه صلى الله عليه وسلم بناء على طلب بعض الصحابة، فهي إحدى وسائل التبليغ والبيان
النبي البليغ حيث جمع الدين في كلمتين : الإيمان والإسلام، بل وربما الإحسان، فهو شامل
للعقيدة والشريعة والأخلاق. فهل يستطيع ناصح أن يصوغ مثل هذه العبارات وينشأ مثل هذه
الجمال الجامعة لخصال الإسلام كلها ؟ قال ابن رجب (رحمه الله) : (طلب منه أن يعلمه كلاماً
جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتى لا يحتاج بعده إلى غيره، فأمره بالإيمان والاستقامة، وهو الدين
القوم من غير تعويج عنه يمينة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك
المنهيات كلها كذلك فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها) ⁽³⁾.

فمن ميزة نصائحه أنها شملت الدين والدنيا وجمعت بين الإسلام والأيمان والإحسان.

ثانياً : الإيجاز والوضوح .

فالملاحظ والمستقراً لنصائحه يجد أن فيها إيجازاً واختصاراً فلا إسهاب ولا إطناب ،
ووضوحاً في المعنى . ولا شك في أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وأختصر له
الكلام اختصاراً فكيف لا تكون هكذا نصائحه والدليل على ذلك :

ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على
الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً
ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون ⁽⁴⁾ .

وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت جوامع
الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً. ⁽¹⁾ .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج 2 : ص 9

(2) ينظر شرح الأربعين النووية في ثوب جديد / لعبد الوهاب أبو صفية / ص 250

(3) ينظر جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 - ص 203 - 205

(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم " 523 " ، ج : 1 ص : 371

فلقد كانت نصائحه بحق قليلة اللفظ كثيرة المعاني وكانت غاية بالبلاغة والإيجاز وكان صلى الله عليه وسلم ينصح و يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني .

ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية : (حديث عائشة : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد " ⁽²⁾)

وحديث : " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل " ⁽³⁾ وحديث أبي هريرة : وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " ⁽⁴⁾ . وحديث المقدم : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه " ^(*) .. ⁽⁵⁾ .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في نصحه مقتصدًا معتدلاً حتى لا يقع الناس في الملل والسآمة وهذا أوقع في قلوب السامعين وأحب إلى أسماعهم ..

ثالثاً : مراعاة الحال .

عند استعراض النصائح النبوية التي حفلت بها كتب السنة ، نجد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاجات الناس ومشاكلهم ، وتراعي تنوعها واختلافها ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

(1) الحديث أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفه والدارقطني في سننه ينظر: مصنف عبد الرزاق ج:

6 ص: 113 مصنف ابن أبي شيبة برقم : 31772 ج: 6 ص 324 سنن الدار قطني ج: 4 ص: 144

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، برقم " 2550 " ج 2 ص 959 / صحيح مسلم ، كتاب الاقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، برقم " 1718 " ج 3 ص 1343 .

(3) متفق عليه أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، بلفظ " ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، من شرط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل " صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل ، برقم " 2060 " ج 2 ص 759 ، صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن اعتق ، برقم " 1504 " ، ج 2 ص 1142 .

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برقم " 6858 " ج 6 - ص 2658 / صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، برقم " 1337 " ، ج 2 - ص 975

* الحديث رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ، مسند أحمد برقم " 17225 " ج 4 - صفحة 132 قال شعيب الأرناؤوط : رجاله ثقات غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدم ، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح وإلا فهو منقطع ، سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم: 2380 ج: 4 ص: 590 ، السنن الكبرى ، كتاب آداب الأكل ، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل برقم: 6768 ج: 4 ص: 177 ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع برقم: 3349 ج: 2 ص: 1111 ، صحيح ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب الفقر والزهد برقم: 674 ج: 2 ص: 449 ، المستدرک على الصحيحين برقم: 7139 ج: 4 ص: 135 .

(5) ينظر فتح الباري / لا بن حجر / ج: 13 ص: 248 .

ينصح أقواما بالاجتهاد في العبادة والإكثار منها ، فإنه ينصح آخرين بالقصد في العبادة حينما يراهم تجاوزوا الحد المطلوب، وكلّفوا أنفسهم ما لا يطيقون، ومن ذلك نصيحته لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عندما علم من حاله الغلو والمبالغة في التعبّد، فقد قال له : (يا عثمان ، أرغبت عن سنتي ؟) ، فقال : " لا والله يا رسول الله، ولكن سنّتك أطلب "، فقال له : (فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان ؛ فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصلّ ونم)⁽¹⁾. وأحياناً ربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه ميلاً إلى الدنيا، فيحذّره من الاغترار أو التعلّق بها ، ومن المواقف الدالة على ذلك قول حكيم بن حزام⁽²⁾ رضي الله عنه : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم قال : (يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى) " ⁽³⁾، ف وقعت هذه النصيحة في نفس حكيم رضي الله عنه وتأثّر منها غاية التأثّر حتى عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يسأل أحداً بعده أبداً، وظلّ على عهده ذلك طيلة حياته. إذاً من خصائص نصائح النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة الحال والإحساس بمشاعر الآخرين فهي تراعي حال المنصوح وتراعي وضعه ومشاعره وهمومه . قال المتنبي⁽⁴⁾ :

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى⁽⁵⁾

(1) مسند أحمد برقم " 26351 " ج 6 - ص 268 ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل ابن إسحاق ، سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة ، برقم 1369 ج 1 - ص 435 ، .

(1) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي أبو خالد المكي بن أخي خديجة أم المؤمنين أسلم يوم الفتح وصحب وله أربع وسبعون سنة ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها وكان عالماً بالنسب ، تقريب التهذيب ج 1 - ص 176 .

(3) متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى ، برقم 1396 ، ج 2 - ص 532 ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، برقم 1035 ، ج 2 - ص 717

(4) أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور هو احمد بن الحسين، لسان الميزان / لابن حجر/ ج 7 - ص 68

(5) خزانة الأدب وغاية الأرب/تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري/تحقيق : عصام شعيثو/ج 1 - ص 200 /دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة الأولى ، 1987

فلقد كانت نصائحه صلى الله عليه وسلم تتناسب وتنسجم مع حال المنصوح ..ومن ذلك أيضا.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني قال : لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب. (1)

قال ابن حجر (رحمه الله) : (لعل السائل كان غضوباً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر كل أحد بما هو أولى به فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب ..) (2)

فيلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه ونصحه بما يتناسب مع حاله، وينسجم مع نفسه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرف أن من سمات هذا الرجل الغضب وعليه مظاهر الغضب من أكفهرار الوجه وحدة الطبع وحرارة الأعصاب فعالجه النبي صلى الله عليه وسلم بدواء يناسبه ويراعي حاله، وهو كظم الغيظ وصب ماء العفو على نار الغضب .

وحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه : أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله. " (3)

والشريعة: مورد الإبل على الماء الجاري. والمراد ما شرع الله وأظهره لعباده من الفرائض والسنن .. وأن المراد بها هنا النوافل لقوله (قد كثرت عليّ) أي غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي . (4)

فيلاحظ أن هذا الرجل كان شيخاً كبيراً فانياً ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أن شرائع الإسلام كثرت عليّ، أي غلبت علي بكثرتها ، حتى عجزت لضعفي ، فأوصني فنصحه وأوصاه بذكر الله بما يتناسب مع حاله ويتمشى مع وضعه وضعفه .

وحديث عمرو بن تغلب (1) رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال فأعطى قوما ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا فقال: (إني أعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلي من

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب الحذر من الغضب ، برقم " 5765 " ج: 5 ص: 2267

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 10 ص: 520

(3) الحديث حسن : رواه الترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ، سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب فضل الذكر برقم : 3375 ج: 5 ص: 458 ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ، برقم : 3793 ج: 2 ص: 1246 ، صحيح ابن حبان كتاب الرقائق ، باب الأذكار ، برقم 4188 ج: 9 ص: وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي 496 والمستدرک على الصحيحين ج: 1 ص: 672 برقم : 1822.

(4) ينظر تحفة الأحوذی / المباركفوري / ج: 9 ص: 222 بتصرف.

الذي أعطي ، أعطى أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب (فقال عمرو : ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم ⁽²⁾ .

قال ابن حجر (رحمه الله) : (وفيه أن الرزق في الدنيا ليس على درجة المرزوق في الآخرة وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية ، فكان صلى الله عليه وسلم يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع ، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة) ⁽³⁾

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي لأقوام لما يرى في قلوبهم الطمع والجشع ويمنع أقواماً لما يرى في قلوبهم من الحب لله ورسوله فأى معرفة ومراعاة لحال قومه كانت عند هذا النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والسلام . ثم أي رجل يعرف هذه المعرفة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

رابعا : ومن خصائص نصائحه شمولها على أمور الدنيا .

وهذه ميزة أخرى من خصائص نصحه أن نصائحه لا تقتصر على أمور الدين فحسب بل حتى في الأمور الدنيوية ، ومن ذلك :

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال : (يا أيها الناس إن الله تعالى يعرض بالخمير ، ولعل الله سينزل فيها أمراً ، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به .) قال فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى حرم الخمير ، فمن أدركته هذه الآية ⁽⁴⁾ وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع .) قال فاقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها ^(*) ⁽⁵⁾

(1) عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام ثم موحدة النمري بفتح النون والميم صحابي تأخر إلى بعد الأربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 419 .

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ، برقم " 881 " ، ج 1 - ص 312 .

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 13 : ص 511 .

(4) الآية التي نزلت في تحريم الخمر : قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة المائدة الآية : 90 .

* أي أراقوها في طرق المدينة ، ينظر شرح النووي على صحيح مسلم / ج 11 : ص 2

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم ، كتاب المسابقات ، باب تحريم بيع الخمر ، برقم " 1578 " ، ج 3 : ص 1205 .

وفي هذا الحديث فوائد.

ت- منها أن هذا الحديث فيه (دليل على أن الأشياء قبل ورود الشرع لا تكليف فيها بتحريم ولا غيره

وفي المسألة خلاف مشهور للأصوليين ⁽¹⁾ الأصح أنه لا حكم ولا تكليف قبل ورود الشرع لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ⁽²⁾ والثاني أن أصلها على التحريم حتى يرد الشرع بغير ذلك والثالث على الإباحة والرابع على الوقف وهذا الخلاف التنفس ونحوه من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها فإنها بلا خلاف إلا على قول من يجوز تكليف ما لا يطاق ⁽³⁾.

ث- (وفي هذا الحديث أيضا بذل النصيحة للمسلمين في دينهم ودنياهم لأنه صلى الله عليه وسلم نصحهم في تعجيل الانتفاع بها ما دامت حلالا) ⁽⁴⁾

خامسا : ومن خصائصه انه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا نصحا .

كما ثبت في الحديث أن رجلاً من اليهود اسمه " زيد بن سعة " ⁽¹⁾، ذكره المؤرخون ، قرأ التوراة فرأى أوصاف الرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وصفاً واحداً ، انه صلى الله عليه وسلم

⁽¹⁾ قال الشيرازي في اللمع : (اختلف أصحابنا في الأعيان المنتفع بها قبل ورود الشرع فمنهم من قال أنها على الوقف لا يقضي فيها بحظر ولا إباحة وهو قول أبي علي الطبري وهو مذهب الأشعرية ومن أصحابنا من قال هو على الإباحة وهو قول أبي العباس وأبي إسحاق فإذا رأى شيئاً جاز له تملكه وتناوله وهو قول المعتزلة البصريين ومنهم من قال هو على الحظر فلا يحل له الانتفاع بها ولا التصرف فيها وهو قول أبي علي بن أبي هريرة وهو قول المعتزلة البغداديين والأول أصح لأنه لو كان العقل يوجب في هذه الأعيان حكماً من حظر أو إباحة لما ورد الشرع فيها بخلاف ذلك ولما جاز ورود الشرع بالإباحة مرة وبالحظر مرة أخرى دل على أن العقل لا يوجب في ذلك حظراً ولا إباحة) وقال ابن حزم في الأحكام : (الأشياء كلها في العقل قبل ورود الشرع على الحظر وقال آخرون بل هي على الإباحة وقال آخرون بل هي على الحظر حاشا الحركة النقلية من مكان إلى مكان وشكر المنعم فقط وقال آخرون بل هي على الإباحة حاشا الكفر والظلم وجدد المنعم وقال آخرون وهم جميع أهل الظاهر وطوائف من أهل أصحاب القياس ليس لها حكم في العقل أصلاً لا بحظر ولا بإباحة وإن كل ذلك موقف على ما ترد به الشريعة قال أبو محمد وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره واحتج من قال بحظرها بأن قال الأشياء كلها ملك لله عز وجل ولا يجوز أن يقدم على ملك مالك إلا بإذنه)، ينظر اللمع في أصول الفقه/ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي / ج 1 - ص 67 / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1405 هـ ، 1985 م / الإحكام في أصول الأحكام/ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد / ج 1 - ص 52 / دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى، 1404.

⁽²⁾ سورة الإسراء: الآية 15 .

⁽³⁾ شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 11 ص: 2 - 3.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه / ج: 11 ص: 3 .

إذا اغضب زاد حلماً ، كلما زدت غضباً ازداد حلماً ، فأراد أن يجرب ، رأي الرسول الله صلى الله عليه وسلم فراه ابيض مشوباً بحمرة ، النور في وجهه ، فذهب فأتى بمال وقال : يا محمد عندي مال وأنت في حاجة إلى المال خذ مني سلفة ، اقترضه مني إلى حين ، فأخذه صلى الله عليه وسلم مقترضاً منه لحاجة ، وقبل أن يحل الموعد ، أتى اليهودي في صلاة العصر ، والناس مجتمعون مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد اقض لي مالي ، إنكم قوم مطل يا بني عبد مطلب ، يعني تماطلون صاحب المال ، قال : اقض مالي ، ثم غضب ورفع صوته ، فقام عمر ليقتله فأسكته صلى الله عليه وسلم ، وقال : (يا عمر أنت كنت أولى أن تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن الاقتضاء) ، ثم قام صلى الله عليه وسلم ، وكلما رفع اليهودي صوته كلما تبسم صلى الله عليه وسلم ، وذهب به فأعطاه ماله وزاده .

فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله ، قرأت كل صفة فيك فرايتها كما قرأتها إلا صفة ، أنك كلما أغضبت ازدادت حلماً ، فرايتها اليوم ، فأنت رسول الله لا محالة ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لِّلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (*) (2)

تعليق على الحديث .

ث- فيه انه لا يزيده حلمه وشدة الجهل عليه إلا نصحا بقوله لعمر (إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء) .

ج- وفيه زيادة حلم النبي صلى الله عليه وسلم كلما ازدادت شدة الجهل عليه .

ح- وفيه حسن عطاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقد زاده على حقه عشرين صاعاً من تمر ، مكان ترويع عمر له .

سادساً : ومن خصائص نصائحه القدرة على الإقناع والتأثير .

ومن خصائص نصحه صلى الله عليه وسلم قدرته على الإقناع والتأثير بقلوب الآخرين ، فمناصحة العقول والقلوب فن لا يجيدها إلا من يمتلك أدواتها ، وإذا اجتمعت مع مناسبة الحال

(1) زيد بن سعة الحبر الإسرائيلي اختلف في سعة فقيلاً بالنون وقيل بالتحتمانية قال ابن عبد البر بالنون أكثر روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر/ ج2 - ص 606 .

* سورة الأحقاف - الآية 10 .

(2) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي مرسل . المستدرك على الصحيحين برقم : 2237 ، ج: 2 ص: 37 .

أثرت تأثيراً بالغاً، بل وبلغ الغاية في نصحه وإرشاده ، فكيف إذا كان الناصح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن الأمثلة على ذلك :

حديث عبد الله بن زيد بن عاصم⁽¹⁾ رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي) . كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله آمن قال: (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) . قال (لو شئتم قلتهم جئنا كذا وكذا أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة⁽²⁾ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض⁽³⁾ .

قال الخطابي (رحمه الله): (أراد بهذا الكلام تألف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحداً منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها)⁽⁴⁾

فأي إقناع هذا ؟ وأي تأثير ذاك الذي يحول الموقف بهذه القدرة وتلك الصولة ؟ لقد هز الكلام الكريم قلوبهم وهددهم مشاعرهم وأقنع عقولهم، فلا سبيل لهم إلا البكاء والقبول الرضا .. بل والسعادة.

سابعاً : ومن خصائص نصائحه تحمل الأذى في نصحه .

(1) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني أبو محمد صحابي شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب واستشهد بالحررة سنة ثلاث وستين ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 304 .

(2) قال ابن حجر : (أثره بضم الهمزة وسكون المثناة وبفتحتين ويجوز كسر أوله مع الاسكان أي الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه وفي رواية الزهري أثره شديدة والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق وقال أبو عبيد معناه يفضل نفسه عليكم في الفياء وقيل المراد بالآثرة الشدة ويرده سياق الحديث .) فتح الباري - لابن حجر / ج 8 - ص 52 .

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، برقم " 4075 " ج: 4 ص: 1574 ، واللفظ له / صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ، برقم " 1061 " ، ج 2 - ص 738

(4) فتح الباري / لابن حجر / ج 8 - ص 51 .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري قالت : "إليك عني فإنك لم تصب بمصيتي " ولم تعرفه ف قيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأنت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك فقال: " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " . (1)

تعليق على الحديث .

قال ابن حجر رحمه الله في هذا الحديث فوائد(2) :

- ج- فيه بيان عذر هذه المرأة في كونها لم تعرفه، وذلك أنه كان من شأنه أن لا يتخذ بوابا مع قدرته على ذلك تواضعا، وكان من شأنه أنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى، كما جرت عادة الملوك والأكابر فلذلك اشتبه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوجد والبكاء .
- ح- فيه أنه لما قيل لها أنه النبي صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها، فتصورت أنه مثل الملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته.
- خ- وفيه أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو.
- د- فيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة .

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ، برقم " 1223 " ، ج: 1 ص: 430 / صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ، برقم " 926 " ج 2 - ص 637 .

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج: 3 ص: 149 - 150 .

المبحث الرابع طرق وأساليب النصيحة .

الأساليب في النصيحة كثيرة ، ولكل أسلوب من هذه الأساليب نجد مثلاً أو أكثر في السنة النبوية المطهرة ، وعلى الناصح الحصيف ، أن يختار الأسلوب الأمثل ، للموقف الذي هو فيه ، وللناس الذين ينصحهم ، وللبيئة التي يعمل فيها وليس شيء من هذه الأساليب واجباً وحده دون سواه ، كما انه ليس منها أسلوب أفضل من أسلوب ، وإنما جميعها تتساوى في الوصول إلى الغاية ، فعلى الناصح أن يكون حكيماً في الاختيار ، ويضم هذا المبحث مطلبين .

المطلب الأول : تعريف الأسلوب عند أهل اللغة والاصطلاح .

الأسلوب : عند أهل اللغة هو : الطَّرِيقُ ⁽¹⁾ .

الأسلوب عند أهل الاصطلاح :

قال المناوي : الأسلوب بالضم الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم على طريق من طرقهم ⁽²⁾ .

(1) القاموس المحيط / الفيروزآبادي / مادة سلبه ، ج 1 - ص 125

(2) التعاريف / المناوي / ج 1 - ص 411

وأسلوب النصيحة ، هو الطريقة أو المذهب ، الذي يلجأ إليه الناصح عند نصحه للمنصوح ، ليحقق بذلك أهداف النصيحة المرجوة .

المطلب الثاني: طرق وأساليب النصيحة .

قمت بعرض موجز لكل أسلوب على حدة ، حتى يتبين للناصح معالم الطريق الذي يسلكه ، ويستبين سبيل الذين نصحوهم ، ودعوا إليه وإلى دينه غير متواكلين .

الأول : النصيحة بما لم يسأل عنه المنصوح .

وذلك أن الناصح إذا سئل عن شيء ، وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل ، ولم يسأله عنه يستحب أن يذكره له ، ويكون هذا من النصيحة .

الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) . فرجع فصلى ثم جاء فسلم فقال : (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) . فقال في الثانية أو في التي بعدها : علمني يا رسول الله فقال : (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تستوي قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽¹⁾

تعليق على الحديث .

فقال الإمام النووي (رحمه الله) : (وفيه أن المفتي إذا سئل عن شيء وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل ولم يسأله عنه يستحب أن يذكره له ، ويكون هذا من النصيحة لا من الكلام فيما لا يعني ، وموضع الدلالة أنه قال : " علمني يا رسول الله " أي علمني الصلاة ، فعلمه الصلاة واستقبال القبلة والوضوء ، وليس من الصلاة لكنهما شرطان لها ، وفيه الفرق بالمتعلم

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت برقم " 724 " ج 1 - ص 263 / صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، برقم " 397 " ج : 1 ص : 298

والجاهل وملاطفته وإيضاح المسألة له ، وتلخيص المقاصد والاقتصار في حقه على المهم دون المكملات التي لا يحتمل حاله حفظها والقيام بها . (1)

الثاني : بذل النصيحة والإغلاظ بها للمنصوح لمن يتطلب ذلك في حقه .

فمن أساليب النصيحة الإغلاظ بها للمنصوح أحياناً ، لمن يتطلب ذلك في حقه، فقد تكون النصيحة بأسلوب الزجر اقرب إلى القبول ، إذا كانت في مناسبة ووضع تحتاج فيه إلى الشدة في طرح النصح ومن ذلك .

الحديث .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: (يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار) . قتلن ولم يارسول الله؟ قال: (تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) . قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) . قلن بلى قال: (فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم) . قلن بلى قال: (فذلك من نقصان دينها) .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم (2)

تعليق على الحديث .

- فيه استحباب وعظ النساء ، وتعليمهن أحكام الإسلام، وتذكيرهن بما يجب عليهن ، وتخصيصهن بذلك في مجلس منفرد ، ومحل ذلك كله إذا أمن الفتنة والمفسدة .
- (وفيه استحباب بذل النصيحة ، والإغلاظ بها لمن احتيج في حقه إلى ذلك، والعناية بذكر ما يحتاج إليه) . (3)

الثالث : بذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر المنصوح في ذلك .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 4 ص: 108

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم برقم " 298 " ج 1 ص 116 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق، برقم " 79 " ج 1 - ص 86

(3) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 2 ص: 468 ، نيل الأوطار / الشوكاني / ج: 6 ص: 124

وهذا أسلوب آخر في النصيح يكون لمن عرض على أخيه أمراً فنصح به وذكره بما هو خير له وإن لم يستشره المنصوح في ذلك الأمر، وهذا من إحساس المسلم تجاه أخيه أن يختار له ما يحبه لنفسه . ومن ذلك

الحديث الأول :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل يناجيه إذ انشق أفق السماء فأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويخبرك بين أن تكون نبيا ملكا وبين أن تكون نبيا عبدا"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار جبريل إلي بيده أن تواضع فعرفت أنه لي ناصح فقلت عبد نبي ...)

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى .⁽¹⁾

الحديث الثاني .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افرض الله على أمتي خمسين صلاة قال: فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال: موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك؟ قال: "قلت فرض عليهم خمسين صلاة" قال لي موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال: "فراجعت ربي فوضع شطرها" قال: فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال: فراجعت ربي فقال: "هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي" قال: فرجعت إلى موسى فقال: "راجع ربك فقلت قد استحيت من ربي" قال ثم انطلق بي جبريل حتى ناتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جانبذ⁽²⁾ اللؤلؤ وإذا تراها المسك ... الحديث .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽³⁾

(1) الحديث حسن . قال ابن حجر : إسناده حسن فإنه من رواية بقية عن الزبيدي وقد صرح ووافقه معمر عن الزهري ، ينظر تلخيص الحبير ، ج: 3 ص: 126، ورواه : سنن البيهقي الكبرى برقم 13099 ، ج: 7 ص: 48 .

(2) وهي القباب واحدها جنبذة ، ينظر شرح النووي صحيح مسلم / ج 2 - ص 222

(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ، برقم " 3164 " ج 3 - ص 1217 ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات برقم " 163 " ، ج: 1 ص: 148

تعليق على الأحاديث .

- أرى أن الحديثين جمعاً بين نصح الملائكة للأنبياء، كما جاء في نصيحة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ونصح الأنبياء للأنبياء ، كما جاء في نصيحة موسى عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في فرضية الصلاة، وهذا يدل على قيمة النصيحة عند الملائكة والأنبياء.

- فيه أن النصيحة بالتجربة كما في نصيحة موسى عليه السلام .

- (وفيه أن الحكمة بذل النصيحة للمسلم بأن يطلعه على ما هو أرفع وأعز له في الدنيا والآخرة، بنصحه فيما يتعلق به وإن لم يستشره في ذلك وهذا أسلوب جيد في النصيحة كما في نصيحة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بالتواضع ، ونصيحة موسى عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في تخفيف فريضة الصلاة عليه وعلى أمته .)⁽¹⁾

الرابع : عدم التصريح والتعين في تقديم النصيحة .

القصد في النصيحة التقويم وليس التشهير ، وهذا من خصائص نصحه عليه الصلاة والسلام ، فكان من أساليبه في النصح عدم التصريح والتعين في تقديم النصيحة ، ليكون ابلغ بالاستجابة والقبول ، وأكثر تأثيراً وهيمنة على القلوب . فليس من هديه عليه الصلاة والسلام التشهير والفضيحة عند النصح ، حتى وإن كانوا يكونون العداوة له ولدعوته ولأصحابه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل على أمثال هؤلاء فيفضح أعمالهم ، ويكشف زيف أقوالهم ، دون ذكر للأسماء أو تشهير بالأشخاص اللهم إلا في مواضع خاصة وظرف خاص يستوجب ذلك ، لكن السمت العام لنصائحه هو عدم التصريح والتجريح . ومن ذلك

الحديث الأول:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتتها بريرة⁽²⁾ تسألها في كتابتها ، فقالت إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي وقال أهلها إن شئت أعطيتها ما بقي - وقال سفيان مرة إن شئت أعقتها ويكون الولاء لنا - فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرته ذلك فقال: " ابتاعها فأعتقها فإن الولاء لمن أعتق " ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر - وقال سفيان مرة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر - فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة مرة .

تخريج الحديث .

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج: 7 ص: 218

(2) بريرة مولاة عائشة صاحبة مشهورة عاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽¹⁾

الحديث الثاني :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال قوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ، فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽²⁾

الحديث الثالث :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

تخريج الحديث .

أخرجه البخاري ومسلم⁽³⁾

تعليق الباحث على الأحاديث .

- في هذه الأحاديث دلالة واضحة على عدم التصريح والتعيين والتشهير بالأشخاص والأسماء عند إرادة النصح .

- وفيه استحباب كشف الأفعال والأقوال المشينة وتعريضها ، واستحباب التستر على الأسماء والأشخاص حتى وإن كانوا خصوماً .

- وأرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرح بأسمائهم ، حتى يجعل لهم مجالاً للتوبة والهداية ، ويكون أولى بقبول النصيحة ، كما قال البيضاوي (رحمه الله) عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين قال : (فإنه علم بنور الوحي بواطن أحوالهم ، وميز بين من آمن به صدقاً

(1) متفق عليه ، سبق تخريجه ، ينظر ص 157 .

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب صفة الصلاة ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، برقم " 717 " ج : 1 ص : 261 / وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ " لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم " كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، برقم " 428 " ، ج 1 - ص 321

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب من لم يواجه الناس في العتاب ، برقم " 5750 " ، ج : 5 ص : 2263 / صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته ، برقم " 2356 " ، ج 4 - ص 1829

،ومن أذعن له نفاقاً ،وأراد تعريف أصحابه بحالهم ليحذروهم ولم يصرح بأسمائهم ؛ لعلمه بأن منهم من يتوب فلم يفضحهم، ولأن عدم التعيين أوقع في النصيحة وأجلب للدعوة إلى الإيمان ،وأبعد عن النفور والمخاصمة ويحتمل كونه عاماً لينزجر الكل عن هذه الخصال على أكد وجهه .. (1).

الخامس : تقديم النصيحة لمن كان طبعه اللجاج والمخالفة.

وهذا أسلوب خاص ونادر في النصح ذكره ابن عربي (رحمه الله) ولا ضير أن نذكره هنا قال ابن عربي : (إذا عرف من شخص المخالفة واللجاج وأنه إذا دله على أمر فيه نصيحته عمل بخلافه فالنصح عدم النصح بل يشير عليه بخلاف ذلك ،فيخالفه فيفعل ما ينبغي ،قال : "وهذه نصيحة لا يشعر بها كل أحد وهي تسمى علم السياسة ، فإنه يسوس به النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها . (2) . ومن ذلك .

الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن داود عليه السلام أتته امرتان قد أكل إحدى ابنيهما الذنب، تختصمان في الباقي، فقضى للكبرى فلما خرجتا على سليمان قال : "كيف قضى بينكما فأخبرتاه " فقال : " انتوني بسكين " قال أبو هريرة : " وأول ما سمعته يذكر السكين رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنا نسميها المدية " قالت الصغرى لما قال نشقه بينكما قالت : ادفعه إليها وقالت الكبرى : " شقه بيننا " فقضى به سليمان للصغرى قال : " لو كان ابنك لم ترض أن تشقيه "

تخريج الحديث :

الحديث أخرجه الإمام مسلم (3)

تعليق على الحديث :

فأرى أن هذا الحديث فيه فائدة ودلالة على الحكمة والفتنة في معرفة الحق ،وتقديم النصح بأسلوب المخالفة، لمن كان طبعه اللجاج في الحق والمماطلة في النصيحة .

السادس : بذل النصيحة بطريقة الترغيب وأسلوب المداراة بمعرفة الخير .

(1) فيض القدير / المناوي / ج: 1 ص: 463 - 464.

(2) المصدر نفسه / ج: 2 ص: 328.

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، باب بيان اختلاف المجتهدين برقم: 1720 ، ج: 3 ص: 1344 .

وهكذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم في النصح ،يميل إلى استخدام أسلوب التبشير والترغيب أكثر من استخدام أسلوب التهيب والزجر ، فالغاية في النصح تحبيب الناس للخير والهداية ودفعهم إلى التعلق بالنصيحة . ومن ذلك

أ- حديث معاذ بن جبل قال : "أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني لأحبك يا معاذ فقلت : "وأنا أحبك يا رسول الله" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فلا تدع أن تقول في دُبُر كل صلاة رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " (1)

ب- وحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (2)

السابع : تكرار النصح بقصد التنبيه والإفهام .

وهذا أسلوب طيب في عرض النصيحة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر النصح للناس في الموقف الواحد بقصد التنبيه والإفهام ، وهذا أسلوب لابد أن ينتبه إليه الناصح في تقديم النصح فالقصد في النصح هو البلاغ ، فلا بد أن تبلغ الناس بما تريد نصحهم به ، وذلك عن طريق التكرار في النصيحة حتى ينتبه الناس إليك وإلى عظمة ما تلقيه ، ويقبلوا إليك بكل جوارحهم ، فيكون البلاغ والإفهام أكثر وأشار بهذا قال الزمخشري (رحمه الله) في تفسيره فقال : (النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة ، فما لم يكرر عليها عوداً عن بدء ، لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً ، ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم .) (3) . ومن ذلك

(1) سنن أبي داود ، كتاب سجود القرآن ، باب في الاستغفار ، برقم " 1522 " ، ج 1 - ص 475 ، سنن

النسائي - المجتبى كتاب صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، برقم " 1303 " . ج : 3 ص : 53 السنن الكبرى ، كتاب صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، برقم " 1226 " ج : 1 ص : 387 .

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء ، برقم " 251 " ، ج 1 - ص 219 .

(3) الكشف/ محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم /تحقيق عادل أحمد ج 1 ص 1107 الرياض-الطبعة الأولى 1418- 1998

حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الدين النصيحة الدين النصيحة ثلاثا" قالوا: لمن يا رسول الله قال: "الله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (1)

وحديث عبد الرحمن بن أبي بكرة (2) عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت (3) وحديث أنس بن مالك رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا سلم سلم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا (4) الثامن: النصيح على قدر الفهم.

يجب على الناصح حين ينصح أن يكون نصحه لمستمعيه بما يناسب عقليتهم ومكانتهم ومدى ثقافتهم، ومن أجل هذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون التحدث للناس بما تتحمله عقولهم، حتى لا يكون لبعضهم فتنة، كما جاء في حديث ابن مسعود (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) (5) ومن هاهنا يؤخذ الأدب في النصيح فلا ينصح الناس بأعلى من عقولهم، وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتعجبون أن يكذب الله ورسوله (6).

(1) الحديث أخرجه مسلم وأهل السنن، صحيح مسلم باب بيان أن الدين النصيحة برقم: 55 ج: 1 ص: 74، سنن أبي داود باب في النصيحة برقم: 4944 ج: 4 ص: 286، سنن الترمذي، باب ما جاء في النصيحة برقم: 1925، ج: 4 ص: 324، سنن النسائي - المجتبى ج: 7 ص: 156 باب النصيحة للإمام برقم: 4197، السنن الكبرى ج: 4 ص: 433 برقم: 7822.

(2) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيح بن الحارث الثقفي البصري ثقة من الثانية مات سنة ست وتسعين، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 337

(3) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، ينظر صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم "2510" ج 2 - ص 939 / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم "87" ج 1 - ص 91.

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه برقم "94" ج: 1 ص: 48.

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الحديث عن كل ما سمع برقم "5"، ج: 1 ص: 11

(6) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا برقم "127" ج: 1 ص: 59

وهذا محمول على النصح فيما لا يستوي في فهمه جميع العوام ، فحكم العالم أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته .

التاسع : أن يقبل بالنصح على الجلساء جميعاً .

ومن أساليب النصيحة أن يقبل على جلسائه جميعاً في كل شيء : في النظرة ، في الابتسام في النصح بالإشارة ، والمناصحة بالحركة ، حيث يشعر كل فرد أنه هو المخاطب بالنصح والمخصوص بالنصيحة ، وبهذا الخلق العظيم يمكن له أن يملك قلوبهم ، وهذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة والنصح .

كما في حديث عمرو بن العاص⁽¹⁾ رضي الله عنه : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك ، وكان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت اني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر ؟ فقال : "أبو بكر رضي الله عنه "قلت يا رسول الله أنا خير أم عمر ؟ قال "عمر رضي الله عنه " قلت : يا رسول الله أنا خير أم عثمان ؟ قال "عثمان رضي الله عنه " فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقني فوددت أني لم أكن سألته .⁽²⁾

العاشر : البدء بالأهم ثم المهم في النصيحة .

النصيحة لابد أن تترتب على حسب الأهمية حيث أن الناصح لا ينجح في النصح ولا يكون موفقاً في نصيحته حتى يعرف من ينصحهم وكيف ينصحهم ؟ وماذا يقدم في النصح معهم ؟ وماذا يؤخر ؟ وما هي القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية في نصيحته قبل غيرها ؟ فيبدأ مثلاً بالعقيدة قبل العبادات وبالعبادات قبل الآداب وبالكليات قبل الجزئيات والأصول قبل الفروع وهكذا . وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ونصحه .

كما جاء في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن قال له : إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقرؤا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس⁽³⁾

الحادي عشر : الترفق والملاطفة في النصح .

(1) عمرو بن العاص بن وائل السهمي الصحابي المشهور أسلم عام الحديبية وولي إمرة مصر مرتين وهو الذي فتحها مات بمصر سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 423.

(2) الحديث في الصحيح بعضه بغير سياقه والحديث بهذا اللفظ رواه الطبراني وإسناده حسن ، ينظر : مجمع الزوائد ج: 9 ص: 15 ، فتح الباري ج: 11 ص: 133.

(3) الحديث صحيح : سبق تخريجه ينظر ص 152 .

وهذا أسلوب عظيم وأدب رفيع ، أن نعامل الناس برفق وإن نصحبهم بلطف ، وهي من أكبر العوامل في جذب القلوب، ورد الناس إلى جادة الصواب ، فالفاظظة والغلظة لا تأتي بخير، بل إن من رحمة الله بنبينا صلى الله عليه وسلم أن جعله هينا ليناً سمحاً رقيقاً بالقلوب قال الله تعالى في حقه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾⁽¹⁾ فلا بد من تقديم النصح بمودة ومحبة ورفق ؛ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم بنى دعوته على الرفق وجاءت رسالته مؤصلة لمعاني الرفق والرحمة والشفقة مع الناس كلهم حتى مع اليهود .

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم ففهمتها فقلت : عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قلت وعليكم.⁽²⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.⁽³⁾

الثاني عشر : المداراة بالنصح .

من أساليب النصيحة هي التلطف بالمنصوح ، وإظهار البشاشة له ومراعاته دون مدهانة أو إخفاء لحق أو تجميل لباطل قال ابن بطال : (المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة ، ووطن بعضهم أن المداراة هي المدهانة فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها ، والمدهانة محرمة ، والفرق أن المدهانة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه ، من غير إنكار عليه ، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم

(1) سورة آل عمران - الآية 159

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب الرفق في الأمر كله ، برقم " 5678 " ج 5 - ص 2242 ، وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، برقم " 2165 " ، ج 4 - ص 1706

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، باب فضل الرفق ، برقم: 2593 ، ج: 4 ص:

وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه⁽¹⁾

فالمداواة في النصح من أجل مصلحة الدعوة وما تقتضيه المرحلة من مراعاة ومداواة ، هدي نبوي كريم .

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : " بنس أخو العشيرة وبنس بن العشيرة " فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ، وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل ، قالت له عائشة : " يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عائشة متى عهدتني فحاشاً ، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شرمه⁽²⁾ .

الثالث عشر : النصح بما لا يخل ولا يمل .

ومن أساليب النصح أن يكون النصح مقتصدًا ومعتدلاً حيث لا يصل الأمر في النصح إلى الاختصار المخل ولا إلى التطويل الممل ليكون النصح أوقع في قلب المنصوح وأحب إلى سماعه واقرب إلى قلبه . وهو هدي نبوي كريم في الدعوة والنصح .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه : قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا⁽³⁾ .

وعن جابر بن سمرة⁽⁴⁾ رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً⁽⁵⁾ .

الرابع عشر : التمهّل بتقديم النصح للمنصوح .

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج 10 : ص 528

(2) الحديث صحيح : سبق تخريجه ينظر 111 .

(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، برقم " 68 " ، ج 1 : ص 38

(4) جابر بن سمرة بن جنادة بضم الجيم بعدها نون السواتي بضم المهملة والمد صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 136

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، برقم " 866 " ج 2 : ص 591

وذلك بان يقدم النصح بتؤدة وتمهل حتى يفهم الناس منه النصح ، ويعقلوا منه النصيحة ، وهذا ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في دعوته ونصحه للناس .
قال المناوي (رحمه الله تعالى) : (إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علم وعقل ، وفكر صحيح ورؤية حسنة ، واعتدال مزاج وتؤدة ، فإن لم يكن فيه هذه الخصال فالخطأ أسرع إليه من الإصابة) . (1)

عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه . (2)
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه . (3)

الخامس عشر : انتهاجه أسلوب القدوة في العمل عند النصح .
من أعظم الأساليب وأكثرها تأثيراً وأعظمها أثراً هو نصحه للناس وتربيتهم وتعليمهم بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة في العمل . قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (4) .
ولنأخذ بعض النماذج العملية في نصحه صلى الله عليه وسلم .
أ - نصحه صلى الله عليه وسلم في كيفية الطهور ؟

عن عمرو بن شعيب⁽⁵⁾ عن أبيه عن جده : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه

- (1) فيض القدير / المناوي / ج: 2 ص: 328
- (2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما بهذا اللفظ ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم " 3374 " ج: 3 ص: 1307 ، صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، برقم " 2493 " ج 4 - ص 2298
- (3) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب الهدي في الكلام ، برقم : 4839 ج: 4 ص: 261 ، مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الأدب ، باب ما يستحب من الكلام برقم : 26296 ، ج: 5 ص: 300 .
- (4) سورة الأحزاب - الآية 21
- (5) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص صدوق من الخامسة مات سنة ثمان مائة عشرة ومائة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 423

ومسح بإماميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه ثم غسل رجله ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: "هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو أساء وظلم وأساء" ^(١).

ب- نصحه صلى الله عليه وسلم في كيفية الصلاة ؟

كما في حديث سهل بن سعد الساعدي ^(٢): وقد امتروا في المنبر مم عوده فسألوه عن ذلك فقال: والله إني لأعرف بما هو ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة- امرأة قد سماها سهل - "مري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس" فأمرته فعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بها فوضعت ها هنا، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليها وكبر وهو عليها ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقري فسجد في أصل المنبر، ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي. ^(٣)

ت- نصحه صلى الله عليه وسلم في كيفية الحج ؟

عن جابر رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمى على راحلته يوم النحر ويقول: لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه ^(٤).

السادس عشر : الأمثال والتمثيل.

(1) رواه أبو داود والبيهقي ، سنن أبي داود ، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا برقم ج: 1 ص: 135 3351 ، و سنن البيهقي الكبرى برقم 379 ، ج: 1 ص: 79 " قال الشيخ تقي الدين في الإمام وهذا الحديث صحيح عند من يصحح حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لصحة الإسناد إلى عمرو ينظر " نصب الراية ج: 1 ص: 29 " . وقال النووي : هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود وغيره بأسانيدهم الصحيحة والله أعلم ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ج: 3 ص: 129 " .

(2) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة يقال كان اسمه حزنا فغيره النبي صلى الله عليه وسلم ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 3 - ص 200

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الخطبة على المنبر ، برقم " 875 " ج: 1 ص: 310 / صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ، برقم " 544 " ، ج 1 - ص 386 .

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة راكبا وبيان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لتأخذوا مناسككم برقم " 1297 " ج: 2 ص: 943 .

كان من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في النصح هو ضرب المثل واستخدام التمثيل، ليستعين به على توضيح توجهاته ونصائحه، حتى يشد به سمع الناس إليه، وهو ضرب من واقع الناس في المثل المأخوذ في النصح.

أولاً: نماذج من نصحه في الأمثال.

أ- عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَثُوتُ⁽¹⁾.

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغِنَى عَنْ النَّفْسِ)⁽²⁾.

ثانياً: نماذج من نصحه في التمثيل:

• تمثيل العلم بالغيث.

كما جاء في حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.⁽³⁾

• تمثيل البخيل والمتصدق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مثل البخيل والمتفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما،

(1) الحديث رواه مسلم بلفظ آخر والحديث لأبي داود والنسائي والحاكم وصححه. سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم برقم: 1692 ج: 2 ص: 132، السنن الكبرى ج: 5 ص: 374 برقم: 9177، سنن البيهقي الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب إثم من ضيع عياله، برقم "9177" ج: 7 ص: 467، المستدرک علی الصحیحین کتاب الزكاة، برقم: 1515، ج: 1 ص: 575. الأمثال في الحديث/ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان/ تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد / ج 1 - ص 121 / الدار السلفية - بومباي الهند الطبعة الثانية، 1987م.

(2) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، برقم "6081" ج 5 - ص 2368 / صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، برقم "1051" ج 2 - ص 726. وينظر الأمثال في الحديث، لابن حيان، ج 1 - ص 114.

(3) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم "79" / ج: 1 ص: 42 / صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم برقم، "2282" ج 4 - ص 1787.

فأما المنفق فلا يتفق إلا سبغت أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو رجاء، وأما البخيل فلا يريد أن يتفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع .⁽¹⁾

• تمثيل المجلس الصالح وجليس السوء .

كما جاء في حديث أبي بردة بن أبي موسى⁽²⁾ عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتره أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة .⁽³⁾

• تمثيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كما جاء في حديث النعمان بن بشير⁽⁴⁾ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.⁽⁵⁾

السابع عشر: انتهاجه في نصحه أسلوب المداعبة .

كان النبي صلى الله عليه وسلم في نصحه يضيف على المجلس روح المداعبة أحياناً، لتكون النصيحة أولى بالقبول وليفتح على قلوب سامعيه مداعبة لتقبل النصح والموعظة، وهذا أسلوب قوي في النصح، ويمكن لنا أن نأخذ نموذجاً من ذلك .

(1) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل برقم "1375"، ج: 2، ص: 523، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل، برقم "1021" ج 2 - ص 708 .

(2) أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه عامر بن عبد الله بن قيس أو الحارث (من أهل الكوفة، وولى القضاء بها، رواية التهذيبين - راو رقم 7952 .

(3) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم "5214" ج 5 - ص 2104 / صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، برقم "2628" ج 4 - ص 2026 .

(4) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي له ولأبويه صحبة ثم سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 563 .

(5) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم "2361" ج: 2، ص: 882 .

حديث أنس رضي الله عنه : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله احملني قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولد ناقة قال : وما أصنع بولد الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق⁽¹⁾

فنصح النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق هذه المداعبة أن الجمل لو كان كبيراً يحمل الأثقال لا يزال ولداً للناقة باعتبار ولادته منها .

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير "يا أبا عمير ما فعل النغير"⁽²⁾ وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا .⁽³⁾

الثامن عشر : انتهاجه في نصحه أسلوب انتهاز المناسبة والفرصة .

كان النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته كثيراً ما ينتهز المناسبة، ويستغل الفرص لبذل النصيحة ، لمن يريد إصلاحهم وهدايتهم، لأنها ابغ بالتأثير وأوقع في القلوب واقرب للفهم . ومن هذه النماذج :

كما جاء في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مر بالسوق داخلا من بعض العالفة ، والناس كتفته فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: "أيكم يجب أن هذا له بدرهم" فقالوا: "ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت؟ فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم .⁽⁴⁾

وكما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في

(1) سنن أبي داود ، باب ما جاء في المزاح برقم 4998 ج: 4 ص: 300 ، مسند أحمد بن حنبل ج 3 - ص 267 قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلف بن الوليد - وهو أبو الوليد العتكي - وهو ثقة ، سنن البيهقي الكبرى باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عضه النسب أو عضه بحد برقم "20957" ج: 10 ص: 248 .

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ج: 5 ص: 2270 باب الانبساط إلى الناس وقال ابن مسعود خالط الناس ودينك لا تكلمنه والدعابة مع الأهل برقم : 5778 .

(3) الحديث صحيح ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن : سنن الترمذي باب ما جاء في المزاح برقم: 1989 ، ج: 4 ص: 357، سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 248، مجمع الزوائد ج: 9 ص: 17، فتح الباري ج: 10 ص: 526، تحفة الأحوذ ج: 6 ص: 108

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الزهد والرفائق ، برقم " 2957 " ، ج: 4 ص: 2272

السي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها ⁽¹⁾ .

التاسع عشر : انتهاجه أسلوب الرسم ولايضاح لأجل النصح .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخط أمام أصحابه خطوطاً ، ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة ويقرب إليهم بعض التصورات المفيدة . ⁽²⁾

وأرى أن هذا الأسلوب أكثر فهماً ، وأعمق نصحاً ، لاعتماده على الكلام والعرض والإيضاح بالرسم ، وهو أسلوب نبوي كريم ، بلمسة التصوير الفني البديع ، الغاية منه : النصح والمناصحة .

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب الكريم .

الحديث الأول :

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خطوطاً صفاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصفار الأعراض، فإن أخطأه هذا نمشه هذا وأن أخطأه هذا نمشه هذا ⁽³⁾ .

الحديث الثاني :

عن أنس رضي الله عنه قال : خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً فقال : هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب ⁽⁴⁾ .

نلاحظ من خلال هذين الحديثين أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بما رسمه لأصحابه على الأرض بين الإنسان وأماله والموت وعوارضه .

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الاداب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم " 5653 " ، ج : 5 ص : 2235 / صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، برقم " 2754 " ، ج : 4 - ص 2109 .

(2) مدرسة الدعاة . عبد الله ناصح علوان / ج 1 ص 382 / دار السلام ، الطبعة الثانية ، 1424-2004م
(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ، برقم " 6054 " ج : 5 ص : 2359 .

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ، برقم " 6055 " ج : 5 ص : 2359

وفي هذا الرسم فائدة في النصح، حيث أوضح كيف يحال بين هذا الإنسان وأماله البعيدة، بهاذم اللذات وهو الموت، أو بعوارض تنهشه كمرض وهرم ومصيبة وحوادث ونوازل. وكل هذا نصح لابن آدم لتحذيره من الاغترار بالدنيا بان يطول فيها أمله. كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل⁽¹⁾

الحديث الثالث :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطاً، ثم قال: هذا صراط ربك مستقيماً وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (*)⁽²⁾

فنلاحظ من خلال هذا الحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح بما رسمه لأصحابه على الأرض منهج الإسلام، المتمثل بالصراط المستقيم الموصل إلى العزة والجنة، وإن ما عداه من المناهج الأرضية والنظم الوضعية، هي سبل الشيطان وطرقه الموصلة إلى الدمار والنار.⁽³⁾ العشرون: انتهاجه أسلوب النصح بإظهار المحرم الذي يريد أن ينهى عنه.

ومن أساليب نصحه صلى الله عليه وسلم حمله بيده المحرم الذي ينهى عنه، ورفع أمام الناس ليوضح لهم بحرمة بالقول والعرض والمشاهدة، ليكون أولى بالزجر للنفوس واقطع بالدلالة على التحريم ومن الأمثلة على ذلك.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريراً بشماله وذهباً بيمينه ثم رفع مما يديه فقال: إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم.⁽¹⁾

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ج: 5 ص: 2358.

* سورة الأنعام - الآية 153

(2) الحديث صحيح، قال الحاكم، "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي ينظر، المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير برقم: 2938 ج: 2 ص: 261، السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة الأنعام، برقم: 11175 ج: 6 ص: 343.

(3) ينظر مدرسة الدعاة. عبد الله ناصح علوان / ج 1 ص 383

ويمكن أن نجمل الخلاصة في طرق وأساليب النصيحة .

أ- هذه هي أهم الأساليب التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبعها في نصح الكبار والصغار، والرجال والنساء ومناصحة العامة والخاصة ، ما بين توجيه وتعليم وإرشاد وهداية، وتثبيت لفضائل وتقويم لاعوجاج .

ب- ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتهج أسلوباً واحداً في النصح والدعوة وإنما كان يختار من الأساليب ما يناسب حال المخاطبين من أصحابه .

ت- وارى أن التنوع في أساليب النصيحة له اثر كبير في ترسيخ العلم وتحريك الفهم، وتشويق السامع والسرعة في الاستجابة والتأثير والفتنة . وأعظم دليل هو ما أحدثته نصائح النبي صلى الله عليه وسلم على مدى قرون من تأثير واستجابة وقبول وانتشار .

ث- ما أحوج المجتمع المسلم إلى دعاة ناصحين وعلماء ربانيين ، ينتهجون نهج النبي صلى الله عليه وسلم في النصح والدعوة إلى الله، ويسلكون طريقته في الدعوة ، ومنهجه في النصح ، عسى أن يحققوا للأمة المنكوبة إصلاحاً، ويحدثوا فيها تغييراً ويسجلوا لها تجديداً ، ويحجزوا لها رقم الصدارة بين حضارات الأمم وما ذلك على الله بعزيز .

المبحث الخامس

آداب تتعلق بالنصيحة

للنصيحة آداب تتعلق بها ذكرها الله في كتابه وبينها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته ، من حيث أن على الناصح أن يعرف كيف ينصح ؟ وكيف يقدم النصيحة ؟ وكيف يراعي بها المنصوح ؟ وعلى المنصوح كيف يستمع النصح وكيف يتعامل مع من ينصحه ؟ لذا جعلت هذا المبحث على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف الأدب عند أهل اللغة والاصطلاح .

(1) الحديث صحيح :سنن أبي داود ، كتاب اللباس ،باب في الحرير للنساء برقم " 4057" ج/ 2 - ص 448 ، سنن ابن ماجه ،كتاب اللباس ،باب لبس الحرير والذهب للنساء برقم " 3595 " ج: 2 ص: 1189 ، مصنف ابن أبي شيبة برقم 24659 ج: 5 ص: 152 ، سنن البيهقي الكبرى ، برقم "4019" ج: 2 ص: 425 .

الأدب عند أهل اللغة : من أدبته أدبًا ، من باب ضرب علّمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق .. والجمع (آداب) مثل سبب وأسباب و (أدبته) (تأديبًا) مبالغة وتكثير ومنه قيل (أدبته) (تأديبًا) إذا عاقبته على إساءته لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب. (1)

الأدب عند أهل الاصطلاح :

قال الجرجاني : الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ . (2)
وقال عنه المناوي رحمه الله : رياضة النفس ومحاسن الأخلاق ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل . (3)

المطلب الثاني: آداب الناصح مع المنصوح .

لابد للناصح أن يتحلى بآداب النصيحة حتى تقع نصيحته من المنصوح موقع القبول، ومن هذه الآداب:

أولاً - الإخلاص .

على الناصح أن يوطن نفسه ، ويؤوضها على الإخلاص لله في كل ما يأتي وما يذر في ميدان النصيحة ، وهي لب الأمر وأساسه ، و أن يكون الهدف هو الوصول إلى الحقيقة ، متبعاً في ذلك قاعدة : (قولني صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب) (4) فالحق ضالة المؤمن أنى وجده فهو أحق به، كما أنه ضالة كل عاقل . فيلزم من النصيحة أن تكون حسنة المقصد، ليس المقصود منها الانتصار للنفس إنما يكون المقصود منها الوصول إلى الحق أو الدعوة إلى الله . عز وجل . كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : (" ما ناظرت أحدا قط على الغلبة " وفي رواية " ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة ") (5) هذه أخلاق أتباع الأنبياء عليهم السلام، وهنا الإخلاص والتجرد.

ومن أجلى المظاهر في ذلك : أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ، وإظهار

(1) المصباح المنير / الفيومي/ مادة ادب ، ج 1 - ص 9

(2) التعريفات / للجرجاني / ج 1 ص 29

(3) التعاريف / للمناوي / ج 1 ص 44

(4) القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد / محمد بن عبد العظيم المكي الرومي الموري الحنفي / تحقيق : جاسم مهلهل الياسين ، عدنان سالم الرومي / ج 1 - ص 53 / دار الدعوة - الكويت الطبعة الأولى ، 1988

(5) تهذيب الأسماء واللغات / للإمام النووي/ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا / ج: 1 ص: 84 / دار الكتب العلمية - بيروت

البراعة وعمق الثقافة ، والتعالي على النظراء والأنداد . إِنَّ قَصْدَ انتزاع الإعجاب والثناء واستجلاب المديح ، مُفسد للأمر صارف عن الغاية .

فلا ينبغي الناصح من نصحه إظهار رجاحة عقله، أو فضح المنصوح والتشهير به، وإنما يكون غرضه من النصح الإصلاح، وابتغاء مرضاة الله تعالى .

فالناصحون من المسلمين في الجملة يريدون بعملهم وجه الحق تعالى ، فهم يتكلمون لله ، ويعملون لله ، ويأمرون وينهون لله وينصحون لله قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾⁽¹⁾ وقال أيضا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾⁽²⁾

فالواجب على الناصح أن يخلص في نصيحته ، وان يقصد بها وجه الحق ، وان يحتسب بها إعلاء كلمة الله ونصرة لدين الله .

والناس يختلفون في نصحتهم كل حسب قصده ونيته .

فمن الناس من يريد بالنصيحة الظهور أو الشهرة والسمعة والمראה . تبعا للمثل الذي يقول : (خالف تعرف) ، والبعض الآخر يريد بنصحه أن يركب فوق كتفيك وان يعتلي فوق عارضيك ، فهم لا يجيدون إلا الارتقاء على الأكتاف والظهور على الأضواء ، ليجعل منك جثماناً وسلاماً يصعد عليك .

والبعض يريد بالنصيحة أن يشفي غلاً ويث سماً من حسد وضغينة، فقام على رؤوس الناس ينقدهم ويجرحهم ويفضحهم بحجة نصحتهم .

ولقد أنشد ابن زنجي البغدادي⁽³⁾ في هذا الصنف من الناس فقال⁽⁴⁾:

فكم من عدو مُغلٍ لك نصحه علانية، والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشدٍ قد عصيته فكنت له في الرشيد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب؛ إنها سيبدو عليها كل سر وذائع

فمن آداب النصيحة في الإسلام أن تخلص النصيحة لوجه الله وان يكون لك بذلك مقاصد :

(1) سورة البينة - الآية 5

(2) سورة الكهف - الآية 110

(3) الحسن بن علي الكاتب المعروف بابن زنجي قال ابن رشيقي في الأنموذج : من بيت كتابة ورياسة وعلم وكان شاعراً بارعاً في صنعه ويجيدها قليل الاختراع والتوليد حسن الابتداعات وثاباً في أكثر شعره ، الوافي في الوفيات /الصفدي / ج 1 - ص 1675

(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء /ابن حبان البستي / ص 406-407.

المقصد الأول : أن تبرئ ذمتك من هذه النصيحة التي في عنقك ولا تكتم العلم
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (1)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (2)

والمقصد الثاني : أن يكون قصدك أن تكون كلمة الله هي العليا ليبقى المعروف واضحاً
والحق منتصراً وليبقى الدين قويا بإذن الله تعالى .

ثانيا - اللين في الخطاب والشفقة في النصح .

على الناصح أن يكون ليناً في خطابه مشفقاً في نصحه ، وأفضل أدب في النصيحة وأحسن
أسلوب في النصح اللين والرفق ، اللين بالخطاب للمنصوح والرفق بحال المنصوح ، وهذه هي
طريقة الأنبياء في الدعوة والنصح ، كما في نصيحة يوسف عليه السلام لمن كان معه في السجن
وكيف تعامل بصدق طويته وطيب كلامه بشفقه ورفق ولين ، للوصول في نصحه إلى اجل غاية
وأعلى هدف وهو توحيد الله ، فقال الله عن نصيحته : ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ
أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (3) ، قال بعض أهل العلم (ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان
ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة، وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما
مثلاً يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال: " أرباب متفرقون " أي لا ارتباط بينهم ولا اتفاق
... "خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (4)

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ. وأنشد:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أُمْسَيْتَ
مِمَّا يُنْبِئُ الْوَدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث تثبت لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه
بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه. (5)

(1) سورة آل عمران - الآية 187

(2) سورة البقرة - الآية 159

(3) سورة يوسف - الآية 39

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود/ ج 4 - ص 278

/ دار إحياء التراث العربي - بيروت

(5) العقد الفريد / ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق ، خليل شرف الدين / ص 1068 ، دار ومكتبة الهلال

الطبعة الاولى، 2001م

ولقد جاء عن سفیان الثوري رضي الله عنه : قال لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر عالم بما ينهى رفيق فيما يأمر رفيق فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى⁽¹⁾ و يروى (أن أحد الوعاظ وعظ المأمون العباسي (رحمه الله) وأغلظ عليه وعنفه ، فقال يا رجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره بالرفق فيه ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(*)⁽²⁾

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كلامه ليناً ووجهه بشوشاً لا يأتي في خطابه ولا يصدر في كلامه ولا يخرج من فمه إلا درراً من الخير وجواهر من المعروف وكنوزاً من النصح فكانت نجومها ساطعة من نور الخير وسماءاً صافية من النصح لأهله وقومه وأمتهم يغيثهم وقت الجذب بالأخلاق الفاضلة والآداب الطيبة فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير (... الحديث⁽³⁾

ثالثاً - الأسرار بها في مواضع الأسرار .

الأسرار في النصيحة والخلوة بالمنصوح لنصحه ، والأسرار في محله ، والنصح في مكانه كلها من آداب النصيحة وآداب الناصح عند نصحه للمنصوح .
لذا قال الحسن البصري (رحمه الله) : (المؤمن شعبة من المؤمن، وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه ونصحه السر والعلانية)⁽⁴⁾

قال ابن حبان رضي الله عنه: (النصيحة تجب على الناس كافة ..، ولكن إبدائها لا يجب إلا سرّاً؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سرّاً فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد فيما يشينه وعن سفیان الثوري رحمه الله قال: قلت لمِسْعَر : أتحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أما أن يجيئ إنسان فيؤيخني بها فلا، وأما أن يجيئ ناصح فنعيم).⁽⁵⁾

(1) حلية الأولياء / لأبي نعيم / ج 6 - ص 379

* سورة طه - الآية 44

(2) البرهان المؤيد / أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني / تحقيق : عبد الغني نكه مي / ج 1 - ص

105 / دار الكتاب النفيس - بيروت الطبعة الأولى ، 1408

(3) متفق عليه ، سبق تخريجه ينظر ص 178 .

(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / لابن حبان البستي / ص 402

(5) المصدر نفسه / ص 404

فصح المسلم مطلوب والستر عند نصحه مرغوب كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر ..) الحديث (1) وهذا الأدب في النصح والأسرار بالنصيحة والستر على المنصوح هدي نبوي عمل عليه سلف الأمة كما ذكر ابن حبان البستي في روضة العقلاء : (عن ابن المبارك قال : كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤجر في نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره . وعن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار ابن وائل (2) - وعنده قوم - فسارّه بشيء ، ثم أنصرف ، فقال : أتدرون ما قال لي ؟ قال : رأيته التفت أمس وأنت تصلي وقال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدي حق الإخوة . وعلامة الناصح إن أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سرّاً ، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية) . (3)

وعن المبارك بن سعيد (4) عن عمر بن عبيد (5) قال : أطلع أبو الأسود مولى له على سر فيثه ، فقال أبو الأسود (6) :

أَمِنْتُ عَلَى السَّرِّ إِمْرَءًا غَيْرَ حَازِمٍ وَلَكِنَّهُ فِي النَّصْحِ غَيْرُ مُرِيبٍ
فَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَهُ بَغِيلَاءَ نَارٍ أَوْقَدَتْ بِثَقُوبٍ
وَمَا كُلُّ ذِي نَصْحٍ بِمَوْتِكَ نَصْحُهُ وَلَا كُلُّ مَنِ نَاصَحْتُهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ

لا بل الأسرار بالنصيحة وستر المنصوح حتى مع السلطان إن اقتضت الحاجة وانتفت المفسدة ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (من كانت عنده

- (1) قال الشوكاني : الحديث رجال إسناده رجال الصحيح ، والحديث أخرجه أصحاب السنن ، سنن أبي داود ، كتاب الحمام ، باب النهي عن التعري ، برقم : 4012 ج : 4 ص : 392 ، و سنن النسائي - المجتبى كتاب الغسل والتيمم ، باب الاستتار عند الاغتسال برقم : 406 ، ج : 1 ص : 200 ، و سنن البيهقي الكبرى كتاب الطهارة ، باب الستر في الغسل برقم 908 ج : 1 ص : 198 ، نيل الأوطار ج : 1 ص : 317
- (2) عبد الجبار بن وائل بن حجر بضم المهملة وسكون الجيم ثقة لكنه أرسل عن أبيه من الثالثة مات سنة اثنتي عشرة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 332
- (3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / لابن حبان البستي / ص 405
- (4) المبارك بن سعيد بن مسروق أخو سفيان الثوري توفي بالكوفة في أول سنة ثمانين ومائة وكانت عنده أحاديث ، الطبقات الكبرى / لابن سعد / ج 6 - ص 385
- (5) عمر بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي بفتح الطاء والنون وبعد الألف فاء مكسورة ثم مهملة الكوفي صدوق من الثامنة مات سنة خمس وثمانين وقيل بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 415
- (6) الأشراف في منازل الأشراف / عبدالله بن محمد بن بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر القرشي / تحقيق : د. نجم عبد الرحمن خلف / ص 148 / مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ، 1990

نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده و ليخل به، فإن قبلها قبلها و إلا كان قد أدى الذي عليه و الذي له⁽¹⁾ .

فالأصل في النصيحة هي الأسرار لأنها ارغب بالقبول وأولى بالإخلاص ولا تخرج النصيحة عن هذا الأصل إلا عند الضرورة وعند اقتضاء المصلحة .
رابعا - عدم الإلزام .

من واجب الناصح أن ينصح غيره، ولكن ليس من حقه أن يلزم غيره بما ينصحه به؛ لأن هذا ليس من حقه، بل هو حق للحاكم في رعيته، والناصح ذال على الخير، وليس بآمر بفعله. أما الحاكم فهو آمر بفعل الخير، ناه عن فعل الشر، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن حزم الظاهري (رحمه الله تعالى): (ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيته، والسيد مع عبيده، لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذل له من نفسك، فإن طلبت أكثر فأنت ظالم)⁽²⁾

ويقول أيضاً: (فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد قال الله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽³⁾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)⁽⁴⁾ وإن نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ولعلك مخطئ في وجه نصحك فتكون مطالباً بقبول خطئك وترك الصواب))⁽⁵⁾.

فمن هنا نعرف أن للناصح أن يقول كلمة الحق ، ويعرض نصحه فقط، وليس له أن يلزم غيره بالأخذ بما قال، فإن ذلك واجب القاضي والحاكم، فإذا كان لكل ناصح أن يلزم غيره بقوله، أصبح كل المجتمع حكماً وقضاً، وعندها فمن يكون المحكوم والرعية؟

خامسا - الأنصاف في النصح

(1) الحديث سبق تخريجه، ينظر ص 79 .

(2) الأخلاق والسير / لابن حزم / ج: 1 ص: 45

(3) سورة طه - الآية : 44

(4) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، برقم " 69 " ج: 1 ص: 38 / صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، برقم " 1734 " ، ج 3 - ص 1359

(5) الأخلاق والسير / لابن حزم / ج: 1 ص: 49

من الآداب الأنصاف في النصيحة فلا يحملك حبك لأخيك بمداراته ومجاملته في النصح، ولا يحملك بغضك للآخرين على قطع رقابهم في النصيحة، بل الحق والعدل إنصاف الجميع في النصيحة، واشهد أن عندنا وعند البعض قلة إنصاف وعدم عدل في نصحننا وأحكامنا وفي أقوالنا، وليس هذا من منطق القرآن بل يقول الحق جل جلاله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ (1)

المعنى أن نقول العدل وان نحكم بالعدل...والعدل يتطلب منك أن تعترف لخصمك بالحق الذي عنده، وحتى أقرب الناس إليك ينبغي أن تعترف بالخطأ الموجود لديه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (2).

وكما قال عمار (3) رضي الله عنه في صحيح البخاري: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك

وبذل السلام والإنفـاق مــــن الإقتــــار) (4)
فأساس الميل في النصح أو الإجحاف في النصيحة هو إتباع الهوى كما قال تعالى: (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (5) فإتباع الهوى يحمل البعض على ألا ينصف في النصح ، فتراه يضخم الحسنات لمن يحب في نصحه ، ويصغر الحسنات في النصح لمن يبغضه ، بينما نهج النبي صلى الله عليه وسلم في النصيحة الأنصاف والعدل حتى مع الأعداء، قال الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (6).

(1) سورة النساء - الآية 135

(2) سورة المائدة - الآية 8

(3) الصحابي الجليل ، عمار بن ياسر بن عامر بن مالك الغنسي بنون ساكنة ومهملة أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدري قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 408 .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب إفشاء السلام من الإسلام ، ج: 1 ص: 18

(5) سورة النساء - الآية 135

(6) سورة الشورى - الآية 15

فهو عادل في نصحه وحكمه وقوله بل وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه (وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل والحق في الغضب والرضا) ⁽¹⁾ .
ومن نماذج إنصافه صلى الله عليه وسلم لأصحابه .

حديث عمرو بن شعيب ⁽²⁾ عن أبيه عن جده قلت : يا رسول الله أكتب عنك ما سمعت قال: نعم قلت : في الغضب والرضا قال : نعم فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقاً ⁽³⁾ وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله. ⁽⁴⁾

(1) الحديث صحيح ، رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان ، مسند أحمد / برقم " 18351 " ج 4 - ص 264 ، السنن الكبرى ، كتاب صفة الصلاة ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم: 1305 ج: 1 ص: 388 برقم: 1229 ، سنن النسائي - المجتبى ، كتاب صفة الصلاة ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم: 1305 ، ج: 3 ص: 54 ، صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة ، برقم " 1971 " ج: 5 ص: 305 ، وقال الارنؤوط : إسناده قوي ، وقال الإمام الشوكاني رجال إسناده ثقات ، وساقه بإسناد آخر بنحو هذا اللفظ وإسناده في سنن النسائي هكذا أخبرنا يحيى بن حبيب بن عربي قال حدثنا حماد قال حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى عمار فذكره وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط وأخرج له البخاري مقروناً بآخر وبقيّة رجاله ثقات ووالد عطاء هو السائب بن مالك الكوفي وثقه العجلي . ، ينظر نيل الأوطار ، ج: 2 ص: 333 .

(2) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص صدوق من الخامسة مات سنة ثمانى عشرة ومائة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 423

(3) قال الحاكم : لا ينبغي لي أن أقول إلا حقاً فليعلم طالب هذا العلم أن أحداً لم يتكلم قط في عمرو بن شعيب وإنما تكلم مسلم في سماع شعيب من عبد الله بن عمرو فإذا جاء الحديث عن عمرو بن شعيب عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو فإنه صحيح على أني إنما ذكرته شاهداً لحديث عبد الواحد بن قيس وقد روي هذا الحديث بعينه عن يوسف بن ماهك . صحيح ابن خزيمة ، برقم : 2280 ، ج: 4 ص: 26 ، المستدرک على الصحيحين كتاب العلم ، برقم: 358 ، ج: 1 ص: 187 .

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة ، برقم " 6398 " ج: 6 ص: 2489

وحديث حاطب بن أبي بلتعة⁽¹⁾ رضي الله عنه حين سرب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ، وهي جريمة كبرى ، فلما أتى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحاكمه قال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله دعني لأضرب عنقه فقد نافق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال :اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"⁽²⁾ ، فاحتسب النبي صلى الله عليه وسلم له حسناته التي قدمها في بدر ولم ينسها صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه الأحاديث نخرج بقواعد وأصول للإنصاف في النصيحة .

أ- أن ما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين؛ فمن ثبت له أصل الإسلام لا يخرج من الإسلام ويحكم بكفره إلا بيقين، وهكذا من ثبت له شيء؛ فإنه لا يُنزع منه إلا بيقين. قال صاحب العقيدة الطحاوية (أن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله)⁽³⁾ وقال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : (قد اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر على أن أحداً لا يخرج من دينه وإن عظم من الإسلام وخالفهم أهل البدع فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة)⁽⁴⁾

ب- الخطأ في الحكم بالإيمان أهون من الخطأ في الحكم بالكفر؛ أي لو أنك حكمت لشخص بالإسلام بناءً على ظاهر الحال، حتى لو كان من المنافقين مثلاً أو ليس كذلك؛ فإن هذا أهون من أن تتسرع وتحكم على شخص بالكفر، ويكون ليس كذلك؛ فتقع في الوعيد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه*)⁽⁵⁾.

(1) حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مثناة ثم مهملة مفتوحات بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى يقال إنه حالف الزبير ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 2 - ص 4

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، برقم " 2845 ج: 3 ص: 1095 / صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، برقم " 2494 " ، ج 4 - ص 1941 .

(3) شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الحنفي / ج: 1 ص: 313 .

(4) التمهيد / لابن عبد البر / ج 17 - ص 22 .

* وهو معنى رجعت عليه أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد ، ينظر شرح النووي على مسلم / ج 2 - ص 50

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ، برقم " 61 " ، ج: 1 ص: 79 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً⁽¹⁾) ومن مباح أهل العلم يخطئون ولا يكفرون..⁽²⁾ وقال الإمام الشوكاني (رحمه الله) في السيل الجرار: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار)⁽³⁾.

ت- في مسائل الاجتهاد لا تأثيم ولا هجران، وهذا ذكره ابن تيمية -رحمه الله- فقال (مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده من كان فيها أصاب الحق فله أجران ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر وخطؤه مغفور له)⁽⁴⁾ وهذا مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون تأثيماً لكل من اجتهد في المسائل كلها من غير تفريق بين الأصول والفروع، فمن استفرغ وسعه في معرفة مراد الله عز وجل، وكان أهلاً لذلك، فإنه لا يأثم بهذا الاجتهاد بل هو بين أجر وأجرين، فلا تأثيم في مسائل الاجتهاد، ولا ينبغي أن يكون ثمت تهاجر بين المؤمنين قال الإمام السمعاني (رحمه الله): (كل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس فتفرقوا واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاً ولا تفرقاً وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يحل النظر فيها والأخذ بقول من تلك الأقوال لا يوجب تبديعاً ولا تكفيراً كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة).⁽⁵⁾

ث- التحفظ عن تكفير فرد بعينه أو لعنه، حتى لو كان من طائفة، أو كان من أصحاب قول، يصح أن يوصف أنه كفر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من

(1) الخوارج أكثر ما عُرف عنهم التكفير.

(2) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الأمام ابن القيم / احمد بن إبراهيم بن عيسى (ت

1329 هـ) / تحقيق . زهير الشاويش / ج 2 - ص 407 / المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة - بيروت

1406 هـ.

(3) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ تحقيق : محمود إبراهيم

زايد/ ج 4 - ص 578 / دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405.

(4) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج: 20 ص: 292

(5) فصول من كتاب الانتصار للأصحاب الحديث / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد

التميمي / تحقيق : محمد بن حسين بن حسن الجيزاني / ج 1 - ص 49 / مكتبة أضواء المنار - المدينة

المنورة ، الطبعة الأولى ، 1996.

الدين يكفر، إلى أن قال ولهذا كنت أقول للجهمية⁽¹⁾ من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافراً لأنني أعلم أن قولكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وقال شيخ الإسلام أيضاً ... وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها⁽²⁾

ج- الأخذ بالظاهر، والله يتولى السرائر، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)⁽³⁾.

كما أن من الإنصاف أن تقبل ما لدى خصمك من الحق والصواب، حتى لو كان فاسقاً، بل حتى لو كان مبتدعاً، بل حتى لو كان كافراً. قال ابن تيمية -رحمه الله-: (والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق وألا نقول عليه إلا بعلم وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق)⁽⁴⁾، وذكر المناوي رحمه الله عن ابن العربي قوله: (لا يحجبك أيها الناظر في العلم النبوي الموروث، إذا وقفت على مسألة من مسائله ذكرها فيلسوف أو متكلم أن تنقلها وتعمل بها، لكون قائلها لا دين له، فإن هذا قول من لا تحصيل له، إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلاً فإذا وجدنا شرعنا لا يأبأها قبلناها سيمًا فيما وصفوه من الحكم والتبرئ من الشهوات ومكائد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر).⁽⁵⁾

(1) الجهمية: هم أصحاب جهنم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمز وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني/ تحقيق: محمد سيد كيلاني/ ج 1 - ص 85 /دار المعرفة - بيروت، 1404

(2) شرح قصيدة ابن القيم / أحمد بن إبراهيم بن عيسى / ج 2 - ص 406

(3) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع، برقم "4094"، ج 4 - ص 1581 / صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم "1064"، ج 2 - ص 741.

(4) منهاج السنة النبوية/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/ تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ ج 2: ص: 342 / مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى، 1406

(5) فيض القدير / المناوي / ج 5 - ص 65.

وهكذا تلوح لك في أقوال العلماء ؛ أمارات الإنصاف والعدل، حتى مع الخصوم المبايعين، فضلاً عن الإخوة المتحابين.

سادساً - التثبت عند النص.

فمن الآداب التثبت أثناء النصيحة وترك العجلة في إبداءها دون تثبت لذلك كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم التثبت في الأمر وبهذا كان يدعوا فيقول (في صلاته اللهم إني أسألك التثبت في الأمر والعزيمة على الرشد..) الحديث (1)

ويقول صلى الله عليه وسلم مقراً بأصل التثبت ومنهدداً بالعجلة كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (التأني من الله والعجلة من الشيطان) (2) بل يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويثني على بعض أصحابه لأنه جمع بين الحلم والأناة . كما جاء في الحديث عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج - أشج عبد القيس : إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة . (3) قال القاضي عياض رحمه الله : (فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، وعنده حلم يدل على صحة عقله وجودة نظره للعواقب .) (4)

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثبتيين في أقوالهم ونصحهم لا بل حتى في أحكامهم، كما جاء في حديث علي رضي الله عنه في الرجل الذي سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا فاتهم أهل أصحابه، فرفعوهم إلى شريح (5) فسألهم البينة على قتله، فارتفعوا إلى علي رضي الله عنه وأخبروه بقول شريح فقال علي رضي الله عنه :

(1) قال الشوكاني : الحديث رجال إسناده ثقات، ينظر نيل الأوطار ، ج: 2 ص: 332 . وينظر السنن الكبرى كتاب صفة الصلاة ، باب نوع آخر من الدعاء ، برقم : 1227 ، ج: 1 ص: 387 ، سنن النسائي - المجتبى ، كتاب صفة الصلاة ، باب نوع آخر من الدعاء برقم : 1304 . ج: 3 ص: 54 .

(2) قال الهيثمي : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، ينظر مجمع الزوائد ج: 8 ص: 19 ، وينظر : سنن البيهقي الكبرى كتاب آداب القاضي ، باب التثبت في الحكم ، برقم " 20057 " . ج: 10 ص: 103 ، مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي / تحقيق : حسين سليم أسد / برقم " 4256 " ، ج 7 - ص 247 ، دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى ، 1404 - 1984

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ، برقم " 17 " ج 1 : ص 46 .

(4) شرح النووي على مسلم / ج: 1 ص: 189

(5) شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي أبو أمية مخضرم ثقة وقيل له صحبة مات قبل الثمانين أو بعدها وله مائة وثمان سنين أو أكثر يقال حكم سبعين سنة، تقريب التهذيب ، ج 1 - ص 265

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

ثم قال إن أهون السقي التشريع قال: ثم فرق بينهم وسألهم فاختلفوا ثم أقروا بقتله فأحسبه قال فقتلهم به (1) ، قال الإمام النووي (رحمه الله): (على الجراح تقوى الله تعالى في ذلك، والتثبت فيه والحذر من التساهل بجرح سليم من الجرح أو بنقص من لم يظهر نقصه، فإن مفسدة الجرح عظيمة فإنها غيبة مؤبدة ، مبطللة لأحاديثه مسقطه لسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم واردة لحكم من أحكام الدين)(2)، فإذا أشكل على الناصح أي أشكال، فليبادر بالاستفهام كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يصل في القوم فقال : يا فلان ما منعك أن تصلي في القوم؟ فقال : يا رسول الله أصابتي جنابة ولا ماء قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك . (4)

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال " قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر " أو " يعصب " شك موسى " على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده (5)

(1) الحديث لم أجده في كتب الحديث المتوفرة لدي ، وأخرجه البيهقي : ينظر : سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 104 .

(2) شرح النووي على مسلم / ج 1 ص 124 .

(3) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلاً وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة ، تقرب التهذيب/ لابن حجر / ج 1 - ص 429 (4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ، برقم " 337 " ، ج : 1 - ص : 131 .

(5) الحديث حسن : قال الحاكم : هذا حديث صحيح فإن الوليد بن عبيد الله هذا ابن أخي عطاء بن أبي رباح وهو قليل الحديث جداً وقد رواه الأوزاعي عن عطاء وهو مخرج بعد هذا وله شاهد آخر عن ابن عباس ينظر المستدرک على الصحيحين ج: 1 ص: 270 . وقال ابن حجر : صححه ابن السكن وقال أبي داود تفرد به الزبير بن خريق وكذا قال الدارقطني قال وليس بالقوي وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن ابن عباس وهو الصواب قلت رواه أبو داود أيضاً من حديث الأوزاعي قال بلغني عن عطاء عن ابن عباس ورواه الحاكم من حديث بشر بن بكر عن الأوزاعي حدثني عطاء عن ابن عباس به وقال الدارقطني اختلف فيه على الأوزاعي والصواب أن الأوزاعي أرسل آخره عن عطاء قلت هي رواية بن ماجه وقال أبو زرعة وأبو حاتم لم

معنى ذلك أننا يجب أن نتثبت قبل الخوض في الرد كما نبهنا الله تعالى لذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾⁽¹⁾ فالناصح يجب عليه أن يحذر من ترديد كلام الآخرين من غير التثبت منه وعقله وفهمه فيورط نفسه ويقع في المخالفة الشرعية التي جاء التحذير منها في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"⁽²⁾ ويترتب على ذلك أن يقع هذا الشخص الناصح في قول النبي صلى الله عليه وسلم المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور.⁽³⁾

ومن هنا فعلى الناصح أن يتثبت من الشيء المنقول إليه وهذا منهج رباني قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾⁽⁴⁾

يسمعه الأوزاعي من عطاء إنما سمعه من إسماعيل بن مسلم عن عطاء بين ذلك بن أبي العشرين في روايته عن الأوزاعي ونقل بن السكن عن بن أبي داود أن حديث الزبير بن خريق أصح من حديث الأوزاعي قال وهذا مثل ما ورد في المسح على الجبيرة ، تنبيه لم يقع في رواية عطاء هذه عن ابن عباس ذكر للتيمم فيه فثبت أن الزبير بن خريق تفرد بسياقه نبيه على ذلك بن القطان لكن روى بن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ينظر تلخيص الحبير ج: 1 ص: 147 ، والحديث روي من طرق أخرى ، قال البيهقي في المعرفة هذا الحديث أصح ما روى في هذا الباب مع اختلاف في إسناده قد بيناه في كتاب السنن انتهى وأخرجه أبو داود أيضاً عن الأوزاعي أنه بلغه عن عطاء بن أبي رباح أنه سمع عبد الله ابن عباس قال أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم احتلم فأمر بالاعتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخره وتكلم عليه الدارقطني فقال لم يروه عن عطاء عن الزبير بن خريق وليس بالقوي وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن بن عباس وهو الصواب واختلف عن الأوزاعي فقليل عن عطاء وقيل بلغني عن عطاء وأرسله الأوزاعي بآخره فقال عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصواب انتهى ، ينظر نصب الراية ، الزيلعي ، ج: 1 ص: 187 ، سنن البيهقي الكبرى باب الجرح إذا كان في بعض جسده دون بعض برقم : 1014 ج: 1 ص: 226 ، صحيح ابن خزيمة برقم 273 ج: 1 ص: 138 ، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم برقم : 337 ج: 1 ص: 93 ، سنن ابن ماجه كتاب الطهارة ، باب في المجروح تصيبه الجنابة ، برقم : 572 ج: 1 ص: 189 ، صحيح ابن حبان كتاب الطهارة ، باب التيمم ، برقم : 1314 ج: 4 ص: 140

(1) سورة الإسراء - الآية : 36.

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، صحيح مسلم ، مقدمة مسلم ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع برقم " 5 " ، ج : 1 - ص: 10

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، المتشعب بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة ، برقم " 4921 " ، ج 5 - ص 2001 / صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشعب بما لم يعط ، برقم " 2129 " ، ج 3 - ص 1681 .

(4) سورة الحجرات - الآية 6

سابعا - الصبر على أذى المنصوح .

على الناصح أن يفقه أن من تكاليف النصيحة : أن يتحمل الناصح ما يلقيه من أذى وإساءة من المنصوح ، فما يلقيه الناصح هو بعض ضريبة النصح في الدعوة إلى الله ، يجب على الناصح أن يتحملها ، فليس هو أكثر إخلاصاً وقرباً وتأيداً من الله من رسله الكرام ، ورسله كُذِّبوا وأُذِّبوا وصبروا على ذلك ، واستمروا على تبليغ دعوتهم ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽¹⁾ ومن الصبر المطلوب من الناصح : صبره على المنصوح انتظاراً لاستجابته للنصيحة ، مع الاستمرار على نصحه وتكريرها عليه بلا كلل ولا ضجر ، وإن رأى منه إصراراً على عدم قبول النصح .. وإن لا يحمل غصبه على المنصوح على نفاذ صبره عليه وتركه وشأنه ، فإن هذا مما يلام عليه ويؤاخذ عليه الناصح .

ومما يعين الناصح على تفهم هذا الأمر ويقوي صبره على المنصوح : أن يعلم أن الناس ليسوا سواء في الاستجابة للحق والقبول للنصيحة ، فمنهم السريع في قبول النصيحة حتى كأنه على موعد معها يريد سماعها ليؤمن بها ، ومن الأمثلة على هذا النوع من الناس : أبو بكر رضي الله عنه ، فإنه ما أن دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ونصحه به ، حتى آمن حالاً بلا تردد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما تلبث عنه حين ذكرته ولا تردد فيه)⁽²⁾ .

كما أن منهم من هو بطيء الاستجابة فلا تؤثر فيه النصيحة إلا بعد فترة من الزمن كما في حال خالد بن الوليد⁽³⁾ وأبي سفيان ومن معه فلقد تأخروا في إسلامهم . فأرى بعد هذا أن الناصح عليه أن يضع نصب عينيه كل الاحتمالات من ضروب الأذى والاضطهاد والشدة ، مادام يقدم نصحاً ويوضح حقاً وينصف مظلوماً ويردع ظالماً بنصحه ، لأن من طبيعة الطريق إلى الله أنه محفوف بالمخاطر ، ومن طبيعة دعوة الأنبياء وعلى رأسهم سيد الدعاة والناصحين محمد صلى الله عليه وسلم .. أن يتعرضوا لأنواع الأذى وصنوف الاضطهاد في نصحهم لقومهم .

(1) سورة الأنعام - الآية : 34

(2) البداية والنهاية / لابن كثير / ج : 3 ص : 27

(3) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي سيف الله يكنى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 191

كما جاء في حديث مصعب بن سعد ⁽¹⁾ عن أبيه قال : يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ويتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدهه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" ⁽²⁾.

ثامنا - اختيار الوقت المناسب للنصيحة .

لابد للناصح من اختيار الوقت المناسب الذي يسدي فيه النصيحة للمنصوح، لأن المنصوح لا يكون في كل وقت مستعداً لقبول النصيحة، فقد يكون مكدرًا في نفسه بحزن أو غضب أو فوات مطلوب، أو غير ذلك مما يمنعه من الاستجابة لنصح الناصح.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإن للقلوب فترة وإدباراً ، فاعتموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها.) ⁽³⁾

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : " يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا" ⁽⁴⁾ وفي رواية أخرى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر : فقال (هو البيت) قلت ما منعهم أن يدخلوه فيه ؟: قال (عجزت بهم النفقة) قلت فما شأن بابيه مرتفعاً لا يصعد إليه إلا بسلم ؟: قال (ذلك

(1) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني ثقة من الثالثة أرسل عن عكرمة بن أبي جهل مات سنة ثلاث ومائة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 533

(2) الحديث صحيح صححه الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب الصبر على البلاء ، برقم : 2398 ، ج: 4 ص: 601 قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان . ، السنن الكبرى ، كتاب الطب ، باب أي الناس أشد بلاء برقم : 7481 ، ج: 4 ص: 352 ، سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء برقم : 4023 ، ج: 2 ص: 1334 ، صحيح ابن حبان ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الصبر برقم : 2901 ج: 7 ص: 161 وقال شعيب الارنؤوط : إسناده حسن ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، برقم " 121 " ج: 1 ص: 100

(3) حلية الأولياء/ لأبي نعيم / ج 1 - ص: 134

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنائها ، برقم " 1509 " ، ج 2 - ص 574 ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ " يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة " ، ينظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها ، برقم " 1333 " ، ج 2 - ص 968 .

فعل قومك . ليدخلوه من شاءوا ويمنعوه من شاءوا . ولولا أن قومك حديثو عهد بكفر مخافة أن تنفر قلوبهم لنظرت هل أغيره فأدخل فيه ما انتقص منه وجعلت بابه بالأرض. (1)

قال النووي (رحمه الله): (وفي هذا الحديث دليل القواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة، بدئ بالأهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف الفتنة لبعض من أسلم قريباً وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها صلى الله عليه وسلم ومنها تفكير ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر يلهمهم في دين أو دنيا، إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك، ومنها تألف قلوب الرعية. (2)

حقاً إنه لا بد للناصح من تخير الوقت المناسب لقبول النصيحة عند إسدائها، طالما أن الناصح رجل يتعامل مع القلوب والأحاسيس والمشاعر، فرب وقت لا يكون فيه المرء مهياً لقبول النصيحة تعرض له أحقق بدعوى النصيحة، فأغلق قلبه وعقله أمام نصحه وإرشاده وكان الناصح الجاهل هو السبب في ذلك.

تاسعا - المعرفة بحال المنصوح .

فمن آداب النصيحة المعرفة بحال المنصوح. وذلك بان تعرف مشاعره ، مكانته ، عمله ، المشكلات التي يعيشها ، بيئته . حتى تتمكن من نصحه ، وهذه هي الحكمة . وإلا كيف تنصح حال من تجهله كيف سوف تقبل رسائل النصيحة على واقع لم تعرفه وحال لم تدرسه ومشاعر لم تدركها وبيئة لم تحط بها ؟ بل إن الله ما بعث الأنبياء إلا من بيئة قومه، يحمل لهم بلسانهم نصائح في الإيمان والدعوة إلى الله ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (3)

فالشاهد أن حالة البيئة ومعرفة مع من تتحدث هي من آداب النصيحة فليس من أدب النصيحة أن تأتي إلى إنسان يشعر بمكانته وكرامته ومنزلته ، فتتهين كرامته وتحط من قدره بقصد النصيحة والمناسبة . . هذا لا يليق في النصيحة ولا بالناصح ، بل أعطه مكانته، أنزله منزلته ، خاطبه بألفاظ الوقار وألفاظ التبجيل ، والتوشيح . وهذا هو نهج النبي صلى الله عليه وسلم في نصحه لقومه

(1) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب الطواف بالحجر ، برقم: 2955 ، ج: 2 ص: 985 .

(2) شرح سنن ابن ماجه/ السيوطي ، عبد الغني ، فخر الحسن الدهلوي / ج: 1 ص: 212

(3) سورة إبراهيم - الآية 4

يأتي إليه الرجل كما في حديث موسى بن أنس⁽¹⁾ عن أبيه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة⁽²⁾.

وكما في حديث ابن شهاب⁽³⁾ قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه و المسلمين وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة. قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب⁽⁴⁾ أن صفوان قال: "والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي" ⁽⁵⁾ الشاهد انه لا بد أن نقدم خدمات للناس حتى نرقق القلوب ونجمع الشمل بالنصح .

كما أن هناك بعض الناس يسيء إلى الدعوة من حيث لا يشعر، ويخل بأدب النصيحة وهو لا يعلم، فمثل هذه الأعمال تحبط عزيمة المنصوح ،وتجعله لا يستجيب ، وتخلق في قلبه تردداً وفي فكره حدة ،ومثل هؤلاء المخلين بأدب النصيحة حكموا على غيرهم بالهلاك والدمار والنار، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ويقدمون نصحاً ، بينما الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الناصحين كان يتلطف بالمنصوح أياماً لمعرفة بحاله ووضع، كما جاء عن عروة بن الزبير قال خرج صفوان بن أمية⁽⁶⁾ يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب⁽¹⁾: "

(1) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري قاضي البصرة ثقة من الرابعة مات بعد أخيه النضر ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 549

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ، برقم " 2312 " ، ج: 4 ص: 1806 .

(3) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالاته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 506

(4) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل وقال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 241

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ، برقم " 2313 " ، ج: 4 ص: 1806 .

(6) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشي الجمحي المكي صحابي من المؤلفات مات أيام قتل عثمان وقيل سنة إحدى أو اثنتين وأربعين في أوائل خلافة معاوية ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1

- ص 276

يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه صلى الله عليك" قال: "هو آمن" قال: "يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك" فأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله قد جئت بك به قال: "ويلك اغرب عني فلا تكلمني" قال: "أي صفوان فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك" قال: "إني أخافه على نفسي" قال: "هو أحلم من ذلك وأكرم" فرجع به معه حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "صفوان إن هذا زعم أنك قد أمنتني" قال: "صدق" قال: "فاجعني في أمري بالخيار شهرين" قال: "أنت فيه بالخيار أربعة أشهر" (2).

المطلب الثالث : آداب المنصوح مع الناصح .

كما أن للناصح آداب، فان للمنصوح آداب يجب عليه أن يتخلق بها أثناء سماع النصيحة وبعد سماعها ومن هذه الآداب

أولاً - طلب النصيحة والبحث عن الناصح .

من الأمور المهمة للمنصوح أن يبحث عن الناصح، ويطلب النصيحة ويسعى من أجل الحصول عليها، ويدل عليها حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله ؟ قال :: " إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه" (3) . وعند الإمام احمد من حديث حكيم بن أبي زيد عن أبيه قال حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه (4).

(1) عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي يكنى أبا أمية ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 4 - ص 726

(2) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون / علي بن برهان الدين الحلبي (975 - 1044 هـ . ت) / ج : 3 ص : 42-43 / أجزاء / دار المعرفة - بيروت 1400 هـ . ، تاريخ الأمم والملوك / محمد بن جرير الطبري أبو جعفر / ج : 2 ص : 162 / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1407

(3) الحديث صحيح : سبق تخريجه ينظر ص 66 .

(4) الحديث حسن : قال ابن حجر : رواه الحاكم في كتابه إلا أنه قال عن أبيه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره وهو حديث ضعيف لأن جرير بن عبد الحميد هذا روى عن عطاء بعد اختلاطه وصح في حديث جرير ما يؤيده وهو بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على النصح لكل مسلم ومن حديث

قال الإمام النووي رحمه الله: (فمعناه إذا طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه ولا تداهنه ولا تغشه ولا تمسك عن بيان النصيحة)⁽¹⁾ فمن واجب المسلم على أخيه أن يصل أخاه بالنصيحة عند طلبه للنصيحة قال: عن عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه⁽²⁾ فمن صفات المؤمن أنه يطلب النصيحة من الآخرين، وهذا من أول واجبات المنصوح أنه يبحث عن الناصح الأمين، ويطلب منه النصيحة، ولا ينتظر حتى يأتيه الناس وينصحونه، ولو أن كل شخص فينا طلب النصيحة من الآخرين فإن الأخطاء تقل إلى درجات متدنية جداً.

بل أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نبحث عن الناصح حتى في الأشياء التي قد تبدو ليست ذات أهمية .

ومنها ما يراه الإنسان في منامه كما في حديث وكيع بن عدس⁽³⁾ عن عمه أبي رزين⁽⁴⁾ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها فإذا حدث بها وقعت ولا تحدثوا بها إلا عالماً أو ناصحاً أو ليبياً والرؤيا الصالحة جزء من أربعين جزءاً من النبوة⁽⁵⁾

آخر مثله ذكرته في كتاب السير، والحديث جاء بروايات عدة، وذكره البخاري تعليقا بصيغة جزم ببيان رواية ينظر: صحيح البخاري كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد برقم: 68، ج: 2 ص: 757، سنن البيهقي الكبرى، كتاب البيوع، باب الرخصة في معونته ونصيحته إذا استنصحه برقم: 95، ج: 5 ص: 347.

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 14 ص: 143

(2) المتحابين في الله / ابن قدامة المقدسي / ج: 1 ص: 81 / دار الطباع - دمشق الطبعة الأولى، 1411 - 1991

(3) وكيع بن عدس بمهمات وضم أوله وثانيه وقد يفتح ثانيه ويقال بالحاء بدل العين أبو مصعب العقيلي بالفتح الطانفي مقبول من الرابعة، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج: 1 - ص 581

(4) لقيط بن عامر بن المنفق بن عامر العامري أبو رزين العقيلي وافد بني المنفق روى عنه ابن أخيه وكيع بن عدس وعبد الله بن حاجب وعمرو بن أوس الثقفي، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج: 5 - ص 686

(5) الحديث صحيح: سنن أبي داود برقم: 5020، ج: 4 ص: 305، سنن الترمذي ج: 4 ص: 536 باب ما جاء في تعبير الرؤيا برقم: 2278 "وقال هذا حديث حسن صحيح وأبو رزين العقيلي اسمه لقيط بن عامر وروى حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء فقال عن وكيع بن حدس وقال شعبة وأبو عوانة وهشيم عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس وهذا أصح، سنن ابن ماجه باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد برقم: 3914 ج: 2 ص: 1288، المستدرک على الصحيحين كتاب تعبير الرؤيا برقم 8174 ج: 4 ص: 432، قال ابن حجر: وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين، ينظر فتح الباري ج: 12 ص: 432.

قال ابن حجر (رحمه الله) : (في هذا الحديث فوائد منها يجب أن لا يعرض رؤياه إلا على ناصح حتى لا يؤول له الرؤيا بتأويل سيئ فتقع كما أخبر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الرؤيا على رجل طائر تقع على ما تعبر به) فإن عبرها بسوء وقعت كما أخبر، وإن عبرها بشيء حسن وقعت كما يقول، هذه من العجائب التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم. قال القاضي أبو بكر بن العربي⁽¹⁾: (أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت وأما الحبيب فان عرف خيرا قاله وإن جهل أو شك سكت قلت والأولى الجمع بين الروایتين فان اللبيب عبر به عن العالم والحبيب عبر به من الناصح)⁽²⁾

ثانيا - تقبل النصيحة .

تقبل النصيحة من الأمور المهمة، بل هو عماد القضية كلها وأساسها. ويلاحظ أن بعض الناس من المنصوحين يتقبلون النصيحة بالقول فقط ، لكنهم عملياً لا يطبقونها، بينما الواجب أن يتقبل النصيحة بصدر رحب: وذلك دون ضجر أو ضيق أو تكبر، كما أن المنصوح إذا قبل النصيحة فإنه سيكون له في نفس ناصحه مكانة عظيمة، يقول الشافعي رحمه الله: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته -خفت منه وعظم في عيني- واعتقدت مودته ولا كابرنى أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته⁽³⁾ ومن الأمثلة على تقبل المنصوح لنصيحة الناصح :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)⁽⁴⁾

فقبل أبو ذر رضي الله عنه نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم له باجتناب الولايات لضعفه عن القيام بواجباتها قال الإمام النووي (رحمه الله) : (هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية ، وأما الخزي والندامة فهو

(1) ابن العربي العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، تذكرة الحفاظ /الذهبي / ج 4 - ص 1294

(2) فتح الباري /لابن حجر / ج: 12 ص: 369

(3) حلية الأولياء /لأبي نعيم / ج 9 ص: 117

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب كراهية الإمارة والحرص عليها ، برقم " 1825 " ، ج: 3 - ص: 1457

في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها ، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط ، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم⁽¹⁾.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان ؟ يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت فغضب عمر ثم قال إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قريك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً فيعي أهل العلم مقالاتك ويضعونها على مواضعها . فقال عمر والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أو ل مقام أقومه بالمدينة . قال ابن عباس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتى ركبتيه فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف فأنكر علي وقال ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله فجلس عمر على المنبر فلما سكنت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي....⁽²⁾ الحديث

فيلاحظ أن عمر رضي الله عنه اخذ بنصيحة عبد الرحمن بن عوف وانتظر حتى قدم المدينة فتكلم، فكان لكلامه وقع طيب وأثر كبير على الناس وارى بعد هذا أن في هذه الأحاديث مسائل :

(1) شرح النووي على مسلم / ج 12 - ص 210

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ،

باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، برقم " 6442 " ، ج: 6 ص: 2503

أ-أن الناصح لا يستهين أن ينصح من هو أعلى منه، ولا يستهين المنصوح الكبير أن يطلب النصيحة ممن هو أدنى منه، فرب طالب علم أسدى لعالم نصيحة غالية، ورب مربٍ تلقى نصيحة ممن يربيه وهكذا .

ب-إن بعض أذهان الناصحين قد تنقذ على معان وأمور لا تخطر ببال المنصوح أبداً، حتى ولو كان أعلى قدراً وأجل وأعلم، فلذلك لا يحمل المنصوح الأعلى منزلة ومرتبة أن يطلب النصيحة ممن هو أدنى منه.

ثالثاً: الإحسان إلى الناصح المخلص ، وإكرامه .

ومعنى ذلك أن يحسن المنصوح إلى من أسدى له نصحا وقدم له خير ودفع عنه شراً ، فمن عرف منه انه أراد بنصحه الخير والإخلاص، فانه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم ، ومن عرف منه انه أراد بنصحه التنقيص والذم وإظهار العيوب، فانه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو وأمثاله عن مثل هذه الرذائل المحرمة ، بل إن من صنع للناس معروفاً وأسدى لهم نصحا عليهم أن يحسنوا إليه ويكرموا ويكافئوه فان لم يجدوا مايكافئوه به فما عليهم إلا الدعاء له كما ثبت ذلك من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن أتى عليكم معروف فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه⁽¹⁾

رابعاً - الصبر على أذى الناصح .

من آداب المنصوح الصبر على من يسيء له بالقول أو الفعل بقصد النصح أو غيره ،فليس اشد على نفس المنصوح المخلص في دعوته ، البريء من الهوى ، المحب لخير الناس ،أن يتهمه الناصح بما ليس فيه ،فيحاور الناصح بالحكمة فيرده بالقوة ،ويعظه بالحسنى ،فينصحه بالسوئى، ويجادله بالتي هي أحسن فيقابله بالتي هي اخشن، ويدله على الخير فيقذفه بالشر فما على المنصوح إلا أن يصبر على أذى الناصح وشدته . ومن الأمثلة على ذلك .

(1) الحديث أخرجه أصحاب السنن . سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل بالله برقم : 1672 ج: 2 ص: 128 ، السنن الكبرى ، كتاب الزكاة ، من سأل بالله عز وجل برقم: 2348 ، ج: 2 ص: 43 ، سنن النسائي - المجتبى كتاب الزكاة ، من سأل بالله عز وجل برقم: 2567 ج: 5 ص: 82 ، سبل السلام ج: 4 ص: 170 ، مجمع الزوائد ج: 10 ص: 142 .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً فقال رجل: "إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله" فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: "يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر" (1). وذكر ابن حجر في هذا الحديث فوائد (2):

أ- في هذا الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم ليحذروا القائل

ب- وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة، لأن صورتها موجودة في صنيع ابن مسعود هذا، ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن قصد ابن مسعود كان نصيح النبي صلى الله عليه وسلم وأعلامه بمن يطعن فيه .

ت- وفيه ضرورة معرفة ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق ليحذر منه، وهذا جائز كما يجوز التجسس على الكفار ليؤمن من كيدهم، وقد ارتكب الرجل المذكور بما قال إثماً عظيماً فلم يكن له حرمة

ث- وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم اقتداءً بموسى عليه السلام وأشار بقوله قد أودى موسى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (3)

خامساً : الاعتراف بالخطأ .

البشر هم البشر ، لا عصمة لأحدٍ منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم خطاء ، و خير الخطائين التوابون . و قد نُدبنا إلى الرجوع عن الخطأ ، و التوبة ، و لا فرق في ذلك بين عامي و عالم ، أو أمير و مأمور ، أو كبير و صغير . و حريٌّ بالمنصوح إذا نصح وبأن له وجه الحق أن يرجع إليه، ولا يصر على خطئه ولا يتمسك برأيه حتى ينجو بنفسه .

وهذا هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم الذي ما ترك خيراً إلا و أرشدنا إليه ، و لا شراً إلا أخذ بحُجْرنا فصرفنا عنه ، و حذّرنا منه ، و قد كان مدرسةً في إتباع الحقّ و الرجوع عمّا

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب حديث

الخصر مع موسى عليهما السلام ، برقم " 3224 " ج 3 - ص 1249

(2) فتح الباري - لابن حجر / ج: 10 - ص: 512

(3) سورة الأحزاب - الآية: 69

يخالفه . كما ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة أسرى بدر قال : لما أسروا الأسارى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : (ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟) فقال أبو بكر : " يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ترى يا ابن الخطاب ؟) قلت : " لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها " فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يكيان قلت : " يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) (شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (*) (1)

فلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلم الأمة أدباً رفيعاً من آداب الدعاة ، في الرجوع إلى الحق ، و التمسك به .

و هكذا كان أصحابه رضوان الله عليهم من بعده ، يتلمسون سبل الهدى ، و ينصاعون إلى الحق ، و يعرضون عما يخالفه ، و لا يجد الواحد منهم غصاصة في الرجوع عن رأيه ، و قبول الحق ممن جاء به ، كائناً من كان . ومن الأمثلة على ذلك .

عن أبي العوام البصري⁽²⁾ قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق لأن الحق قديم لا يبطل الحق شيء ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل (3)

* سورة الأنفال-الآية : 67

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، برقم " 1763 " / ج 3 ص : 1383

(2) عبد العزيز بن الربيع بالتشديد الباهلي أبو العوام البصري ثقة من السابعة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 357

(3) كنز العمال / علي بن حسام الدين المتقي الهندي / ج 5 - ص 975

قال السرخسي رحمه الله معقباً : (وفيه دليل أنه إذا تبين للقاضي الخطأ في قضائه، بأن خالف قضاؤه النص أو الإجماع فعليه أن ينقضه، ولا ينبغي أن يمنعه الاستحياء من الناس من ذلك فإن مراقبة الله تعالى في ذلك خير له، وإلى ذلك أشار عمر - رضي الله عنه - حين ابتلي بالحديث في الصلاة، إلى أن قال : " كدت أن أمضي في صلاتي استحياء منكم ثم قلت لأن أراقب الله تعالى خير من أن أراقبكم، فمن ابتلي بشيء من ذلك فليراقب الله تعالى"، وهذا ليس في القاضي خاصة بل هو في كل من يبين لغيره شيئاً من أمور الدين، الواعظ والمفتي والقاضي في ذلك سواء إذا تبين له أنه زل فليظهر رجوعه عن ذلك، فزلة العالم سبب لفتنة الناس، كما قيل : إن زل العالم زل بزلته العالم، ولكن هذا في حق القاضي أوجب، لأن القضاء مُلزم وقوله الحق قديم، يعني هو الأصل المطلوب ولأنه لا تنكتم زلة من زل بل تظهر لا محالة، فإذا كان هو الذي يظهرها على نفسه كان أحسن حالا عند العقلاء من أن تظهر ذلك عليه مع إصراره على الباطل⁽¹⁾

فأرى بعد هذا أن إصرار المنصوح على خطئه بعد قيام الحجة عليه بالنصح، ووضوح الدليل بين يديه، ما هو إلا ضرب من ضروب المكابرة، لا يصير إليها إلا مخذول أخذته العزة بالاثم، فآثر العاجل على الآجل كما قال الله عز وجل عن هذا الصنف من الناس في كتابه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾⁽²⁾ ومن النماذج في الاعتراف بالخطأ والخروج منه عند الصحابة .

ما جاء في الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أما صاحبكم فقد غامر) ، فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال (يغفر الله لك يا أبا بكر) . ثلاثاً ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثم أبو بكر فقالوا لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال :يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله

(1) المبسوط / للسرخسي / ج 6 - ص 363 ، دار المعرفة - بيروت

(2) سورة البقرة - الآية 206

بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي
(. مرتين فما أؤذي بعدها.)⁽¹⁾

فيلاحظ من هذا الحديث أن أبا بكر رضي الله عنه، كان سريعاً إلى الرجوع إلى الحق
والاعتراف به. وقد ذكر العيني رحمه الله في هذا الحديث فوائد⁽²⁾ :
أ- الدلالة على فضل أبي بكر على جميع الصحابة وليس ينبغي للفاضل أن يغضب من هو أفضل
منه .

ب- وجواز مدح الرجل في وجهه ومحلله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار .
ت- وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية ، حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى ، لكن
الفاضل في الدين يسرع بالرجوع إلى الأول لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾⁽³⁾ .
ث- وفيه أن غير النبي ولو بلغ في الفضل الغاية فليس بمعصوم، وفيه استحباب سؤال الاستغفار
والتحلل من المظلوم.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نهى عن المغالاة في المهور فقالت امرأة : ليس ذلك
إليك يا عمر إن الله يقول : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً
مُّبِيناً ﴾⁽⁴⁾ فقال رضي الله عنه: امرأة خاصمت عمر فخصمته.⁽⁵⁾
فيلاحظ أن عمر رضي الله عنه قبل النصح من امرأة ، وتراجع عن رأيه في مسألة المهور .

سادسا : الدعاء للناصح في ظهر الغيب.

كذلك من آداب المنصوح: أن يدعو للناصح في ظهر الغيب، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾⁽⁶⁾ فالناصح أحسن إلى المنصوح بالنصيحة فعلى المنصوح أن يقابل هذا
الإحسان بإحسان مثله فيحسن إليه بالدعاء له ، كما ثبت من حديث أم الدرداء رضي الله عنها

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذاً خليلاً ، برقم " 3461 " ، ج 3 ص 1339

(2) عمدة القاري / بدر الدين العيني / ج 16 - ص 180 ، 181

(3) سورة الأعراف - الآية 201

(4) سورة النساء الآية: 20

(5) سبل السلام / للصنعاني / ج 1 - ص 152

(6) سورة الرحمن-الآية 60

قالت حدثني سيدي⁽¹⁾ : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به أمين ولك بمثل " .⁽²⁾

فمن آداب المنصوح أن يدعو للناصح بظهر الغيب وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص قال الإمام النووي : (وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا ، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها)⁽³⁾

المبحث السادس

النصيحة والأحاديث المقاربة لها .

هناك كثير من الأحاديث النبوية التي تعطي لنا معنى النصيحة وتقرب لنا مفهوم النصح
نقتصر على ذكر بعضها إشارة منا إلى علاقة هذه الأحاديث بالنصيحة ، ومن هذه الأحاديث :
الحديث الأول :

- (1) تعني بسيدي زوجها أبا الدرداء ، ينظر صحيح مسلم / ج: 4 ص: 2094
- (2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، برقم " 2732 " ج: 4 ص: 2094
- (3) شرح النووي على مسلم / للإمام النووي / ج17 ص 49

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام البخاري . (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

أ- نصره المظلوم حق واجب على المسلم تجاه أخيه وهو فرض على من قدر عليه ويطاع أمره (2)

ب- قال العلاني⁽³⁾: (هذا من بليغ الكلام الذي لم ينسج على منواله .. وسمي رد الظالم نصراً ، لأن النصر هو العون ومنع الظالم عون له على مصلحته ، والظالم مقهور مع نفسه الأمانة ، وهي في تلك الحالة عاتية عليه ، فردّه عون له على قهرها ونصرة له عليها) (4)

المعنى الإجمالي للحديث .

جعل الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه الأمة بكاملها في هذا الحديث مسؤولة عن نصره المظلوم بمختلف الأساليب ، كُلاً في نطاق قدرته وحدود نفوذه واستطاعته ، والأساس الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم لنصرة المظلوم لا يسمح لأحد قادر على نصره المظلوم من التنصل من واجب النصر ، والنصرة هنا الإعانة ، فإذا كان مظلوماً ينصره ويقف معه ويعينه ، وإذا كان ظالماً يمنعه من الوقوع في الظلم ، هذه هي النصر كما فسرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حجر (رحمه الله) : (أن أول من قال انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم وأراد بذلك ظاهره وهو ما اعتادوه من حماية الجاهلية ، لا على ما فسرّه النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول شاعرهم :

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم القوم لم أنصر أخي حين يظلم (1)

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، صحيح البخاري ، كتاب الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه ، برقم " 6552 " ، ج: 6 ص: 2550

(2) عمدة القاري / للنعيني ج/ 8 - ص 10

(3) خليل بن كيكلي الشّيخ صلاح الدين العلاني الشافعي ، الحافظ المفيد أبو سعيد ولد في سنة أربع وتسعين وستمائة وجد في طلب الحديث كان حافظاً ثقة عارفاً فقيهاً متكلماً لم يخلف بعده في الحديث مثله ومن تصانيفه كتاب حسن في المرسل وقد فسر آيات متفرقة وجمع مجاميع مفيدة توفي بالقدس في شهر المحرم سنة إحدى وستين وسبعمائة وقيل وثمانمائة ، طبقات المفسرين / الأندروي ج/ 1 - ص 288

(4) فيض القدير / للنناوي ج 5 ص 398

على

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد صحح هذا المفهوم الخاطئ في مشاعر الناس وتصوراتهم .

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ - منها أن في هذا الحديث دلالة أن من كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصرة قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يتول إليه، وهو من وجيز البلاغة، قال البيهقي: معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حساً⁽²⁾.

ب - منها (أن نصر المظلوم هو فرض كفاية، وهو عام في المظلومين وكذلك في الناصرين، على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع، وهو الراجح ويتعين أحياناً على من له القدرة عليه وحده، إذا لم يترتب على إنكاره مفسدة أشد من مفسدة المنكر، فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يفيد سقط الوجوب -العيني- وبقي أصل الاستحباب -الكفائي- بالشرط المذكور، فلو تساوت المفسدتان تخير، وشرط الناصر أن يكون عالماً بكون الفعل ظلماً، ويقع النصر مع وقوع الظلم وهو حينئذ حقيقة، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنساناً من يد إنسان طالبه بمال ظلماً وهدده أن لم يبذله، وقد يقع بعد وهو كثير)⁽³⁾

ت - منها إن المؤمنين يتعاونون على ردع الظالم ودفع الفتان، ولأنه لولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم سدى، وبهذا المعنى أشار صاحب المغني .⁽⁴⁾

ث - أن النبي صلى الله عليه وسلم اخذ علينا العهد العام بنصر المظلوم، ونرغب جميع إخواننا في ذلك حسب القدرة ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة عظيمة، بحيث يمهد لكل من الخصمين بساطاً حتى يبادر كل منهما إلى العمل بإشارته لا سيما أرباب الجدل والنفوس الأبية، فإن أحدهم يكون ظالماً ويطلب من الناس أن يعينوه في الظلم، وكل من خالفه سلقه بلسان حديد وآذاه كل الأذى، وهذا هو الغالب على الناس اليوم، ولذلك ترك بعضهم التخليص بين الناس لا سيما بين جند السلطان وأولاد العرب، وصار الخصمان يتضاربان بالعصا والسلاح ولا يتجرأ أحد يدخل بينهما بل صار بعض الحكام يخاصمون من أصلح بين الأخصام، كل ذلك

(1) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 5 ص: 98

(2) المصدر نفسه / ج: 5 ص: 98

(3) المصدر نفسه / ج: 5 ص: 99

(4) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (541-

620 هـ.ت) / ج: 9 ص: 153 / دار الفكر - الطبعة الأولى / بيروت 1405

لعدم استحقاق الرعية للرفق بهم، فإن أردت يا أخي العمل بهذا العهد فتعلم طرق السياسة أولاً ثم انصر المظلوم وإلا تحول الأمر الذي كان فيه المظلوم إليك واحتجت إلى من ينصرك. ⁽¹⁾

ج- دخول هذا الحديث في باب النصيحة، لأن من النصيح لأخيك أن تمنعه وتحجزه عن الظلم وهذا من أعظم النصح .

الحديث الثاني :

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "دعه فإن الحياء من الإيمان" .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم ⁽²⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

أن هذا الحديث مطابق لما ترجم له البخاري فقال : (باب الحياء من الإيمان) قال العيني رحمه الله (الحديث مطابق للترجمة لأنه أخذ جزءاً منه فبوب عليه كما هو عادته) ⁽³⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

أن الحياء يمنع من كثير من الفحش والفواحش، ويشتمل على كثير من أعمال البر وبهذا صار جزءاً وشعبة من الإيمان، لأنه وإن كان غريزة مركبة في المرء، فإن المستحي يندفع بالحياء عن كثير من المعاصي، كما يندفع بالإيمان عنها إذا عصمه الله، فكأنه شعبة منه لأنه يعمل عمله، فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملاً واحداً، جعلنا كالشيء الواحد وإن كان الإيمان اكتساباً والحياء غريزة والإيمان شعب كثيرة . ⁽⁴⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- أن الحياء من أصول الأخلاق الكريمة، وهو من شعب الإيمان ومن قضايا النبوة المجمع عليها ، والحياء عند الأمام الجنيد (رحمه الله) (رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما

(1) العهود المحمدية / عبد الوهاب الشعراني ، ضبطه محمد عبد السلام إبراهيم ، ج 1 - ص 175 ، دار

الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، 1998

(2) متفق عليه ، سبق تخريجه ، ينظر ص 102 .

(3) عمدة القاري / للعلامة بدر الدين العيني / ج 1 ص 175

(4) التمهيد / لابن عبد البر / ج 9 - ص 234

حالة تسمى الحياء). (1)

ب- جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان، لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثاً على أفعال البر ومانعاً من المعاصي وهذا ما قاله القاضي عياض وغيره من الشراح . (2)

ت- أن المراد بقوله يعظ أخاه على قولين :

إما انه ينصح أو يخوف أو يذكر أخاه وكذا شرحوه وهو ما يراه الباحث، وأما أن يكون جمع له العتاب والوعظ كما جاء بلفظ من طريق آخر، يعاتب أخاه في الحياء يقول انك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضربك .. (3)

ث- أن الرجل كان كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه فعاتبه ليتحقق من ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعه أي اتركه على هذا الخلق السني، ثم زاده في ذلك ترغيباً لحكمه بأنه من الإيمان، وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق، لا سيما إذا كان المتروك له مستحقاً والظاهر أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان فلماذا وقع التأكيد. (4)

ج- أن الحياء من الإيمان لذا كان من لا يستحي ركباً الفواحش مرتكباً للقبیح لا يحجزه عن ذلك حياء ولا دين، كما قال في النبوة الأولى مكتوب " إذا لم تستحي فاصنع ما شئت " (5) بل علامة الهلاك للعبد نزع الحياء. (6)

ح- قال العيني (رحمه الله) : (فوائده الحض على الامتناع عن قبائح الأمور ورذائلها وكل ما يستحي من فعله، والدلالة على أن النصيحة إنما تعد نصيحة إذا وقعت موقعها، والتنبيه على زجر مثل هذا الناصح.) (7)

(1) شرح النووي على صحيح مسلم / ج: 2 ص: 5

(2) المصدر نفسه / ج: 2 ص: 5

(3) ينظر فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / ج: 1 ص: 74

(4) المصدر نفسه / ج: 1 ص: 74

(5) صح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت " ، صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، برقم 5769 ، ج 5 - ص 2268 .

(6) تفسير القرطبي / ج: 4 ص: 117 - 118

(7) عمدة القاري / للعيني / ج 1 - ص 177

الحديث الثالث :

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

تخريج الحديث :

الحديث أخرجه البخاري ومسلم. (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

- أ- لأهمية هذا الحديث ومكانته ترجم له البخاري (رحمه الله) فقال : (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) قال العيني (رحمه الله) : (مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لا تخفى). (2)
- ب- وقال أبو داود (رحمه الله) أن الإسلام يدور على أربعة أحاديث منها حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (3) وقال أنها من الأحاديث التي تكفي الإنسان لدينه . (4)
- ت- وقال بعض العلماء : في هذا الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من حيث إنهما نفس واحدة. (5)
- ث- قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد (6) إمام المالكية بالمغرب في زمنه : جميع آداب الخير تنفرع من أربعة أحاديث ، وذكر منها : حديث : لا يؤمن أحدكم . (7)

المعنى الإجمالي للحديث :

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن محبة الخير للناس واجبة ، وبخاصة محبة المسلمين ، وأن وجوبها ليس منة وتفضلاً منه ولا امرأ مندوباً فيه فحسب ، وإنما هي من لوازم كمال الإيمان ،

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، برقم " 13 " ، ج : 1 ص : 14 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، برقم " 45 " ج 1 - ص 67

(2) عمدة القاري / للعيني / ج 1 - ص 139

(3) المصدر نفسه / ج 1 ص 299

(4) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 - ص 10

(5) شرح الأربعين نووية / لابن دقيق العيد / ج 1 ص 44

(6) ابن أبي زيد المالكي : هو أبو عبد الله محمد بن أبي زيد ، الوافي في الوفيات / الصفي / ج 1 - ص

2014

(7) شرح الأربعين النووية بثوب جديد / لعبد الوهاب رشيد أبو صفية / ص 178

والإسلام . قال ابن رجب : والمقصود أن من جملة خصال الإيمان الواجبة ، أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، فإذا زال ذلك عنه فقد نقص إيمانه .⁽¹⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ- يلاحظ أن الألفاظ النبوية إذا وردت بلفظ : (لا يؤمن) في الفرائض ، فإن من لم يأت بها كان كافراً ، وأما في الآداب والنوافل فيكون مسلماً ناقص الإيمان ، قال ابن رجب (رحمه الله) : فالمراد بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته ، فإن الإيمان كثيراً ما ينفي لانتفاء بعض أركانه وواجباته ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "⁽²⁾ وقوله : " لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه " ⁽³⁾ .

ب- قال ابن رجب (رحمه الله) : ومن أعظم الخير : أن تحب له أن يستقيم وإن يهتدي وإن يصلي وإن يتفقه في الدين ، وتكره له ما تكره لنفسك ، فإذا زال ذلك عنك فقد نقص إيمانك ، وإن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي على سياقه تدخل في جملة النصيحة العامة للمسلمين التي هي من جملة الدين .⁽⁴⁾

ت- ينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فإن رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه ، قال بعض الصالحين من السلف : " أهل المحبة لله نظروا بنور الله ، وعطفوا على أهل معاصي الله ، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم ، وأشفقوا على أبدانهم من النار ، ولا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه ، وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها ، فإن كانت تلك الفضيلة دينية كان حسناً ، وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ،

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 - ص 121

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه ، برقم " 2343 " ، ج 2 ، ص 875 ، وينظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، برقم " 57 " ، ج 1 ص 76 .

* الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، برقم " 5670 " ج 5 ، ص 2240 .

(3) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 : ص 120

(4) المصدر نفسه / ج 1 : ص 121

ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه آتاء الليل وآتاء النهار " (1) وقال في من ينفق ماله في طاعة الله فقال: لو أن لي مالاً لفعلت فيه كما فعل هذا فهما في الأجر سواء وإن كانت دنيويه فلا خير في تمنيه. (2)

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه .

تخريج الحديث :

الحديث أخرجه أبو داود والبيهقي في سننه. (3)

أهمية الحديث وأحكامه .

تتضح لنا أهمية الحديث ومكانته من عمق معانيه وصياغة لفظه ، فالشخص يرى ما أمامه في الآخرين ، سواء كان قريباً أو بعيداً ، لكنه لا يرى نفسه إلا بمرآة حقيقية ، ولذلك انظر إلى بلاغة الوصف النبوي عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن مرآة أخيه) لماذا كان مرآة ؟ لأنه يعكس له صورته وعيوبه ومحاسنه بالنصائح .

المعنى الإجمالي للحديث :

قال العامري (4) : معناه كن لأخيك كالمرآة تريه محاسن أحواله وتبعثه على الشكر ، وتمنعه من الكبر وتريه قبائح أموره بليين في خفية ، تنصحه ولا تفضحه ، هذا في العامة ، أما الخواص فمن اجتمع فيه خلائق الإيمان وتكاملت عنده آداب الإسلام ، ثم تجوهر باطنه عن أخلاق

(1) متفق عليه سبق تخريجه ينظر : ص 150

(2) جامع العلوم والحكم / ج: 1 ص: 122

(3) الحديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط بسندين في أحدهما داود بن المحبر وفي الآخر أيوب بن حوط وكلاهما ضعيف جدا . قال المنذري في إسناده كثير بن زيد أبو محمد المدني مولى الأسلميين . قال ابن معين ليس بذلك القوي يكتب حديثه وقال النسائي ضعيف أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه أخرجه أبو داود والبيهقي في سننه . ينظر : سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب في النصيحة والحيطة برقم: 4918 ، ج: 4 ص: 280 ، سنن البيهقي الكبرى ، كتاب قتال اهل البغي ، باب ما في الشفاعة برقم "16458" ج: 8 ص: 167 عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ج 13 - ص 178 دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، 1415 مجمع الزوائد ، ج 10 - ص 432 .

(4) جمال الإسلام أبو بكر محمد العامري الواعظ البغدادي صاحب شرح الشهاب ، ينظر فيض القدير / المناوي / ج 6 - ص 261

النفس ،ترقى قلبه إلى ذروة الإحسان ،فيصير لصفائه كالمرآة إذا نظر إليه المؤمنون رأوا قبائح أحوالهم في صفاء حاله وسوء آدابهم في حسن شمائله. (1)

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ- أن هذا الحديث يدخل في مفهوم النصيحة وقد ترجمه الإمام أبو داود في سننه لهذا الباب بقوله (باب في النصيحة والحيطة) ثم ساق هذا الحديث .(2)

ب- قال الإمام الصنعاني رحمه الله : (أن المؤمن لأخيه المؤمن كالمرآة التي ينظر فيها وجهه ، فالمؤمن يطلع أخاه على ما فيه من عيب ، وينبهه على إصلاحه ويرشده إلى ما يزينه عند مولاه تعالى ، وإلى ما يزينه عند عباده وهذا داخل في النصيحة .)(3)

ت- فالمؤمن آلة لإراءة محاسن أخيه ومعانيه لكن فيما بينهما ، فإن النصيحة في الملام فضيحة وأيضا هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه ، كما يرتسم في المرآة ما هو مختف عن صاحبه فيراه فيها ، أي إنما يعلم الشخص عيب نفسه بإعلام أخيه ، كما يعلم خلل وجهه بالنظر في المرآة (فإن رأى) أي أحذكم (به) أي بأخيه (أذى) : أي عيباً مما يؤذيه أو يؤذي غيره ، (فليمطه) من الإمطة والمعنى فليزل ذلك (الأذى عنه) : أي عن أخيه ، إما بإعلامه حتى يتركه أو بالدعاء له حتى يرفع عنه. (4)

ث- قال المناوي (رحمه الله) : فأنت مرآة لأخيك يبصر حاله فيك وهو مرآة لك تبصر حالك فيه ، فإن شهدت في أخيك خيراً فهو لك وإن شهدت غيره فهو لك ، وكل إنسان مشهده عائد عليه ، ومن ثم قالوا : من مشهدك يأتيك روح مددك (والمؤمن أخو المؤمن) ، أي بينه وبينه أخوه ثابتة بسبب الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (5) ، (يكف عليه ضيعته) أي يجمع عليه معيشتة ويضمها له وضيعته الرجل ما منه معاشه ، (ويحوطه من ورائه) أي يحفظه ويصونه ويذب عنه ويدفع عنه من يغتابه ، أو يلحق به ضرراً ويعامله بالإحسان بقدر الطاقة والشفقة والنصيحة وغير ذلك ، قال بعض العارفين : كن رداءاً وقميصاً لأخيك المؤمن وحطه من ورائه واحفظه في نفسه وعرضه وأهله

(1) فيض القدير/للمناوي / ج 6 - ص 251

(2) ينظر سنن أبي داود /ج: 4 ص: 280

(3) سبل السلام /للإمام الصنعاني /ج: 4 ص: 211

(4) تحفة الاحوذى / المباركفوري / ج: 6 ص: 47

(5) سورة الحجرات - الآية : 10

فإنك أخوه بالنص القرآني، فاجعله مرآة ترى فيها نفسك، فكما يزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرأة فأزل عنه كل أذى به عن نفسه. (1)

الحديث الخامس :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن .

تخريج الحديث

الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

تتضح أهمية الحديث ومكانته أن الإمام البخاري رحمه الله ترجم له في الأدب المفرد فقال (باب المستشار مؤتمن) (3) بنفس ما جاء في نص الحديث .

المعنى الإجمالي للحديث .

أن من استشاره وطلب رأيه فيما فيه المصلحة (مؤتمن)، اسم مفعول من الأمن أو الأمانة ومعناه أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغي أن يخون المستشار بكتمان مصلحته (4)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث في مناسبة ذكرها البخاري (رحمه الله) في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الهيثم : هل لك خادم ؟ قال: لا قال: فإذا أتانا سبي فأتنا. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : اختر منهما قال يا رسول الله اختر لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المستشار مؤتمن خذ هذا فإني رأيته يصلى واستوص به خيراً" فقالت امرأته ما أنت ببالح ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تعتقه، قال: "فهو عتيق" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله

(1) فيض القدير/عبد الرؤوف المناوي / ج 6 - ص 252

(2) الحديث صحيح : سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب في المشورة برقم: 5128 ج: 4 ص: 333 ، سنن الترمذي ، كتاب الأدب ، باب إن المستشار مؤتمن ، برقم " 2822 " ج 5 - ص 125 قال أبو عيسى هذا حديث حسن ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب باب المستشار مؤتمن برقم: 3745 ج: 2 ص: 1233، سنن البيهقي الكبرى كتاب ادب القاضي ، باب من يشاور ، برقم " 20109 " ج: 10 ص: 112.

(3) ينظر الأدب المفرد / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي /

ج 1 - ص 99 / دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ، 1409 - 1989

(4) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 8 - ص 88

بطانان بطلانه تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً ومن يوق بطلانة السوء فقد وقى .⁽¹⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ- قال المناوي (رحمه الله) : ("المستشار مؤتمن " أي أمين على ما استشير فيه فمن أفضى إلى أخيه بسره وأمنه على نفسه، فقد جعله بمحلها فيجب عليه أن لا يشير عليه إلا بما يراه صواباً ، فإنه كالإمامة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا ثقة ، والسر قد يكون في إذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلا عند موثوق به ، وفيه حث على ما يحصل به معظم الدين ، وهو النصح لله ورسوله وعامة المسلمين ، وبه يحصل التحابب والإئتلاف وبضده يكون التباغض والاختلاف).⁽²⁾

ب- قال العامري : وحقيقة المشورة استخراج صواب رأيه ، واشتقاق الكلمة من قولهم شور العسل استخلصه من موضعه وصفاه من الشمع .⁽³⁾

ت- قال القرطبي (رحمه الله) (قال العلماء : وصفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالماً دينا وقلما يكون ذلك إلا في عاقل ، قال الحسن : ما كمل دين امرئ ما لم يكمل عقله ، فإذا استشير من هذه صفته واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوقع الإشارة خطأ ، فلا غرامة عليه ، قاله الخطابي وغيره وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً وآداً للمستشير وقال والشورى مبنية على اختلاف الآراء ، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب إن أمكنه ، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه ، إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب .⁽⁴⁾

(1) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب الحديث (أي إنما يريد به ضيق المخرج أنه لم يخرج إلا من جهة واحدة ولم يتعدد خروجه من طرق إلا إن [كان] الراوي ثقة فلا يضر ذلك فيستغربه هو لقلة المتابعة ، ينظر النكت على مقدمة ابن الصلاح / بدر الدين أبوعبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر/ تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج / ج 1 - ص 378 / أضواء السلف - الرياض ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ - 1998 م). والحديث أخرجه الترمذي في سننه وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، ينظر : سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برقم : 2369 ج : 4 ص : 583 ، والمستدرک على الصحيحين كتاب الأطعمة ، برقم " 7178 " ج : 4 ص : 145

(2) فيض القدير / المناوي / ج 6 - ص 268

(3) المصدر نفسه .

(4) تفسير القرطبي / ج 4 - ص 240

الفصل الرابع نماذج من النصائح النبوية

ويتضمن التمهيد والمباحث الآتية :

المبحث الأول: نصائح الرسول ﷺ في باب الإيمان.

المبحث الثاني: نصائح الرسول ﷺ في باب العلم.

المبحث الثالث: نصائح الرسول ﷺ في باب العبادات.

المبحث الرابع: نصائح الرسول ﷺ في باب الآداب .

المبحث الخامس: نصائح الرسول ﷺ في باب الأحكام.

المبحث السادس: نصائح الرسول ﷺ في باب البيوع.

المبحث السابع: نصائح الرسول ﷺ في باب الجهاد.

المبحث الثامن: نصائح النبي ﷺ بكتبه للملوك.

المبحث التاسع: نصائح النبي ﷺ في باب الفتن.

تمهيد :

جاءت النصائح النبوية شاملة ومشملة ومتضمنة وضامنة لكل نواحي الحياة ، فهي من نبع الوحي ومن نور السماء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل - الآية : 89)

فمن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته نصائحه الغالية والثرمينية ، فكان لا بد لنا من عرض وبيان موجز لهذه النصائح التي ضمتها السنة النبوية ، فاقترنت في هذا الفصل على ذكر أهمها مرتبة على حسب الأبواب الفقهية ، لكن بصورة جديدة وبإطار جديد لهذه النصائح النبوية .

المبحث الأول

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الإيمان.

يُعَدُّ الإيمان أهم قضية وأجل أمر دعا الحق تعالى إليه عباده من خلال إرسال رسله ، وتنزيل كتبه إلى عباده من خلقه ، فقضية التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة والإيمان بالله وملائكته ورسله

وكتبه واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، هي القول الفصل بين الإيمان والكفر ، لذا جاءت دعوة الأنبياء ونصائح الأولياء لأقوامهم بدعوتهم إلى الإيمان ، وإلى توحيد الله تعالى محبة واعتقاداً ونصحاً ، وإن هذا المبحث سوف يشتمل على مطلبين هما .

المطلب الأول : تعريف الإيمان عند أهل اللغة والاصطلاح .

الإيمان عند أهل اللغة معناه : التصديق ⁽¹⁾ ، قال الفراهيدي : الإيمان : التصديق نفسه وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ ⁽²⁾ أي : بمصدق . ⁽³⁾

أما الإيمان عند أهل العلم فقالوا عنه :

قال صاحب العقيدة الطحاوية : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ⁽⁴⁾

وقال أهل العلم : هو قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة " أن لا إله إلا الله " وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ⁽⁵⁾ .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الإيمان .

الحديث الأول :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال : (يا معاذ) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : (هل تدري ما حق الله على عباده) .

(1) مختار الصحاح / للرازي / ج 1 - ص 20

(2) سورة يوسف - الآية : 17

(3) كتاب العين / الفراهيدي / ج 8 - ص 389

(4) شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الحنفي / ج 1 - ص 362

(5) مؤلفات ابن عبد الوهاب / محمد بن عبد الوهاب / تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ،

د. سيد حجاب / ج 1 - ص 11 / جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض

قلت الله ورسوله أعلم قال: (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) . ثم سار ساعة ثم قال: (يا معاذ ابن جبل) . قلت: لبيك رسول الله وسعديك فقال: (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه) . قلت الله ورسوله أعلم قال: (حق العباد على الله أن لا يعذبهم) .

تخريج الحديث :

الحديث أخرجه البخاري ومسلم . (1)

أهمية الحديث وأحكامه :

تتضح أهمية الحديث ومكانته أن الإمام البخاري " رحمه الله " ترجم له فقال : (باب من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل) (2) قال ابن حجر (رحمه الله) : (يعني بيان فضل من جاهد والمراد بالمجاهدة كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة ، وبهذا تظهر مناسبة الترجمة لحديث الباب) (3) .

المعنى الإجمالي للحديث :

قال القرطبي (رحمه الله) " حق الله على العباد هو ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه ، قوله " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي ، وعطف عليها عدم الشرك ، لأنه تمام التوحيد ، والحكمة في عطفه على العبادة ، أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ، ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشتراط نفي ذلك . (4)

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ - الحق في اللفظ النبوي الكريم (هل تدري ما حق الله على عباده) قال ابن حجر (رحمه الله) : الحق كل موجود متحقق ، أو ما سيوجد لا محالة ، ويقال للكلام الصدق حق ، لأن وقوعه متحقق لا تردد فيه وكذا الحق المستحق على الغير ، إذا كان لا تردد فيه ، والمراد هنا ما يستحقه الله على عباده ، مما جعله مُحْتَمّاً عليهم . (5)

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل ، برقم " 5622 " ، ج 5 ص 2224 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، برقم " 30 " ، صحيح مسلم ، ج 1 - ص 58 .

(2) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب من جاهد نفسه في طاعة الله برقم " 6135 " ج 5 - ص 2383

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 11 - ص 337 - 338

(4) المصدر نفسه ، ج 11 ص 339

(5) فتح الباري / ابن حجر / ج 11 ص 339

ب- قال ابن حجر (رحمه الله) في الحديث فوائد ⁽¹⁾ منها :جواز ركوب اثنين على حمار ،وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل معاذ وحسن أدبه في القول وفي العلم برده لما لم يحط بحقيقته إلى علم الله ورسوله ،وقرب منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم ،وفيه تكرار الكلام لتأكيدہ وتفہیمہ ،واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده، ويبين له ما يشكل عليه منه، وقال ابن رجب في شرحه لأوائل البخاري " قال العلماء : يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلموا ،لأن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها ، وقد سمعها معاذ فلم يزد إلا اجتهداً في العمل وخشية لله عز وجل".

ت- وارى في الحديث مسائل كلها تدخل في النصيحة :

- منها معرفة حق الله علينا ،وهذا من تمام النصح لله .

-ومعرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

- منها أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

- وجواز كتمان العلم للمصلحة.

- واستحباب بشارة المسلم بما يسره.

- والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

- وجواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

ث- أن هذا الحديث جمع بين العمل والاعتقاد، قال العيني رحمه الله : (قوله أن يعبدوه إشارة إلى العمليات، وقوله ولا يشركوا به إلى الاعتقادات لأن التوحيد أصلها .)⁽²⁾

ج- يدخل هذا الحديث في باب النصيحة لان من مقتضيات النصيحة لله توحيده وإفراده بالعبادة ونفي الشرك به، فمن نصح لله في هذا وجبت لله محبته ، كما ورد من حديث عبادة بن الصامت ⁽³⁾ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى : (حققت محبتي على المتحابين فيَّ وحققت محبتي على المتناصحين فيَّ وحققت محبتي على

(1) المصدر نفسه / ج 11 ص 340

(2) عمدة القاري / للعيني/ ج 22 - ص 255

(3) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد المدني أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون وقيل عاش إلى خلافة معاوية قال سعيد بن عفير كان طوله عشرة أشبار ، تقرب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 292

المتزاورين فيَّ وحقت محبتي على المتبازلين فيَّ وهم على منابر من نور يغطهم النيون والصديقون بمكانهم). (1)

ح- من النصح لله توحيده ونفي الإشراك به، وذلك من خلال توحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته .

الحديث الثاني :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري . (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

تتضح أهمية الحديث ومكانته من أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم لتأكيد الكلام فقال (فو الذي نفسي بيده) قال ابن حجر (رحمه الله): (فيه جواز الحلف على الأمر المهم تأكيداً وإن لم يكن هناك مستحلف). (3) ومما يدل على أهميته أن الإمام البخاري (رحمه الله) ترجم له ، فقال (باب حب الرسول من الإيمان) فجاء الحديث مطابقاً للترجمة. (4)

(1) الحديث صحيح : سنن الترمذي برقم " 2390 " ج 4 - ص 597 قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح و أبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب ، صحيح ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب الصحبة والمجالسة برقم: 577 ج: 2 ص: 338 ، المستدرک على الصحيحين كتاب البر والصلة ، برقم "7315" ج: 4 ص: 187، وقال "هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وسكت عنه الذهبي ومصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الجنة ، باب ما ذكر في الجنة برقم: 34100 ج: 7 ص: 45، رواه الترمذي وحسنه وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة رفعه من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً وله شاهد عند البزار من حديث أنس بسند جيد وعند مالك وصححه ابن حبان من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً حقت محبتي للمتزاورين في الحديث وأخرجه أحمد بسند صحيح من حديث عتبان بن مالك وعند الطبراني من حديث صفوان بن عسال رفعه من زار أخاه المؤمن خاض في الرحمة حتى يرجع قوله وزار سلمان أبا الدرداء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأكل عنده هو طرف من حديث لأبي جحيفة تقدم مستوفى مشروحا في كتاب الصيام ، ينظر : ومجمع الزوائد ج: 3 ص: 6 .

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من

الإيمان ، برقم " 14 " ج 1 - ص 14

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 1 ص 58

(4) عمدة القاري / العيني / ج 1 - ص 142

قال أبو الزناد⁽¹⁾ : هذا من جوامع الكلم : لأنه قد جمعت هذه الألفاظ اليسيرة ومعاني كثيرة .⁽²⁾

المعنى الإجمالي للحديث :

قال الخطابي (رحمه الله): أراد به حب الاختيار لا حب الطبع، لأن حب الإنسان نفسه وأهله طبع ولا سبيل إلى قلبه، قال: فمعناه لا يصدق في إيمانه حتى يفني في طاعتي نفسه، ويؤثر رضي على هواه وإن كان فيه هلاكه... وقال ابن بطال: معنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حقه صلى الله عليه وسلم عليه أكد من حق أبيه وابنه... لأنه صلى الله عليه وسلم استتقنا من النار وهدانا من الضلال .⁽³⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث :

أ- المراد بالحديث : بذل النفس دونه صلى الله عليه وسلم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون معه آباءهم وأبناءهم وإخوانهم، وقد قتل أبو عبيدة⁽⁴⁾ أباه لإيذائه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرض أبو بكر رضي الله عنه يوم بدر لولده عبد الرحمن لعله يتمكن منه فيقتله، فمن وجد هذا منه، فقد صح أن هواه تبع لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.⁽⁵⁾

ب- وقال عياض وغيره المحبة ثلاثة أقسام⁽⁶⁾ :

-محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .

- محبة شفقة ورحمة كمحبة الولد .

-محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع صلى الله عليه وسلم أقسام المحبة في محبته .

(1) أبو الزناد اسمه عبد الله بن ذكوان من أهل المدينة كنيته أبو عبد الرحمن مولى رملة بنت شيبه بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان ، الثقات لابن حبان / ج 7 - ص 6

(2) شرح الأربعين نووية / لابن دقيق العيد / ج 1 - ص 107

(3) شرح السيوطي على مسلم / ج 1 - ص 60

(4) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة أسلم قديما وشهد بدرا مشهور مات شهيدا بطاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وله ثمان وخمسون سنة ، تقريب التهذيب ج 1 - ص 288

(5) شرح الأربعين نووية / لابن دقيق العيد / ج 1 - ص 107

(6) شرح السيوطي على مسلم / للسيوطي / ج 1 - ص 60

ت- قال القاضي (رحمه الله): (ومن محبته نصرته سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته، ن فيبذل نفسه وماله دونه، وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي ومنزلته على كل والد وولد، ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن) ⁽¹⁾، قلت وكل هذا داخل في النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ث- وقال النووي (رحمه الله): "فيه تلميح إلى قضية النفس الإمارة والمطمئنة، فإن من رجع جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحاً، ومن رجع جانب الإمارة كان حكمه بالعكس. ⁽²⁾

ج- قال القرطبي (رحمه الله): كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيماناً صحيحاً، لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير إنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى. ⁽³⁾

ح- يدخل هذا الحديث في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكير فإن الاحبية المذكورة تُعرف به. ⁽⁴⁾

الحديث الثالث :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقدام وجفت الصحف .

تخريج الحديث

الحديث أخرجه الترمذي ⁽⁵⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

أ- قال النووي (رحمه الله) : هذا حديث عظيم الموقع ⁽¹⁾

(1) عمدة القاري / للعيني / ج 1 ص 144

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج 1 ص 59

(3) المصدر نفسه / ج 1 ص 60

(4) المصدر نفسه / ج 1 - ص 59

(5) الحديث صحيح : رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة برقم 2516 ، ج: 4 ص: 667.

ب-وقال ابن رجب (رحمه الله) : وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه قلت:(أي ابن رجب) وقد أفردت لشرحه جزءاً كبيراً. (2)

ت-وقال ابن علان⁽³⁾(رحمه الله): :وهي من ابلغ العبارات وأوجزها واجمعها لسائر الأحكام الشرعية، فهو من بدائع جوامعه صلى الله عليه وسلم. (4)

المعنى الإجمالي للحديث .

كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك لحظة تمر دون أن يقوم بحق الله من النصح لعباده ، فها هو يتوجه بالنصيحة إلى غلام يافع علم فيه شدة الذكاء والحرص على التعلم ،فيتوجه إليه بالنصيحة وهو راكب خلفه على بغلة ، فينصحه بما يصلح أساساً لفهم كامل لحقيقة العلاقة بين العبد وربّه ،وجعل هذه العلاقة ملازمة للإنسان في شدته ورخائه وفي سرائه وضرائه ، وفي فقره وغناه، ويعتبر الأساس الذي قامت عليه هذه النصيحة الجامعة الإيمان التام بالقدر خيره وشره ،قال ابن رجب (رحمه الله) : واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر، وأن اجتهد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع ،فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده. (5)

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- فيه حث النبي صلى الله عليه وسلم ونصحه لابن عباس رضي الله عنه ،بوجوب التوكل على الله ،والرضا بالمقدور ،والصبر على مر القضاء .

ب-الحرص على تعليم الصغار ،والإقبال على تربيتهم ،وتخصيصهم بالنصيحة والاهتمام بعقيدتهم وسلوكهم ،وتأديهم بالآداب الفاضلة .

(1) الأنكار النووية/ محيي الدين أبو ذكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ولد سنة 631 هـ - وتوفي سنة 676 هـ / ج 1 ص 953 / دار الفكر بيروت - لبنان ، 1414 هـ - 1994 م

(2) جامع العلوم والحكم /لابن رجب / ج 1 ص 185

(3) عثمان بن محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن دينار بن عبد الله أبو الحسين المعروف بابن علان الذهبي ، تاريخ بغداد /الخطيب البغدادي / ج 11 - ص 301

(4) شرح الأربعين النووية بثوب جديد / لعبد الوهاب أبو صفية /ص 234

(5) جامع العلوم والحكم /لابن رجب / ج 1 ص 193-194

ت-استمرارية النصيحة وعدم قصرها على أمكنة خاصة ووقت خاص ،بل تقديمها كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

ث- أن ما يصيب العبد في دنياه كله مفروغ منه ومقدر عليه ،ولا يدفعه ولا يرفعه اجتماع الخلق كلهم

ج- فيه منقبة لابن عباس رضي الله عنه أن خصه بهذه الوصية وألزمه بهذه النصيحة .

ح- " الحديث مؤكد للقران الكريم ،وقد يكون منتزع منه ،فقوله : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت ..منتزع من قول الله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽¹⁾ وقوله احفظ الله يحفظك من

قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(*) . " (2)

خ- " أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(*) . " (3)

د-قال ابن رجب (رحمه الله): (ومن الحفظ وهو أشرف النوعين، حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ،ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان ..)⁽⁴⁾

ذ-أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه ،يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده،⁽⁵⁾ قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽⁶⁾ .

(1) سورة الفاتحة- الآية : 5

* سورة البقرة- الآية : 152

(2) ينظر شرح الأربعين النووية بثوب جديد /لعبد الرحمن أبي صفية /ص 236

* سورة البقرة - الآية : 40

(3) جامع العلوم والحكم /لابن رجب / ج 1 - ص 186

(4) المصدر نفسه / ج 1 ص 187

(5) المصدر نفسه / ج 1 ص 188

(6) سورة النحل- الآية 128

المبحث الثاني

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العلم

انطلاقاً من أهمية العلم ومكانته في الإسلام، جاءت كثير من الآيات والأحاديث ترغب بالعلم وتعلمه ونشره بين الناس، بل أن الله عز وجل حين تحدث عن وحدانيته وعظمته استشهد بالعلم وأهله، بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، بل أول ما بدأ به صلى الله عليه وسلم في دعوته هو العلم ولذلك ترجم البخاري (رحمه الله) باباً اسماءه: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^{(2)*} فبدأ بالعلم قبل القول والعمل لمنزلته ومكانته. حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم نصح أصحابه وأمته بضرورة التناسح في العلم وتعلمه، فمن هنا تطرقت إلى تعريف العلم عند أهل اللغة والاصطلاح ومن ثم أحاديث النصيحة في باب العلم.

المطلب الأول: تعريف العلم عند أهل اللغة والاصطلاح.

العلم عند أهل اللغة: من عِلِم الشيء بالكسر يعلمه عِلْماً عرفه ورجل عِلْماً أي عالمٌ جداً والهاء للمبالغة، و اسْتَعْلَمَ الخبر فأَعْلَمَهُ إياه.⁽³⁾

أما العلم عند أهل الاصطلاح:

قال الجرجاني في التعريفات⁽⁴⁾ عن العلم:

أ- هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخص من الثاني.

ب- وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به.

ت- وقيل زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه.

ث- وقيل هو مستغن عن التعريف.

ج- وقيل العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات.

ح- وقيل العلم وصول النفس إلى معنى الشيء.

(1) سورة آل عمران - الآية 18

* سورة محمد - الآية 19

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج: 1 ص: 37

(3) مختار الصحاح / للرازي / ج 1 - ص 467

(4) التعريفات / للجرجاني / ج 1 ص 199

خ- وقيل عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول .

د- وقيل عبارة عن صفة ذات صفة، وقيل ما وضع لشيء وهو العلم القصدي، أو غلب وهو العلم الإتفاقي الذي يصير علماً لا بوضع واضح، بل بكثرة الاستعمال مع الإضافة، أو اللزوم لشيء بعينه خارجاً أو ذهنياً ولم تتناوله السببية وينقسم إلى قسمين قديم وحديث .

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب العلم .

الحديث الأول :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص⁽¹⁾ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار .
تخريج الحديث.

الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان. (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

لم أجد من تكلم عن أهمية الحديث ممن وقفت على شروحهم ، غير أن ذلك لم يلغ الرغبة لدي في ذكر شيء عنه فأقول :

ترجع أهمية الحديث إلى الوعيد والترهيب من كتمان العلم ، مما يحتاج إليه السائل في أمر دينه ، لأن الحكمة من تعلم العلم لنشره ودعوة الخلق إلى الحق ، والكاتم يزاول إبطال هذه الحكمة ، وهو بعيد عن الحكيم المتقن ، فالواجب هو التنصيح في العلم وعدم كتمه ، لأن كتمه خيانة والخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال .

المعنى الإجمالي للحديث .

نقل الإمام السيوطي عن الخطابي (رحمه الله) قوله : (هذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه كمن رأى من يريد الإسلام ويقول : علمني الإسلام ، وكمن رأى حديث عهد بالإسلام لا يحسن

(1) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد السهمي أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن أحد السابقين الكثيرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء ، تقريب التهذيب / ج 1 - ص 315 .

(2) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم برقم "3658" ج 2 - ص 345 ، سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب كتمان العلم ، برقم "2649" ج 5 - ص 29 ، سنن ابن ماجه ، باب من سئل عن علم فكتمه برقم "264" ، ج 1 - ص 97 ، صحيح ابن حبان ، كتاب العلم ، باب الزجر عن كتابة المرء السنن ، برقم "96" ج 1 - ص 298 ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن في الشواهد المستدرک كتاب العلم ، برقم "346" ج 1 - ص 182 قال الحاكم : هذا إسناده صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين و ليس له علة قال الذهبي : على شرطهما ولا علة له

الصلاة يقول: علمني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتياً في حلال وحرام يقول: أفتوني وأرشدوني، فإنه يلزم في هذه الأمور أن لا يمنع الجواب، فمن فعل كان آثماً مستحقاً للوعيد وليس كذلك في نوافل العلوم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها. (1)

بعض ما يرشد إليه الحديث.

أ- قال المناوي (رحمه الله): أن الممسك عن الكلام ممثل بمن ألزم نفسه بلجام وتنكير علم في حيز الشرط يؤهم شمول العموم لكل علم حتى غير الشرعي وخصه كثير كالحليمي (2) بالشرعي، والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود كعلم الكلام أو كمال كالتحقيق والمنطق. (3)

ب- العلم المكتوم: هو علم يحتاج إليه السائل في أمر ونهي، ثم كتمه بعدم الجواب أو بمنع الكتاب، ألجم أي أدخل في فمه لجام، لأنه موضع خروج العلم والكلام، قال الطيبي (4): شبه ما يوضع في فيه من النار يوم القيامة بلجام في فم الدابة بلجام من النار، مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت فشبه بالحيوان الذي سخر ومنع من قصد ما يريده، فإن العالم من شأنه أن يدعو إلى الحق.. هذا في العلم اللازم التعليم، كاستعلام كافر عن الإسلام ما هو، أو حديث عهد عن تعليم صلاة حضر وقتها وكالمستفتي في الحلال والحرام، فإنه يلزم في هذه الأمور الجواب لا نوافل العلوم غير الضرورية. (5)

ت- (الحديث نص في تحريم الكتم، وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه، واحترز بقوله عن أهله أما كتمه عن غير أهله فمطلوب بل واجب، فقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب؟ فقال السائل: أما سمعت خبر من كتم علماً. إلخ قال: أترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقهه فكتمته فليلجمني، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ (6) تنبيه

(1) شرح سنن ابن ماجه / السيوطي / ج 1 ص 23

(2) الحلبي: العلامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي صاحب وجوه حسان في المذهب وكان من اذكى زمانه ومن فرسان النظر له يد طولى في العلم والأدب أخذ عن الأستاذ أبي بكر القفال وأبي بكر الأردني، تذكرة الحفاظ / الذهبي / ج 3 - ص 1030

(3) فيض القدير / للمناوي / ج 6 ص 212

(4) الطيبي شارح التنبيه: اسمه عبد الرحمن بن محمد بن حمدان، الفقيه صائن الدين أبو القاسم الطيبي مصنف شرح التنبيه توفي سنة أربع وعشرين وست مائة، الوافي في الوفيات / ج 1 ص 2303 - 2596

(5) شرح سنن ابن ماجه / السيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي / ج 1 ص 23

(6) سورة النساء - الآية 5:

على أن حفظ العلم عمن يفسده أو يضره أولى ، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق ، وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم ، سيما إن عزت نسخه " وأخرج البيهقي عن الزهري⁽¹⁾ قوله : إياك وغلول الكتب قيل : وما غلولها ؟ قال : حبسها " (*) (2)

ث- فيه حث ونصح على تعليم العلم ، فالحديث خرج على مشاكلة العقوبة للذنب ، لأن الله تعالى اخذ منا الميثاق ببيان العلم وعدم كتمه ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (3) .

ج- فيه حث على وجوب التناصح والتذاكر في العلم وطلبه وعدم نسيانه لأن كتم العلم خيانة لله ورسوله وللمؤمنين وهلاك لصاحبه في الآخرة .

الحديث الثاني :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ . فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه قال : (أين - أراه - السائل عن الساعة) . قال : ها أنا يا رسول الله قال : (فإذا ضعفت الأمانة فانتظر الساعة) . قال كيف إضعفتها ؟ قال (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري⁽⁴⁾

أهمية الحديث أحكامه .

تبيين مكانة الحديث وأهميته من أن الإمام البخاري ترجم له فقال : (باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل)⁽⁵⁾ وما يتميز به هذا الحديث انه تحدث عن شرط من اشراط الساعة ، ثم تعليم ذلك كله في صورة مهية من ضياع الأمانة ، وأعظمها واجلها أمانة العلم والدين .

(2) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه ... ، تقريب التهذيب ، ج 1 - ص 506

* جاء هذا الحديث عن يونس بن يزيد . وساق الحديث ، ينظر أدب الإملاء والاستملاء ، ج 1 ص 176 (2) فيض القدير / للمناوي / ج 6 - ص 212

(3) سورة آل عمران - الآية : 187

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ، برقم " 59 " ، ج 1 ص 33

(5) صحيح البخاري كتاب العلم ، باب من سئل علماً برقم " 59 " ج 1 ص 31

المعنى الإجمالي للحديث :

المراد بالحديث .. إذا فوض الحكم المتعلق بالدين كالخلافة ومتعلقاتها من إمارة وقضاء وإفتاء وتدريس وغير ذلك (إلى غير أهله) أي إلى من ليس له بأهل ، والمعنى إذا سود وشرف من لا يستحق السيادة والشرف، أو هو من الوسادة : أي إذا وجدت وسادة الأمر والنهي لغير مستحقها (فانتظروا الساعة) لأنه قد جاء أشراتها . والفاء للتفريع أو جواب الشرط . وإنما دل على دنو الساعة لإفضائه إلى اختلال الأمر والنهي ، ووهن الدين وضعف الإسلام وغلبة الجهل ورفع العلم وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته . وللأساعة أشراط كثيرة كبار وصغار وهذا منها .
(1)

بعض ما يرشد إليه الحديث .

- أولاً : استنبط الإمام العيني (رحمه الله) من هذا الحديث جملة من الأحكام (2) :
- أ- فيه وجوب تعليم السائل لقوله "أين السائل؟" ثم إخباره عن الذي سأل عنه .
- ب- وفيه أن من آداب المتعلم أن لا يسأل العالم ما دام مشغولاً بحديث أو غيره، لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم أن لا يقطعه عنهم حتى يتمه .
- ت- وفيه الرفق بالمتعلم وإن جفا في سؤاله أو جهل، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يوبخه على سؤاله قبل إكمال حديثه .
- ث- وفيه مراجعة العالم عند عدم فهم السائل لقوله " وكيف إضاعتها ؟ " .
- ج- وفيه جواز اتساع العالم في الجواب إذا كان ذلك لمعنى أو لمصلحة .
- ح- وفيه التنبيه على تقديم الأسبق في السؤال، لأننا قلنا إنه يحتمل أن يكون تأخير الرسول الجواب لكونه مشغولاً بجواب سؤال سائل آخر ، فنبه بذلك أنه يجب على القاضي والمفتي والمدرس تقديم الأسبق لاستحقاقه بالسبق .
- ثانياً : كما دل الحديث على أن الولاية أمانة يجب القيام بها على وجهها .
- ثالثاً : المحافظة على النظام والانضباط الكامل من قبل المتعلم ، ومراعاة أدب السؤال ونحو ذلك .

الحديث الثالث :

(1) ينظر فيض القدير/للمناوي / ج 1 - ص 451

(2) عمدة القاري /للعامة بدر الدين العيني / ج 2 - ص 7

عن ابن عمر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟) . فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أما النخلة، قال عبد الله فاستحييت فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هي النخلة) . قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال لأن تكون قلتي أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا .
تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم. (1)

أهمية الحديث وأحكامه.

لم اعلم في حدود بحثي ومراجعتي : من تكلم عن أهميته ، لكن لأهمية هذا الحديث ومكانته ترجم الإمام البخاري له أكثر من باب ومنها : (باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم)(2)، و (باب الفهم في العلم)(3)، (باب الحياء في العلم)(4)، وغير ذلك .

المعنى الإجمالي للحديث .

يبين هذا الحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يلقي المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في كلامه ويشدهم إليه في نصحه ، فضرب لهم مثلاً شبه فيه المؤمن بشجرة لا يسقط ورقها ، فوقع كبار الصحابة في شجر البوادي فلم يقدح في ذهن احدهم أنها النخلة، فوقع في ذهن عبد الله بن عمر أنها النخلة، إلا انه لم يتكلم بها توقيراً واحتراماً وحياءً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان أصغرهم ، فتمنى عمر رضي الله عنه وقتها، أن يكون ابنه لم يسكت . قال الإمام النووي(رحمه الله): (إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها ، وفيه سرور الإنسان بنجاة ولده وحسن فهمه .. قال العلماء وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فانه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة ومن خشبها وورقها، وأغصانها فيستعمل جذوعاً وحطباً وعصياً ومخاصراً وحصباً وأواني وغير ذلك ، ثم آخر شيء منها نواها ، وينتفع به علفاً للإبل ، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها فهي منافع كلها وخير وجمال ، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ، ويواظب على صلاته وصيامه

(1) منفق عليه ، سبق تخريجه ينظر ص 240.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ، برقم " 62 " / ج 1 ص 34

(3) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الفهم في العلم ، برقم " 72 " / ج 1 ص 39

(4) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، برقم " 131 " / ج 1 - ص 60

وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات وغير ذلك، فهذا هو الصحيح في وجه التشبيه.)
(1)

بعض ما يرشد إليه الحديث

أ- استنبط الإمام العيني (رحمه الله) في هذا الحديث جملة من الأحكام⁽²⁾ نذكر منها
الأول: فيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر.
الثاني: فيه توقير الكبار وترك التكلم عندهم وقد بوب عليه البخاري بابا ..
الثالث: فيه استحباب الحياء ما لم يؤدي إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر رضي الله عنه أن
يكون ابنه لم يسكت بعد ما أخبره ابنه .

الرابع: فيه جواز الغز مع بيانه .

الخامس: فيه جواز ضرب الأمثال والأشياء لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني في الذهن .
السادس: فيه تلويح إلى أن التشبيه لا عموم له، ولا يلزم أن يكون المشبه مثل المشبه به في
جميع الوجوه.

السابع: فيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم منح إلهية
ومواهب رحمانية، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .
الثامن: فيه دلالة على فضيلة النخل .

ب- وأورد ابن حجر (رحمه الله) فوائد⁽³⁾ للحديث جملها متطابق مع ما أورده الإمام العيني (رحمه
الله) من الأحكام فنذكر منها :

- امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه .
- وفيه توقير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وأن ظن أنه الصواب .
- فيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه الصغير... واستدل به مالك على أن الخواطر
التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله، وذلك
مستفاد من تمنى عمر المذكور .
- وفيه الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر رضي الله عنه لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة
بحمر النعم مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها .

(1) شرح النووي على مسلم / ج 17 - ص 154

(2) عمدة القاري / للعيني / ج 2 - ص 15

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 1 - ص 146 - 147

المبحث الثالث

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العبادات .

باب العبادات واسع ، وارى أن كل ما جاء عن الله ورسوله من أمر ونهي هي بحد ذاتها عبادة وطاعة لله تعالى ، ونصائح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب تطول ، لذا اقتضت على تعريف العبادة عند أهل اللغة والاصطلاح ، ومن ثم ذكرت أهم النصائح في هذا الباب فأوجزت في أوصحها نصحاً ، ابتداءً من نصائحه صلى الله عليه وسلم في الوضوء وانتهاءً بنصائحه في الأذكار معتمداً صيغة الفقهاء في الترتيب .

المطلب الأول : تعريف العبادة عند أهل اللغة والاصطلاح .

العبادة عند أهل اللغة معناها : الطَّاعَةُ⁽¹⁾ وَالتَّعَبُّدُ التَّنُسُّكُ⁽²⁾

العبادة عند أهل العلم والاصطلاح : هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه .⁽³⁾

- وقال أبو يحيى الأنصاري⁽⁴⁾ : العبادة : هي ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود ويقال تعظيم الله تعالى بأمره .⁽⁵⁾

- قال الجوهرى : ومعنى العبادة الطاعة مع الخضوع والتذلل ، وهو جنس من الخضوع لا يستحقه إلا الله تعالى ، وهو خضوع ليس فوقه خضوع ، وسمي العبد عبداً لذاته وإنقياده لمولاه ، ويقال طريق معبد إذا كان مذلاً موطوءاً بالأقدام .⁽⁶⁾

(1) القاموس المحيط / الفيروزآبادي / ج 1 - ص 378

(2) مختار الصحاح / للرازي / ج 1 - ص 467

(3) التعريفات / للجرجاني / ج 1 - ص 189

(4) أبو يحيى سهل بن أبي حثمة الأنصاري ويقال كنيته أبو محمد ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 7 - ص 465

(5) الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة / زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى / تحقيق : د. مازن المبارك / ج 1 - ص 77 / دار الفكر المعاصر - بيروت الطبعة الأولى ، 1411

(6) المطلع على أبواب الفقه / محمد بن أبي الفتح البجلي الحنبلي أبو عبد الله / تحقيق : محمد بشير الأدلبي / ج 1 - ص 93 / المكتب الإسلامي - بيروت ، 1401 - 1981

المطلب الثاني: نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب العبادات

أولاً : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء.

الحديث :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنا في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فننادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار) . مرتين أو ثلاثاً .

تخريج الحديث

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

لهذا الحديث أهمية حيث انه حاز الفقه في إيجاب غسل الرجلين، قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله): (في هذا الحديث من الفقه إيجاب غسل الرجلين وفي ذلك تفسير لقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾⁽²⁾ . وبيان أنه أراد الغسل لا المسح وعلى هذا القول والتأويل جمهور علماء المسلمين وجماعة فقهاء الأمصار بالحجاز والعراق والشام من أهل الحديث والرأي، وإنما روي مسح الرجلين عن بعض الصحابة وبعض التابعين، وتعلق به الطبري وذلك غير صحيح في نظر ولا أثر⁽³⁾) ومن أهمية هذا الحديث انه كان محل استشهاد عند كثير من أهل العلم على وجوب غسل الرجلين لقوله "ويل للأعقاب من النار" فخوفنا النبي صلى الله عليه وسلم من النار ومعلوم أن الله تعالى لا يعذب بالنار إلا من ترك واجباً .

المعنى الإجمالي للحديث .

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، برقم " 96 " ، ج 1 - ص 48 / صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ، برقم " 240 " ج 1 - ص 213 .

(2) سورة المائدة - الآية : 6

(3) التمهيد / لابن عبد البر / ج 24 ص 254 - 255

آخر الصحابة رضي الله عنهم الصلاة عن وقتها الفاضل طمعاً أن يصلوها مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لفضل الصلاة معه، فلما خافوا الفوات استعجلوا فلم يتموا فرضاً على وجهه، فأنكر عليهم النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، وأغلظ لهم بكلامه وأراد بهذا التعليل أن يسبغوا الوضوء ويتموه بغسل أرجلهم .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- استنبط الإمام العيني (رحمه الله) من هذا الحديث جملة من الأحكام⁽¹⁾:

الأول: فيه دليل على وجوب غسل الرجلين في الوضوء، لأن المسح لو كان كافياً لما أوعد من ترك غسل العقب بالنار .

الثاني: فيه وجوب تعميم الأعضاء بالمطهر وإن ترك البعض منها غير مجزئ.

الثالث: تعليم الجاهل وإرشاده .

الرابع: أن الجسد يعذب وهو مذهب أهل السنة .

الخامس: جواز رفع الصوت في المناظرة بالعلم .

السادس: أن العالم ينكر ما يرى من التضييع للفرائض والسنن ويغلظ القول في ذلك ويرفع صوته للإنكار .

السابع: تكرار المسألة تأكيداً لها ومبالغة في وجوبها .

ب- وفقه هذا الحديث أنه لا يجوز المسح على القدمين إذا لم يكن عليهما خفان أو جوربان إذ لو جاز المسح على القدمين لم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماسح على القدمين بالويل من النار.⁽²⁾

ت- المراد بالإسباغ في حديث مسلم: (إكمال الوضوء وإبلاغ الماء كل ظاهر أعضائه، وهذا فرض والإسباغ الذي هو التثليث سنة، والإسباغ الذي هو التسيل شرط، والإسباغ الذي هو إكثار الماء من غير إسراف الماء فضيلة، وبكل هذا يفسر الإسباغ باختلاف المقامات كذا في اللمعات وقال شيخنا العلامة محمد إسحاق المحدث الدهلوي الإسباغ على ثلاثة أنواع: فرض وهو استيعاب المحل مرة، وسنة وهو الغسل ثلاثاً، ومستحب وهو الإطالة مع التثليث.)⁽³⁾

ث- ويعد هذا الحديث من قبيل النصيحة، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم نصح أصحابه بوجوب المحافظة على أركان الوضوء بإتمامها وعدم الإخلال بها .

(1) عمدة القاري/ للعلامة بدر الدين العيني / ج 2 ص 10

(2) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 1 ص 127 - 128

(3) عون المعبود / محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب / ج 1 - ص 118-119

ثانيا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة

الحديث :

عن ربيعة بن كعب الأسلمي⁽¹⁾ قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي: سل فقلت : " أسألك مرافقتك في الجنة " قال: أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك قال: " فأعني على نفسك بكثرة السجود " .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم .⁽²⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

تتضح أهمية الحديث ومكانته من علو همة هذا الصحابي بسؤاله عن مرافقته الجنة التي هي أسمى المطالب ، قال الإمام الصنعاني (رحمه الله): (وفيه دلالة على كمال إيمان المذكور وسمو همته إلى أشرف المطالب وأعلى المراتب وعزوف نفسه عن الدنيا وشهواتها . ودلالة على أن الصلاة أفضل الأعمال في حق من كان مثله ، فإنه لم يرشده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى نيل ما طلبه إلا بكثرة الصلاة ، مع أن مطلوبة أشرف المطالب) .⁽³⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

إن المؤمن الذي يحرص على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة هو الذي يكثّر من السجود لله ، ويكثر من ذكر الله وتسيّحه وتنزيهه ، ويحافظ على الصلاة ، في أركانها وأوقاتها وحقوقها كاملة . كما أن الحديث يعطي معنى آخر وهو كثرة التنفل بالسجود لان الفرائض مطلوب من كل مسلم الإتيان بها . قال الإمام الصنعاني (رحمه الله): (حمل المصنف السجود على الصلاة نفلاً ، فجعل الحديث دليلاً على التطوع ، وكأنه صرفه عن الحقيقة ، كون السجود بغير صلاة غير مرغوب فيه على انفراده ، والسجود وإن كان يصدق على الفرض ، لكن الإتيان

(1) ربيعة بن كعب الأسلمي أبو فراس عداة في أهل الحجاز وكان من أهل الصفة كان ينزل على بريد من المدينة مات ليالي الحرة ، الثقات لابن حبان / ج 3 - ص 128

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ، برقم " 489 " ، ج 1 ص 353 ،

(3) سبل السلام / للصنعاني / ج 1 ص 43

بالفرائض لا بد منه لكل مسلم، وإنما أرشده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شيء يختص به ينال به ما طلبه . (1)

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال ابن حجر (رحمه الله) في الحديث فوائد (2) .

-فيه الحث على كثرة السجود والترغيب والمراد به السجود في الصلاة.

-وفيه دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام .

-وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن والله أعلم

ب- قال المناوي (رحمه الله): (وفيه أن مرافقة المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجنة من الدرجات العالية التي لا مطمع في الوصول إليها إلا بحضور الزلفى عند الله في الدنيا بكثرة السجود، انظر أيها المتأمل في هذه الشريطة وارتباط القرينتين، لتقف على سر دقيق فإن من أراد مرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يناله إلا بالقرب من الله، ومن رام قرب الله لم ينله إلا بقرب حبيبه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (3) أوقع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المحبتين وذلك أن محبة العبد منوطة بمتابعته ومحبة الله العبد متوقفة على متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. (4)

ثالثا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة .

الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال (تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) . قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا . فلما ولي قال النبي صلى الله عليه وسلم (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) .

تخريج الحديث .

(1) المصدر نفسه / ج 1 ص 43

(2) شرح النووي على مسلم / ج 4 ص 206

(3) سورة آل عمران - الآية : 31

(4) فيض القدير / للمناوي / ج 4 ص 334

الحديث أخرجه البخاري ومسلم. ⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

يأخذ هذا الحديث أهميته وميزته من كونه جمع بين الإيمان والعمل ، كما أن البخاري ترجم له باباً في وجوب الزكاة فقال : (باب وجوب الزكاة) ⁽²⁾ قال ابن حجر (رحمه الله): (عبر في الزكاة بالمفروضة للإحتراز عن صدقة التطوع ، فإنها زكاة لغوية وقيل إحتراز من الزكاة المعجلة قبل الحول ، فإنها زكاة وليست مفروضة .) ⁽³⁾

المعنى الإجمالي الحديث .

ليس كل من ادعى الإسلام تقبل منه دعواه ، لأن للإسلام حقيقته وأركانه ، فقد تناول هذا الحديث أربعة من أركان الإسلام الخمس ، فمن تمسك والتزم بهذه الأركان جميعاً من غير إفراط ولا تفريط فهو المسلم الحقيقي ، كما أن أي بناء لا يمكن أن يقوم من غير دعائم وأعمدة ، فكذا لا يمكن قبول دعوى الإسلام بدون التمسك بهذه الدعائم ، ومع أن الإسلام يتضمن خصلاً أخرى مهمة ، غير أن هذه الأربعة المذكورة في هذا الحديث ، هي الأصول الأساسية ويضاف لها الحج أيضاً وغيرها هو بمثابة تكميل البناء وتحسينه .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

1. الحديث بعمومه يؤكد على النصح لله تعالى بأداء أركان الإسلام ومنها الزكاة .
2. فيه أن الزكاة فريضة وركن من أركان الإسلام ، لا يصح إسلام المرء إلا بأدائها .
3. وفيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على الأعمال الصالحة التي تدخلهم الجنة وتجنبهم النار .
4. وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نصح الإعرابي بأربعة أمور تتناسب مع همة هذا الأعرابي ، وهي الإيمان بالله ونفي الشرك عنه وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان .

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، برقم " 1333 " ج 2 ص 506 / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة ، برقم " 14 " ، ج 1 - ص 44 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ج 1 ص 470

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 3 ص 265

5. لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم للإعرابي الركن الخامس من أركان الإسلام لكونه قد يكون حاجاً قال ابن حجر (رحمه الله) : (لم يذكر الحج لأنه كان حينئذ حاجاً ولعله ذكره له فاختصر قوله)⁽¹⁾ قال أبو عمرو بن الصلاح (رحمه الله): (ليس هذا باختلاف صادر من رسول الله، بل هو من تفاوت الرواة في الحفظ والضبط، فمنهم من قصر فاختصر على ما حفظه فأداه، ولم يتعرض لما زاد غيره بنفي ولا إثبات، وإن كان اقتصاره على ذلك يشعر بأنه الكل، فقد بان بما أتى به غيره من التفاوت أن ذلك ليس بالكل وأن اقتصاره عليه كان لقصور حفظه عن تمامه)⁽²⁾
6. قال ابن حجر (رحمه الله): (وظاهر قوله "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليتنظر إلى هذا" إما أن يحمل على أنه صلى الله عليه وسلم أطلع على ذلك فأخبر به، أو في الكلام حذف تقديره إن دام على فعل الذي أمر به .)⁽³⁾ وقال العيني (رحمه الله): (الظاهر أنه علم أنه يوفي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة، فإن قيل المبشرون بالجنة معدودون بال عشرة، وبهذا يزداد عليهم لأنه نص عليه أنه من أهل الجنة، وأجيب بأن التنصيص على العدد لا ينافي الزيادة، وقد ورد أيضاً في حق كثير مثل ذلك كما قال في الحسن والحسين وأزواجه وقيل العشرة بشروا بالجنة دفعة واحدة فلا ينافي المتفرق).⁽⁴⁾
7. قال القرطبي (رحمه الله) : في هذا الحديث ... دلالة على جواز ترك التطوعات، لكن من داوم على ترك السنن كان نقصاً في دينه فإن كان تركها تهاونا بها ورغبة عنها كان ذلك فسقاً.⁽⁵⁾
8. وفيه فقه التدرج في النصيحة : حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى في نصحه هذا الإعرابي، لكونه كان حديث عهد بالإسلام فاكتفى صلى الله عليه وسلم بنصحه بفعل ما أوجبه الله تعالى عليه، لئلا يثقل ذلك عليه فيمل حتى إذا انشرح صدره للفهم عنه، حرص بعدها على تحصيل ثواب المندوبات وسهلت عليه .
9. ذكر الإمام بدر الدين العيني (رحمه الله) لهذا الحديث فوائد⁽⁶⁾ منها :
- أ- وفيه أن من أتى بالشهادتين وصلى وزكى وصام وحج إن استطاع دخل الجنة .
- ب- وفيه سؤال من لا يعلم لمن يعلم عن العمل الذي يكون سبباً لدخول الجنة .
- ت- وفيه وجوب السؤال عن أمور الدين .

(1) المصدر نفسه .

(2) عمدة القاري / للعيني / ج 8 ص 242

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 3 ص 265

(4) عمدة القاري / للعيني / ج 8 ص 242

(5) فتح الباري / لابن حجر / ج 3 ص 265

(6) عمدة القاري / للعيني / ج 8 ص 242

ث- وفيه البشارة والتبشير للمؤمن الذي يؤدي الواجبات بدخول الجنة .

رابعا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم .

الحديث :

عن أبي سعيد رضي الله عنه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا تواصلوا فأياكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر) . قالوا فإنك تواصل يا رسول الله قال : (إني لست كهينتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقين) .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام البخاري ⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

تتضح أهمية الحديث ومكانته وميزته أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم كله يحسن التآسي به في كل أحواله ، إلا أن يخبر النبي صلى الله عليه أنه له خاصة كما في هذا الحديث . قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : (فأخبر بموضع الخصوص ، على أن من العلماء من لم يجعل الوصال خصوصاً له ، وجعله من باب الرفق والتيسير على أمته) ⁽²⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان بما لا يخص غيره به من الشهور ، حتى أنه كان ليواصل فيه أحياناً ، ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة ، وكان ينهي أصحابه عن الوصال . وقد اختلف العلماء في هذا الطعام والشراب المذكورين على قولين : أحدهما : أنه طعام وشراب حسي للفم وهذه حقيقة اللفظ .

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ ، كتاب الصوم ، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام برقم " 1862 " / ج 2 - ص 693 .

(2) التمهيد / لابن عبد البر / ج 5 - ص 117

الثاني : أن المراد ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته . قال ابن رجب (رحمه الله): " أنه أراد بذلك أن الله يقوته ويغذيه بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية والمنح الإلهية والمعارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من الدهر .
كما قال القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به وقت المسير وفي أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد⁽¹⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- الحديث فيه من نصح النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، انه نهاهم عن الوصال في الصيام رفقاَ منه بأمته ورحمة بهم.

ب- الحكمة من النهي في هذا الحديث : (إيراث الضعف والعجز عن المواظبة على كثير من وظائف الطاعات والقيام بحقوقها).⁽²⁾

ت- وذكر ابن حجر (رحمه الله) (فوائد⁽³⁾) للحديث نذكر منها :

- استواء المكلفين في الأحكام ، وأن كل حكم ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم ثبت في حق أمته ، إلا ما استثنى بدليل .
- وفيه جواز معارضة المفتي فيما أفتى به إذا كان بخلاف حاله ، ولم يعلم المستفتى بسر المخالفة.

- وفيه الاستكشاف عن حكمة النهي .

- وفيه ثبوت خصائصه صلى الله عليه وسلم وأن عموم قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽⁴⁾ مخصوص .

- وفيه أن الصحابة كانوا يرجعون إلى فعله المعلوم صفته ، ويبادرون إلى الاقتداء به إلا فيما نهاهم عنه .

- وفيه أن خصائصه لا يتأسى به في جميعها .

- وفيه بيان قدرة الله تعالى على إيجاد المسببات العاديات من غير سبب ظاهر .

(1) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 ص 437 - 438

(2) عمدة القاري / للعيني / ج 10 ص 300

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 4 - ص 205

(4) سورة الأحزاب - الآية : 21

ث - قال ابن القيم (رحمه الله): (وقد غلظ حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسي للفم، ولو كان كما ظنه هذا الظان لما كان صائماً فضلاً عن أن يكون مواصلاً، ولما صح جوابه بقوله "إني لست كهيتكم" فأجاب بالفرق بينه وبينهم، ولو كان يأكل ويشرب بفيه الكريم حساً لكان الجواب أن يقول: "وأنا لست أواصل أيضاً"، فلما أقرهم على قولهم "إنك تواصل" علم أنه كان يمسك عن الطعام والشراب ويكتفي بذلك الطعام والشراب العالي الروحاني، الذي يغني عن الطعام والشراب المشترك الحسي، وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة، حيث قال لأبي سفيان: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقال: لا قال وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب (*) (1)

خامساً : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الحج .

الحديث :

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفاد نجاهد؟ قال : (لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور) .
تخريج الحديث .

* جاء هذا في حديث طويل صحيح من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ومما جاء فيه : (قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا . قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا . قال فهل يغدر ؟ قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم . قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وينال منه . قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيء واتركوا ما يقول آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب) ينظر صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ،

باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برقم " 7 " ج 1 - ص 7

(1) مدارج السالكين / ابن القيم / ج 3 - ص 88

الحديث أخرجه الإمام البخاري. (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

هذا الحديث يتضمن فائدة عظيمة تبين من خلالها أهمية الحديث وميزته، ذكرها ابن حجر (رحمه الله) فقال : (يشتمل هذا الحديث على إثبات فضل الحج ،وعلى جواب سؤالها عن الجهاد ، وسماه جهاداً لما فيه من مجاهدة النفس.) (2).

قال المهلب (3) : في هذا الحديث وفي إذن عمر رضي الله تعالى عنه لهن بالحج إبطال إفك المشغبين وكذب الرافضة فيما اختلقوه من الكذب، من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأزواجه "هذه ثم ظهور الحصر" وهذا ظاهر الاختلاق لأنه حضهن على الحج، وبشرهن أنه أفضل جهادهن، وإذن عمر لهن وسير عثمان معهن، حجة قاطعة على ما كذب به على النبي صلى الله عليه وسلم في أمر أم المؤمنين، وكذا قولهم عنه إنه قال لها تقاتلين علياً وأنت له ظالمة فإنه لا يصح انتهى. (4)

المعنى الإجمالي للحديث .

كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك لحظة تمر من غير نصح وتوجيه حتى مع نسائه، فهذه هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، كانت تتصور وتعتقد أن الجهاد في سبيل الله أفضل العمل، وذلك لكثرة ما يسمع من فضائله في الكتاب والسنة فرغبت في الجهاد، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصحها بالحج لبيت الله الحرام، فنصحها بجهاد لا شوكة فيه، بما يترتب على هذا الحج من عناء وجهد ومشقة وسفر ومفارقة للأهل والأوطان .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- أفاد الحديث أن الحج والعمرة تقوم مقام الجهاد في حق النساء، لذا رغب النبي صلى الله عليه وسلم النساء ونصحهن بحج مبرور يقوم مقام جهادهن في سبيل الله .

(1) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الحج المبرور ، برقم " 1448 " ، ج 2 ص 553

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج 3 ص 382

(3) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العنكي أبو سعيد البصري واسم أبي صفرة ظالم بن سارق ويقال بن سراق بن صبح بن كندي ، تهذيب الكمال / المزي / ج 29 - ص 8

(4) عمدة القاري / للعيني / ج 9 ص 134

ب- أفاد الحديث أيضا أن للنساء جهادا غير الحج والحج أفضل منه (1) .

ت- قال ابن بطال (2): هذا الحديث دال على أن النساء لا جهاد عليهن، وأنهن غير داخلات في قوله تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (3) وقال أيضا : دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء (4)

ث- والحكمة من هذا الحديث : أن الأفضلية جاءت لهن بالحج ، وذلك لأنهن لسن من أهل القتال للعدو، ولا قدرة لهن عليه ولا قيام به ، وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك مباشرة الرجال بغير قتال ، فكيف في حال القتال التي هي أصعب ؟ والحج يمكنهن فيه بمجانبة الرجال والاستتار عنهن فلذلك كان أفضل لهن من الجهاد . (5)

ج- و فيه مراعاة حال المنصوح وهذه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في نصحه، فراعى حال النساء لأنهن لسن من أهل القتال، فوجههن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج ، ونصحهن به مراعاة لحالهن وتناسبا مع نفسيتهن ، وهذه ميزة توجد في هذا النبي الأمي، لا تكاد توجد في غيره فصلاة الله وسلامه عليه ما أعظمه ؟ وما أغلى نصحه ؟ وما أكرم وصاياه ؟ .

ح- وفيه أن الحج نوع من الجهاد الذي لا شوكة فيه، وهذا تعبير دقيق وذلك بما يترتب على هذا الحج من عناء وجهد ومشقة وسفر ومفارقة للأهل والأوطان .

خ- وفيه أن جهاد المرأة المسلمة يكون بالحج والعمرة لبيت الله تعالى فنصح النبي صلى الله عليه وسلم النساء بلزوم الجهاد الذي لا قتال فيه وهو الحج والعمرة .

سادسا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الأذكار .

الحديث .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله " قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال : " إن أحب الكلام إلى الله سبحانه الله وبحمده " .

تخريج الحديث .

(1) ينظر المصدر نفسه / ج 9 - ص 135

(2) المصدر نفسه / ج 14 ص 164

(3) سورة التوبة - الآية : 41

(4) تحفة الأحوذى / ج 5 - ص 164

(5) عمدة القاري / للعيني / ج 14 ص 164

الحديث أخرجه الإمام مسلم⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

- قال الطيبي (رحمه الله) : فيه تلميح بقوله تعالى حكاية عن الملائكة "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " ويمكن أن يكون قوله سبحانه الله وبحمده مختصراً من الكلمات الأربع وهي سبحانه الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر لأن سبحانه الله تنزيه له عما لا يليق بجلاله وتقديس لصفاته من النقائص فيندرج فيه معنى لا إله إلا الله.⁽²⁾

- شمل هذا الحديث من العقيدة أعظم ركنيها : تعظيم الله وتوحيده .

المعنى الإجمالي للحديث .

المؤمن الذي يحرص على الفوز بما يحبه الله ويرضاه ، هو الذي يتحرى أفضل الأذكار وأحبها عند الله عز وجل ، فيكثر من ذكر الله وتسبيحه وتنزيهه ، وبهذا نصح النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال الإمام النووي (رحمه الله) : هذا محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل ، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق ، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فلا اشتغال به أفضل والله أعلم.⁽³⁾

ب- بيان فضل هذه الأذكار : سبحانه الله وبحمده ، وعظمة ثوابها مع استحضر معانيها والإذعان لها والعمل بموجبها .

ت- نصح النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكر الله والإكثار من تسبيح الله وتنزيهه ، وإن هذا من أفضل الطاعات والقربات ، فإن من أحب شيء أكثر من ذكره ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من ذكر الله في حله وسفره فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فركب راحلته قال بأصبعه قال : اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة

(1) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل

سبحان الله وبحمده ، برقم " 2731 " ج : 4 ص : 2093

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج 11 - ص 207

(3) شرح النووي على مسلم / ج 17 ص 49

في الأهل اللهم اصحبنا بنصحك واقلبنا بدمه اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب. ⁽¹⁾

ث- وفيه ترغيب من النبي صلى الله عليه وسلم بنصح أصحابه لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة فقال: لأبي ذر ناصحاً له: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله .

المبحث الرابع

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الآداب .

الإسلام دين يهتم بشؤون الإنسان الخاصة كما يهتم بشؤونه العامة ، ويتتبع النصح والإرشاد والتقويم في تفاصيل حياته الصغيرة ، كما يوجهه وينصحه في كبيرها ، ويتدخل في دقائق أموره الشخصية تهدياً وتحميلاً ، كما يهتم بأمور الإنسانية عموماً وشمولاً .. سواء بسواء .. فمن هنا اعتمدت في هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الآداب عند أهل اللغة والاصطلاح .

الأدب عند أهل اللغة : أدب بالضم أدبا بفتحين فهو أديبٌ و استأدبَ أي تأدَّبَ ⁽²⁾. وقال ابن منظور : الأدبُ الذي يتأدَّبُ به الأديبُ من الناس، سُمِّيَ أدباً لأنه يأدبُ الناسَ إلى المَحامد ، وَيَنْهَاهُم عن المَقَابِح وأصل الأدبِ الدُّعَاءُ .. ⁽³⁾ أما الأدب عن أهل العلم والاصطلاح:

قال الجرجاني : الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ . ⁽⁴⁾

(1) الحديث حسن : قال أبو عيسى كنت لا أعرف هذا إلا من حديث بن أبي عدي حتى حدثني به سويد حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا شعبة بهذا الإسناد قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة ولا نعرفه إلا من حديث بن أبي عدي عن شعبة، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ينظر : سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا خرج مسافراً ، برقم " 3438 " ج: 5 ص: 497 ، السنن الكبرى ، كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من كآبة المنقلب برقم: 7938 ج: 4 ص: 460 ، سنن النسائي - المجتبى، كتابة الاستعاذة ، باب الاستعاذة من كآبة المنقلب برقم: 5501 ج: 8 ص: 273 ، المستدرک على الصحيحين ج: 2 ص: 279 .

(2) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 10

(3) لسان العرب / لابن منظور / ج 1 ص 206

(4) التعريفات / للجرجاني / ج 1 ص 29

وقال عنه المناوي رحمه الله : رياضة النفس ومحاسن الأخلاق ، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل .⁽¹⁾

المطلب الثاني: بعض النصائح النبوية في باب الآداب .

ذكرت بعض النصائح النبوية في باب الآداب التي توجه المسلم إلى الفضائل التي يتم بها دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعا ، وعقبت عليها بتفاسير موجزة في بيان أهمية الحديث والمعنى الإجمالي له ، ومن ثم بعض ما يرشد إليه الحديث من فوائد .

أولا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب الأخ مع إخوته .

الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم⁽²⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

قال النووي (رحمه الله): ما أعظم نفع هذا الحديث وأكثر فوائده لمن تدبره.⁽³⁾

قال ابن حجر (رحمه الله): وهو حديث عظيم اشتمل على جمل من الفوائد والآداب

المحتاج إليها.⁽⁴⁾

هذا الحديث من أعظم النصائح في حقوق المسلم على أخيه ، حيث لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم سببا من أسباب التقاطع والتباغض والعداء بين الناس ، إلا ونصح أمتة بالحدز منه ، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تماسك الأمة ووحدة صفها ، ناصحا في سبيل تدعيم ذلك أقوى العواطف وأوثق الروابط : إخوة الإيمان ، وحق الإسلام ، الحرص على التقوى ، والتنفير من الظلم والشر ، وعصمة دماء المسلمين .

(1) التعاريف / للمناوي / ج 1 ص 44

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، برقم " 2564 " ، ج 4 ص 1986 .

(3) الأذكار للنووي / ج 1 ص 808

(4) فتح الباري / لابن حجر / ج 10 ص 484

المعنى الإجمالي للحديث .

يحرم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بعض مظاهر السلوك الاجتماعي بين المسلمين ،مما يتنافى مع واجب الإخوة ورابط الإيمان ،كالحسد والتباغض والتدابير والبيع على البيع ،وظلم المسلم أو خذلانه أو تحقيره ،كما يؤكد عليه السلام حرمة الدماء والأموال والنفوس ،ويحرم الاعتداء عليها .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- في هذا الحديث من الفقه أنه لا يحل التباغض ،لأن التباغض مفسدة للدين حائلة له، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بالتواد والتحاب. (1)

ب- قال القرطبي (رحمه الله): كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة

والنصيحة. (2)

ت- قال ابن عبد البر(رحمه الله): تضمن الحديث تحريم بغض المسلم والإعراض عنه، وقطيعة بعد صحبتته بغير ذنب شرعي، والحسد له على ما أنعم به عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، وأن لا ينقب عن معاييه، ولا فرق في ذلك بين الحاضر والغائب، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذلك. (3)

ث- قال الإمام النووي (رحمه الله): أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته. (4)

ج- قال بعض العلماء وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض. (5)

ثانيا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب النكاح وما يتعلق به .
الحديث الأول :

(1) التمهيد/لابن عبد البر / ج 6 - ص 116

(2) فتح الباري /لابن حجر/ ج 10 ص 483

(3) المصدر نفسه / ج 10 ص 483.

(4) شرح النووي على مسلم / ج 16 - ص 121

(5) شرح سنن ابن ماجه /السيوطي / ج 1 ص 274

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

هذا الحديث أصلاً في تشريع الزواج الذي جعله الله شعيرة من شعائر دينه الحنيف، الذي ارتضاه لعباده وحثهم عليه ورغبهم فيه، وكذا نصح به النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إليه بسنته القولية والفعلية، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسس بيتاً وأنجب ذرية، وانفق على أهله .

المعنى الإجمالي للحديث .

إن هذا الحديث من النصائح النبوية الكريمة الخاصة بالشباب، فقد نصح النبي صلى الله عليه وسلم ورغب في الزواج، وحث عليه وأمر به عند القدرة عليه لمن يمتلك الباءة، وهي القدرة البدنية والمالية، أما من لم يملك الباءة فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم بالصوم، لكبح جماح نفسه وقهر شهوته وكسرها .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال النووي (رحمه الله): اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين: يرجعان إلى معنى واحد، أحدهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرة على مؤنه - وهي مؤن النكاح - فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه، فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجداء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً .

والقول الثاني: أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح سميت باسم ما يلزمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته، والذي حمل القائلين بهذا على

(1) متفق عليه، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، برقم " 1806 " ج 2 - ص 673 / صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، برقم " 1400 "، ج 2 - ص

ما قالوه قوله "ومن لم يستطع فعله بالصوم" قالوا والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة على المؤن .⁽¹⁾

ب- ويستفاد منه أن الذي لا يجد أهبة النكاح وهو تائق إليه يندب له التزويج دفعا للمحذور .⁽²⁾

ت- وذكر ابن حجر (رحمه الله) في هذا الحديث جملة من الفوائد⁽³⁾:

- فيه الحث على غرض البصر وتحصين الفرج بكل ممكن، وعدم التكليف بغير المستطاع .

- ويؤخذ منه أن حظوظ النفوس والشهوات لا تتقدم على أحكام الشرع ، بل هي دائرة معها .

- واستنبط القرافي⁽⁴⁾ (رحمه الله) من قوله "فإنه له وجاء" أن التشريك في العبادة لا يقدر فيها بخلاف الرياء ، لأنه أمر بالصوم الذي هو قربه، وهو بهذا القصد صحيح مثاب عليه ، ومع ذلك فأرشد إليه لتحصيل غرض البصر وكف الفرج عن الوقوع في المحرم .

ث- نصح النبي صلى الله عليه وسلم من لم يملك الباءة للزواج أن يحصن نفسه بالصوم ، لأنه من البر الذي يكف الإنسان عن كثير مما تطلع له النفس من المعاصي، وفيه تركية للبدن وتضييق لمساالك الشيطان .

ج- ويعتبر هذا الحديث من جملة النصائح الجماعية، تبعاً لمقتضى الحال .

ح- استنبط الإمام العيني (رحمه الله) عن هذا الحديث جملة من الأحكام⁽⁵⁾ منها :

- قال الخطابي (رحمه الله) : وفيه دليل على جواز المعاناة لقطع الباءة بالأدوية لقوله فليصم .

- وقال القرطبي (رحمه الله) : وفيه وجوب الخيار في العنة .

- وفيه أن الصوم قاطع لشهوة النكاح، واعتُرض بأن الصوم يزيد في تهيج الحرارة ، وذلك مما يشير الشهوة ، وأجيب بأن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر، فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك ، وشهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل ، فإنه يقوى بقوتها ويضعف بضعفها .

- وفيه الأمر بالنكاح لمن استطاع وتاقت نفسه ، وهو إجماع لكنه عند الجمهور أمر ندب لا إيجاب .

- النكاح على ثلاثة أنواع :

الأول : سنة وهو في حال الاعتدال .

(1) فتح الباري / لابن حجر / ج 9 - ص 108

(2) المصدر نفسه / ج 9 ص 109

(3) المصدر نفسه / ج 9 ص 112

(4) المحدث الإمام اللغوي صفي الدين محمود بن أبي بكر محمد بن حامد الأرموي القرافي الصوفي مات بدمشق عن ست وسبعين سنة ، تذكرة الحفاظ / الذهبي / ج 4 - ص 1494

(5) عمدة القاري / للعيني / ج 10 ص 278-279

الثاني: واجب وهو عند التوقان وهو غلبة الشهوة .
الثالث: مكروه وهو إذا خاف الجور لأنه إنما شرع لمصالح كثيرة فإذا خاف الجور لم تظهر تلك
المصالح .

الحديث الثاني :

عن أبي أمامة⁽¹⁾ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ما استقاد
المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة،
وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله .

تخريج الحديث

الحديث أخرجه ابن ماجه. (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

قال ابن حجر(رحمه الله) : هذا الحديث ونحوه من الأحاديث المرغبة في التزوج، وإن
كان في كثير منها ضعف، فمجموعها يدل على أن لما يحصل به المقصود من الترغيب في
التزوج أصلاً

لكن في حق من يتأتى منه النسل. (3)

المعنى الإجمالي للحديث .

يشير النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى المرأة الصالحة، فما ربح المؤمن
بعد تقوى الله خيراً من امرأة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة في ظاهرها وباطنها
، وإن غاب عنها أخلصت له في نفسها وماله .

(2) أسعد بن سهل بن حنيف بضم المهملة الأنصاري أبو أمامة معروف بكنيته معدود في الصحابة له رؤية
ولم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون ، تقريب التهذيب ، ج 1 -
ص 104 .

(2) الحديث حسن لغيره : سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، برقم " 1857 " ج 1 - ص
596 ، قال الكفائي : هذا الحديث فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعثمان
بن أبي العاتكة مختلف فيه وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رواه مسلم وغيره ورواه النسائي وسكت
عنه من طريق أبي هريرة وأبو داود في سننه وأبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث ابن عباس رضي
الله عنهما . ينظر : مصباح الزجاجة ، ج: 2 ص: 97 .

(3) فيض القدير/للمناوي/ ج 5 ص 419

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال الطيبي (رحمه الله) : جعل التقوى نصفين نصفاً تزوجاً ونصفاً غيره وذلك لأن في التزويج التحصين من الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج ، وقوله : (إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحتة في نفسها) لصونها من الزنا ومقدماته بيان لصلاحها على سبيل التقسيم ، لأنه لا يخلو من أن يكون الزوج حاضراً فافتقاره إليها ، إما أن يكون في الخدمة بمهنة البيت والمداعبة والمباشرة ، فتكون مطيعة فيما أمرها ، وذات جمال ودلال فيداعبها وتنقاد إذا أراد مباشرتها . أو غائبا فتحفظ ما يملك الزوج من نفسها ، بأن لا تخونه في نفسها وماله ، وإذا كان حالها في الغيبة على هذا ففي الحضور أولى ، وهذه ثمرة صلاحها ، وإن كانت ضعيفة الدين ، قصرت في صيانة نفسها وفرجها وأزرت بزوجه ، وسودت وجهه بين الناس وشوش قلبه ونغص بذلك عيشه ، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة ، أو سبيل التساهل كان متهاوناً في دينه وعرضه ، وإن كانت مع الفساد جميلة كان البلاء أشد لمشقة مفارقتها عليه .⁽¹⁾

ب- فيه أن من حق الزوج على زوجته : أن تطيعه ، وتحفظه في نفسها وماله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه .

ت- وفيه الحرص على المرأة الصالحة الحافظة للغيب بما حفظ الله ، التي تنصحه في نفسها وماله ، وتحفظه في غيبته بحفظ نفسها وبيتها وأولادها .

ثالثاً : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في بر الوالدين

الحديث :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال : أحي (والداك) قال نعم قال : فنيهما فجاهد .

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

(1) المصدر نفسه .

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الأبوين ، برقم " 2842 " ، ج : 3 ص : 1094 / صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، برقم " 2549 " ، ج 4 - ص 1975 .

تتضح أهمية الحديث أن الإمام البخاري ترجم له باباً فقال : (باب الجهاد بإذن الأبوين)⁽¹⁾ وترجم له الإمام مسلم أيضاً فقال: (باب بر الوالدين وأنهما أحق به)⁽²⁾ . وهذا الحديث من باب تقديم الأهم عند تزامن الواجبات أن لا يخرج المسلم للجهاد إلا بإذن والديه .

المعنى الإجمالي للحديث .

وجه النبي صلى الله عليه وسلم الرجل ونصحه ببر والديه ، وجعل بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله - الذي هو ذروة سنام الإسلام وأعلى مراتبه - وإذا كان هذا في الجهاد الذي هو سنام الدين وأساسه ، فما بالك بما عداه من الواجبات فضلاً عن المندوبات . بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- فضل بر الوالدين وعظم حقهما وعظم الثواب على برهما .

ب- اجمع العلماء على بر الوالدين وان عقوقهما حرام من الكبائر .

ت- إذا كان الجهاد تطوعاً فلا يجوز الخروج بدون إذن الوالدين ، إما إذا كان متعيناً فهو فرض عين فلا حاجة إلى إذنهما ويخرج العبد والأمة . (وقد ذهب الجمهور إلى أنه يجب استئذان الأبوين في الجهاد ويحرم إذا لم يأذنا أو أحدهما لأن برهما ، فرض عين والجهاد فرض كفاية قالوا وإذا تعين الجهاد فلا إذن .)⁽³⁾ قال الإمام الصنعاني (رحمه الله) : (وظاهره سواء كان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية وسواء تضرر الأبوان بخروجه أو لا ، وذهب الجماهير من العلماء إلى أنه يحرم الجهاد على الولد إذا منعه الأبوان أو أحدهما ، بشرط أن يكونا مسلمين ، لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية . فإذا تعين الجهاد فلا ، فإن قيل : بر الوالدين فرض عين أيضاً ، والجهاد عند تعينه فرض عين ، فهما مستويان فما وجه تقديم الجهاد ؟ قلت : لأن مصلحته أعم إذ هي لحفظ الدين والدفاع عن المسلمين ، فمصلحته عامة مقدمة على غيرها ، وهو يقدم على مصلحة حفظ البدن .)⁽⁴⁾

ث- وفيه بالتأكيد على بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما ، فقد يكون بر الوالدين أحياناً أفضل من الجهاد .

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير باب الجهاد بإذن الأبوين برقم " 2842 " / ج 3 ص 1093

(2) صحيح مسلم / ج 4 ص 1973

(3) الدراري المضية / الشوكاني / ج 1 ص 481 .

(4) سبل السلام / الصنعاني / ج 1 ص 199

ج- قال الإمام الصنعاني (رحمه الله): سُمي إتعاب النفس في القيام بمصالح الأبوين وإزعاجها في طلب ما يرضيهما، وبذل المال في قضاء حوائجهما جهاداً، من باب المشاكلة لما استأذنه في الجهاد، من باب قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾⁽¹⁾ ويحتمل أن يكون استعارة بعلاقة الضدية لأن الجهاد فيه إنزال الضرر بالأعداء، واستعمل في إنزال النفع بالوالدين، وفي الحديث دليل على أنه يسقط فرض الجهاد مع وجود الأبوين أو أحدهما⁽²⁾.

ح- وفيه دلالة على عظم برّ الوالدين فإنه أفضل من الجهاد وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة. وأنه ينبغي له أن يستفصل من مستشيريه ليدله على ما هو الأفضل⁽³⁾.

خ- قال الإمام النووي (رحمه الله): (هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما، وأنه أكد من الجهاد، وفيه حجة لما قاله العلماء، أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما ، فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه، وشرطه الثوري، هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال، وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن، وأجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين، وأن عقوقهما حرام من الكبائر.)⁽⁴⁾

رابعاً : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب المأكل والمشرب الحديث .

عن عمر بن أبي سلمه⁽⁵⁾ رضي الله عنه يقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) . فما زالت تلك طعمتي بعد تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽⁶⁾

(1) سورة الشورى - الآية: 40

(2) سبل السلام /الصنعاني / ج 1 ص 199

(3) المصدر نفسه .

(4) شرح النووي على مسلم / ج 16 ص 104

(1) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ربيب النبي صلى الله عليه وسلم صحابي صغير أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأمره علي على البحرين ومات سنة ثلاث وثمانين على الصحيح ، تقريب التهذيب ج1 - ص 413

(6) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، برقم " 5061 " ، / ج 5 ص 2056 / صحيح مسلم ، كتاب الاشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، برقم " 2022 " ، ج 3 - ص 1599 .

أهمية الحديث وأحكامه .

-ترجم له الإمام البخاري رحمه الله أكثر من باب منها (باب التسمية على الطعام والأكل باليمين)⁽¹⁾

- قال النووي في هذا الحديث استحباب الأكل والشرب باليمين ، وكراهة ذلك بالشمال ، وكذلك كل أخذ وعطاء .⁽²⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

من تمام نعمة الله علينا ، وكمال هذا الدين العظيم ، انه نظم كل شي في حياتنا ، فما من خير إلا دلنا عليه ، وما من شر إلا حذرنا منه ، ومن ذلك : بعد العقائد والعبادات تصرفاتنا الخاصة ، والتي رفعنا فيها نبينا إلى مستوى يليق بشرف الإنسان وتكريم الله تعالى له ، ومن ذلك نصائحه في كيفية تناول الإنسان المسلم لطعامه وشرابه ونحو ذلك . قال ابن حجر (رحمه الله) : (فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عند الفضلاء ، اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة .. وكل هذه الأوامر من المحاسن المكملة والمكارم المستحسنة ، والأصل فيما كان من هذا الترغيب والندب).⁽³⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ-إن في هذا مخالفة للشيطان ، كما في الأكل والشرب .

ب- إن فيه إكراماً لليد اليمنى على اليسرى .

ت-إن في هذا تفاؤلاً أن يجعلنا من أصحاب اليمين .

ث-وقال النووي (رحمه الله) : استحباب التسمية في ابتداء الطعام مجمع عليه ، وكذا يستحب حمد الله في آخره ، قال العلماء يستحب أن يجهز بالتسمية لينبه غيره ، فإن تركها عامداً أو ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً أو عاجزاً لعارض ثم تمكن في أثناء أكله ، يستحب له أن يسمي ، وتحصل التسمية بقوله بسم الله ، فإن اتبعها بالرحمن الرحيم كان حسناً ، ويسمى كل واحد من الآكلين .⁽⁴⁾

(1) ينظر صحيح البخاري / ج 5 ص 2055

(2) فتح الباري/لابن حجر/ ج 9 ص 522

(3) فتح الباري/ ج 9 ص 523

(4) عمدة القاري /للإيني / ج 21 ص 28

ج- وفي هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل، وهى التسمية، والأكل باليمين - وقد سبق بيانهما - والثالثة الأكل مما يليه، لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة، فقد يتقذره صاحبه. (1)

المبحث الخامس

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الأحكام .

إن الله جلت قدرته ندب للأمة حاكماً خلف به النبوة، وحاط به الملة، وجمع به الأمة، وفوض إليه السياسة، وأوجب الله على العباد نصحه بالحق، ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة حتى استتب بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، فمن هنا شرعت في تعريف الأحكام، ومن ثم بيان النصائح النبوية في هذا الباب، فتضمن هذا المبحث مطلبين يخصان الإمارة والسلطان، وهى عبارة عن نصائح نبوية في حق الراعي وفي حق الرعية .

المطلب الأول: تعريف الأحكام عند أهل اللغة والاصطلاح .

الأحكام عند أهل اللغة : جمع حُكْم وهو القضاء، وقد حَكَمَ بينهم يحكم بالضم حُكْماً و حَكَمَ له وحكم عليه، و الحُكْمُ أيضاً الحكمة من العلم، و الحكيمُ العالم وصاحب الحكمة، والحكيم أيضاً المتقن للأمور، وقد حَكَمَ من باب ظُرِفَ أي صار حكيماً و أحكَمَهُ

(1) شرح النووي على مسلم / ج 13 ص 193

فاسْتَحْكَمْ أي صار مُحْكَمًا، و الْحَكْمُ بفتح الحاء، و حَكَّمَهُ في ماله تحكيمًا إذا جعل إليه الحكم فيه فاختكم عليه في ذلك، واحتكموا إلى الحاكم و تحاكموا بمعنى، و المُحاكَمَةُ المخاصمة إلى الحاكم. (1)

أما الأحكام عند أهل العلم والاصطلاح : خطاب الله تعالى المفيد فائدة شرعية. (2)
- قال المناوي رحمه الله : الحكم عند أهل الميزان :إسناد أمر لآخر إيجاباً أو سلباً فخرج بهذا ما ليس بحكم ..

- وعند الأصوليين: خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف، وقال الحرالي (3) الحكم قصد المتصرف على بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما يتشوف إليه. (4)
- وقال الجرجاني الحكم :إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً فخرج بهذا ما ليس بحكم كالنسبة التقييدية ،والحكم الشرعي :عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين . (5)

المطلب الثاني: النطائم النبوية في باب الأحكام.

أوجب الله ورسوله على المسلمين النصيحة لمن يحكمهم ويرعاهم ويتولى رعايتهم في أمور الدين والدنيا، لان السلطان وحده لا يستطيع أن يحيط بكل ما ينفعه ويضره، وهو أحوج ما يكون إلى عقول الآخرين لإثراء درايته بدراية الآخرين وتجاربهم ومعرفتهم، وحتى يكون هناك تلاقح بالأفكار وتقارب في الآراء في قضايا عظيمة تتعلق بحياة الأمة، وما تحتاجه من حكمة وحزم في آن واحد ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسدد بالوحي - في حركاته وأقواله ونطقه - كان يشاور أصحابه وينزل عند رأيهم ويسمع نصحتهم . فليس السلطان والراعي لأمر بلده ودولته من مجتمع ملائكي لا يخطأ ولا يخل ،بل هو إنسان بحاجة إلى النصيحة في أبسط أمور حياته فكيف بأمور بلده وسياسة دولته ، وعلاقات دولته وأمتة بغيرها من الدول والأمم ، فالسلطان العادل والحازم هو الذي يحرص على النصيحة ويشترى كنوز النصيحة بتواضعه ، حتى

(1) مختار الصحاح /للرازي/ ج 1 ص 167

(2) المطلاع / محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله/ ج 1 ص 317

(3) علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي وحرالة من أعمال مرسية قال الذهبي ولد بمراكش وأخذ العربية عن ابن خروف وحج ولقي العلماء وجال في البلاد وشارك في عدة فنون ومال إلى النظريات وعلم الكلام وأقام بحماسة وفاة بها .. ، طبقات المفسرين - الأندروي / ج 1 - ص 273

(4) التعاريف /للمناوي/ ج 1 ص 291

(5) التعريفات /للجرجاني/ ج 1 ص 123

يجتنب مواضع الخلل والزلل . والسقوط لسلطته وسلطانه ، فمن هذه الضرورة جاءت الأحاديث
بوجوب نصح المسلمين للسلطان ونصح السلطان للمسلمين وهي على ما يأتي .
أولاً : أحاديث نصيحة المسلمين للسلطان .

الحديث الأول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله
يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن
تعصوا بحبل الله جميعاً وأن تناصحوا من ولاد الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال
وكثرة السؤال وإضاعة المال .

تخريج الحديث

الحديث أخرجه الإمام مسلم ⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : في هذا الحديث ضروب من العلم. ⁽²⁾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : جمع في هذا الحديث بين الخصال الثلاث
، إخلاص العمل لله ، ومناصحة أولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، وهذه الثلاث تجمع أصول
الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده
وتتنظم مصالح الدنيا والآخرة. ⁽³⁾

المعنى الإجمالي للحديث :

أوضح هذا الحديث أن الحقوق قسمان : حق لله وحق لعباده .

فحق الله : أن نعبد ولا نشرك به شيئاً .. وهذا معنى إخلاص العمل لله .

وحقوق العباد قسمان : خاص وعام .

أما الحق الخاص : فمثل بر كل إنسان والديه وحق زوجته وجاره ، فهذه من فروع الدين لأن
المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه ، ولأن مصلحتها خاصة فردية .

وأما الحقوق العامة : فالناس نوعان رعاة ورعية ، فحقوق الرعاة مناصحتهم ، وحقوق الرعية لزوم
جماعتهم ، فإن مصلحتهم لا تتم إلا بإجتماعهم ، وهم لا يجتمعون على ضلالة ، بل مصلحة دينهم
ودنياهم في إجتماعهم وإعتصامهم بحبل الله جميعاً ، فهذه الخصال تجمع أصول الدين. ⁽¹⁾

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، باب النهي عن كثرة المسائل برقم : 1715 ج : 3 ص : 1340.

(2) التمهيد/ لابن عبد البر/ ج 21 ص 272

(3) ينظر مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج 1 ص 18 بتصرف

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- أن الله يحب من عباده الإخلاص في عبادته ، في التوحيد وسائر الأعمال كلها التي يعبد بها ، وفي الإخلاص طرح الرياء كله ، لأن الرياء شرك أو ضرب من الشرك. (2)

ب- وفيه الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف، وحبل الله في هذا الموضوع فيه قولان، أحدهما كتاب الله والآخر الجماعة ، ولا جماعة إلا بإمام ، وهو عندي معنى متداخل متقارب (3) وقال : (والمراد من الاعتصام بحبل الله والله أعلم إجماع الجماعة على إمام يسمع له ويطاع، فيكون ولي من لا ولي له في النكاح، وتقديم القضاة للعقد على الأيتام وسائر الأحكام ، وقيام الأعياد والجمعات، وتؤمن به السبل ويتصف به المظلوم ، ويجاهد عن الأمة عدوها ، ويقسم بينها فيها لأن الاختلاف والفرقة هلكة ، والجماعة نجاة .
قال ابن المبارك رحمه الله ...

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمة في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا (4)

ت- قال المناوي (رحمه الله) : والمراد بقوله (وان تناصحوا من ولاه ..) : أي من جعله والي أمركم ، وهم الإمام ونوابه ، والمراد بمناصحتهم ترك مخالفتهم والدعاء عليهم ، والدعاء لهم ومعاونتهم على الحق ، والتلطف في إعلامهم بما غفلوا عنه من الحق والخلق ، ولم يؤكد هنا بقوله ولا تخالفوا إشعاراً بأن مخالفتهم جائزة إذا أمروا بمعصية . (5)

ث- قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : ففيه إيجاب النصحية على العامة لولاة الأمر ، وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء . (6)

ج- فائدة : حكى أن الأصمعي لما أراد الرشيد مجالسته قال له : اعلم أنك أعلم منا ، ونحن أعقل منك فلا تعلمنا في مالأ ، ولا تدرنا في خلاء واتركنا حتى نبدأك بالسلام ، ثم إذا بلغت في الجواب حد الاستحقاق ، لا تزد إلا باستدعاء ، وإذا وجدتنا خرجنا عن الحق فأرجعنا ما استطعت ، من غير تقرير على خطيئتنا ، ولا إضجار بطول التردد إلينا ، لئلا تهون في أعيننا فلا نعتني بقولك ، يا أبا

(1) ينظر المصدر نفسه / ج 1 ص 18 - 19

(2) التمهيد / لابن عبد البر / ج 21 ص 272

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه / ج 21 - ص 275

(5) فيض القدير / للمناوي / ج 2 ص 301

(6) التمهيد / لابن عبد البر / ج 21 - ص 284

محمد إنه لن تهلك أمة مع التناصح، ولن يهلك ملك مع الاستشارة ، ولن يهلك قلب مع التسليم⁽¹⁾

ح- قلت والحديث :رسالة مختصرة فيه جوامع من السياسة الشرعية والمعاني النبوية لا يستغنى عنها الراعي والرعية.

خ- وارى أن طاعة ولاية الأمور و مناصحتهم هو واجب على المسلم .قال ابن تيمية (رحمه الله): واجب لأنه قرنه بالإيمان ،وبالطاعة للإمام في سياق ما ينجي من النار ويوجب الجنة ،وهذا إنما يقال في الواجبات لأن المستحب لا يتوقف عليه ذلك، ولا يستقل بذلك ،ولهذا غاية الأحاديث التي يسأل فيها النبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل الجنة وينجي من النار إنما يذكر الواجبات⁽²⁾

الحديث الثاني :

عن العرياض بن سارية⁽³⁾ رضي الله عنه ، قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب ،فقال: فقلنا يا رسول الله، كأننا موعظة مودع فأوصنا ،قال : " أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة، وان تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ،تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه أصحاب السنن .⁽⁴⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

(1) فيض القدير /للمناوي / ج 2 ص 301

(2) الفتاوى الكبرى /لابن تيمية / ج 6 ص 150

(3) العرياض بن سارية الفزاري السلمي كان من البكائين سكن الشام روى عنه أهلها وكنية العرياض أبو الحارث مات سنة خمس وسبعين ، الثقات لابن حبان / ج 3 - ص 321

(4) الحديث أخرجه أصحاب السنن . سنن أبي داود ، كتاب السنة ،باب في لزوم السنة ، برقم : " 4607" ج: 4 ص: 200 ، وسنن الترمذي ،كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة ،برقم " 2676 " ج: 5 ص: 44، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد روى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، وسنن ابن ماجه ،باب إتباع سنة الخلفاء ، برقم : 43 ج: 1 ص: 16، وسنن البيهقي الكبرى ،كتاب أدب القاضي ،باب ما يقضي به القاضي ، برقم " 20125 " ج: 10 ص: 114، و المستدرك على الصحيحين ، كتاب العلم ، برقم : 329 ، ج: 1 ص: 174. قال الحاكم في مستدركه " هذا حديث صحيح ليس له علة " ووافقه الذهبي .

قال ابن رجب (رحمه الله) : قوله صلى الله عليه وسلم : (كل بدعة ضلالة) .

من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " ⁽¹⁾ فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه ، فهو ضلالة ، والدين بريء منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة . ⁽²⁾

والحديث بعد هذا يقرر عدة أصول : أصلاً في الوعظ ، أصلاً في الوصية ، أصلاً في طاعة أولي الأمر ، أصلاً في ذم الاختلاف ، أصلاً في ذم الابتداع ، أصلاً في التمسك بالسنة ، ولو لم يكن فيه غير واحد من هذه الأصول لكان كافياً في بيان أهميته . ⁽³⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة والنصيحة مخافة الملل ، وكان كلما بدا له أمر جمع أصحابه وخطب فيهم ، ووعظهم ، من غير تحديد لهم بوقت معين ، وقد لاحظ الصحابة في هذه الموعظة انه بالغ لهم فيها ، فخشي الصحابة أن تكون موعظة مودع ومفارق للدنيا ، فطلبوا منه وصية جامعة مانعة يتمسكون بها من بعده ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لهم ثلاثة أصول ما أن تمسكو بها لن يضلوا أبداً :

الأصل الأول : طاعة أولي الأمر .

الأصل الثاني : التمسك بسنته وسنة خلفائه من بعده .

الأصل الثالث : اجتناب الابتداع في الدين .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- شدة تأثير الموعظة في النفوس ، وذلك إذا صدق الواعظ والناصح واخلص واحكم النصيحة موضوعاً وأسلوباً وعرضاً .

ب- من سنة الوداع : أن يبالي المودع في نصح من يودعهم ، وفي إرشادهم إلى ما ينفعهم .

ت- قال بعض العلماء : العبد لا يكون والياً ، ولكن ضرب به المثل على التقدير وإن لم يكن ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة) ⁽¹⁾

(1) متفق عليه ، سبق تخريجه ، ينظر ص 156 .

(2) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 ص 266

(3) شرح الأربعين النووية في ثوب جديد / لعبد الوهاب أبو صفية / ص 322

ومفحص قطة لا يكون مسجداً ولكن الأمثال يأتي فيها مثل ذلك. (2)

ث- أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد العام أن نتبع سنته في جميع أقوالنا وأفعالنا وعقائدنا .

ج- من النصيحة لولاة الأمور : السمع والطاعة لهم ، قال ابن رجب (رحمه الله): (أما السمع والطاعة لولاة المسلمين ففيها سعادة الدنيا ، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربه ، وحمل الفاجر فيها إلى أجله . وقال الحسن البصري في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن الله إن طاعتهم لغيظ وإن فرقهم لكفر. (3)

ح- وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي الطريق المسلك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات. (4)

خ- أرى أن هذا الحديث يرتبط بالنصيحة لائمة المسلمين وذلك من خلال طاعتهم وعدم الاختلاف عليهم .

الحديث الثالث :

(1) الحديث صحيح : سنن ابن ماجه ، كتاب المساجد ، باب من بنى لله مسجداً ، برقم : 738 ج: 1 ص: 244 ، صحيح ابن خزيمة ، كتاب الصلاة ، باب في فضل المسجد وإن صغر المسجد وضاق ، برقم: 1292 ج: 2 ص: 269 ، صحيح ابن حبان ، كتاب الصلاة ، باب المساجد ، برقم: 1610 ج: 4 ص: 490 قال الارنؤوط : إسناده صحيح ، قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطة بنى الله له بيتاً في الجنة " رواه البزار والطبراني في الصغير ورجاله ثقات وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة رواه البزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال فيه " ولو كمفحص قطة " وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك ، ورواه ابن حبان والبزار من حديث أبي ذر وعند أبي مسلم الكجي من حديث ابن عباس وعند الطبراني في الأوسط من حديث أنس وابن عمر وعند أبي نعيم في الحلية من حديث أبي بكر الصديق . ينظر مجمع الزوائد ج: 2 ص: 7 ، فتح الباري ج: 12 ص: 164 ، سبل السلام ج: 4 ص: 18 ، مصباح الزجاجة ، ج: 1 ص: 94

(2) شرح الأربعين نوية / لابن دقيق / ج 1 ص 73

(3) جامع العلوم والحكم / لابن رجب / ج 1 ص 262

(4) المصدر نفسه / ج 1 ص 263

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود⁽¹⁾ يحدث عن أبيه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العلم لله، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه .⁽²⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

قال ابن عبد البر (رحمه الله): ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم دعا لمن حفظ مقالته هذه، فوعاها ثم أداها تأكيداً منه في حفظها وتبليغها، وهي: قوله ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ولزوم الجماعة، ومناصحة أولي الأمر.⁽³⁾

قال ابن القيم (رحمه الله): ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم أولها وثانيها سماعه وعقله، فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله، واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه،⁽⁴⁾ وقال أيضاً عن قوله "إن الدعوة تحيط من ورائهم" : (هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى، شبه دعوة المسلمين بالسور والسياح المحيط بهم المانع من دخول عدوهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام وهم داخلوها - لما كانت سوراً وسياحاً عليهم - اخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة - التي هي دعوة

(3) عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي ثقة من صغار الثانية مات سنة تسع وسبعين وقد

سمع من أبيه لكن شيناً يسيراً ، تقريب التهذيب ج 1 - ص 344

(2) الحديث صحيح : سنن الترمذي، كتاب العلم ،باب الحث على تبليغ السماع برقم: 2658 ج: 5 ص: 34 ، سنن ابن ماجه ،كتاب المناسك ،باب الخطبة يوم النحر ، برقم: 3056 ج: 2 ص: 1015 ، المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم ، برقم: 294 ج: 1 ص: 162 قال "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين قاعدة من قواعد أصحاب الروايات و لم يخرجاه فأما البخاري فقد روى في الجامع الصحيح عن نعيم بن حماد و هو أحد أئمة الإسلام و له أصل في حديث الزهري من غير حديث صالح بن كيسان فقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار من أوجه صحيحة عن الزهري" ووافقه الذهبي " وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده لم أر من ذكر أحدا منهم ، ينظر ، مجمع الزوائد ج 1 - ص 355.

(3) التمهيد / لابن عبد البر/ ج 21 ص 276

(4) مفتاح دار السعادة/ لابن القيم الجوزية / ج 1 ص 71

الإسلام - كما أحاطت بهم ،فالدعوة تجمع شمل الأمة وتلم شعثها وتحيط بها ،فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته .⁽¹⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بالدعاء منه لمن بلغ حديثه، وإن لم يكن فقيها ودعاء لمن بلغه ،وإن كان المستمع أفقه من المبلغ، لما أعطى المبلغون من النضرة ،ولهذا قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحد من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم .⁽²⁾

وأرسي بعد هذا الدعاء ثلاثة أصول، لا يكون قلب المؤمن عليهن ولا معهن غليلاً أبداً، ولا يكون فيه مرض ولا نفاق إذا جمع هذه الأصول :

الأصل الأول : إخلاص العمل لله . (فالمخلص لله ، إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه ، فلم يبق فيه موضع للغل والغش)⁽³⁾
الأصل الثاني : مناصحة أئمة المسلمين . (لان النصيحة لا تجامع الغل إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة، فقد برئ من الغل والغش .)⁽⁴⁾

الأصل الثالث : لزوم الجماعة المسلمة . (و هذا أيضا مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ،ويسوؤه ما يسوؤهم ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم).⁽⁵⁾
بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) :ثلاث لا يغل عليهن ، أي لا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه :بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنة⁽⁶⁾

(1) المصدر نفسه / ج 1 ص 73

(2) مجموع الفتاوى /لابن تيمية/ ج 1 ص 11

(3) مفتاح دار السعادة /لابن القيم الجوزية/ ج 1 ص 72

(4) المصدر نفسه .

(5)مفتاح دار السعادة /ج 1 ص 72

(6) مدارج السالكين /لابن تيمية/ ج 2 ص 90

ب- قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله): قوله فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، أو هي من ورائهم محيطة، فمعناه عند أهل العلم: أن أهل الجماعة في مصر من أمصار المسلمين إذا مات إمامهم، ولم يكن لهم إمام فأقام أهل ذلك المصّر -الذي هو حضرة الإمام وموضعه- إماماً لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه، فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق، يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن معلناً بالفسق والفساد معروفاً بذلك، لأنها دعوة محيطة بهم يجب إجابتها، ولا يسع أحداً التخلف عنها، لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين (1).

ت- فيه فائدة في التبليغ، أن المبلّغ قد يكون أفهم من المبلّغ فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلّغ، أو يكون المعنى أن المبلّغ قد يكون أفقه من المبلّغ، فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها. (2)

ث- الثابت والمعلوم من نصيحة المسلمين للسلطان: السمع والطاعة ولزوم الجماعة، وترك الشذوذ والانفراد والخروج عليهم.

ثانياً: نصيحة السلطان للمسلمين.

الحديث الأول:

عن الحسن أن عبيد الله بن زياد⁽³⁾ عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة)

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه الإمام البخاري. (4)

(1) التمهيد / لابن عبد البر / ج 21 ص 277 - 278

(2) مفتاح دار السعادة / لابن القيم الجوزية / ج 1 ص 72

(4) عبيد الله بن زياد ويقال زياد أبو زيادة البكري أو الكندي الدمشقي ثقة من الثالثة وروايته عن بلال

مرسلة، تقريب التهذيب ج 1 - ص 371

(4) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، برقم "

6731، ج 6 ص 2614.

أهمية الحديث وأحكامه .

أ- قال القاضي عياض (رحمه الله) : هذا الحديث بين في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أوّتمن عليه، فلم ينصح فيما قلده، إما بتضييعه تعريضهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما عدم بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لا دخال داخله فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم .⁽¹⁾

ب- قال ابن بطال (رحمه الله): في هذا الحديث وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيع من استرعاه الله عليهم أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة .⁽²⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن أمر الراعي أو الحاكم الذي فوض إليه رعاية الرعية، فهو بمثابة الحافظ المؤتمن على ما يليه من أمر المسلمين، فإذا ما غش رعيته ولم يحافظ على مصالحها، ولم ينصح لها بإقامة الحدود واستخلاص الحقوق، وحماية البيضة ومجاهدة العدو وحفظ الشريعة وصون الملة، فهو داخل في هذا الوعيد الشديد المفيد، لكون ذلك من أكبر الكبائر المبعدة عن الجنة .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال الإمام النووي (رحمه الله): وفي هذه الحديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته، والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم.⁽³⁾

ب- فيه منقبة لمعقل بن يسار رضي الله عنه : (أنه كان يخافه على نفسه قبل هذا الحال، ورأى وجوب تبليغ العلم الذي عنده قبل موته،
لئلا يكون مضيعاً له وقد أمرنا كلنا بالتبليغ)⁽⁴⁾

ت- فائدة : عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أما بعد: فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله من

(1) شرح النووي على مسلم / ج 2 ص 166

(2) ينظر سبل السلام / للصنعاني / ج 1 ص 236

(3) شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 215

(4) المصدر نفسه / ج 12 ص 215-216

شقيت به رعيته ،فإياك أن تزيع فتزيع عمالك، ويكون مثلك مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض ،فرعت فيها تبتغي بذلك السمن وإنما حتفها في سمنها والسلام. (1)

ث- يحصل غش الراعي لرعيته : (بظلمه لهم بأخذ أموالهم، أو سفك دمائهم ،أو انتهاك أعراضهم وحبس حقوقهم ،وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم ،ويأهمال إقامة الحدود فيهم وردع المفسدين منهم، وترك حمايتهم ونحو ذلك .) (2)

ج- الأصل في الراعي أن يديم لرعيته النصيحة لا يغشهم حتى يموت على ذلك ،فلما قلب القضية استحق أن يعاقب بهذا الوعيد الوارد في الحديث .

الحديث الثاني :

عن عائذ بن عمرو⁽³⁾ وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على عبيد الله بن زياد فقال: "أي بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن شر الرعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم) فقال له: " اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم "فقال :وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم (4)

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الإمام النووي (رحمه الله) :قوله (وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم ،فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم ،وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ،وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. (5)

(1) الاستذكار /لابن عبد البر/ ج 8 ص 381

(2) فتح الباري /لابن حجر/ ج 13 ص 128

(3) عائذ بن عمرو بن هلال المزني أبو هبيرة البصري صحابي شهد الحديبية مات في ولاية عبيد الله بن زياد سنة إحدى وستين، تقريب التهذيب /لابن حجر / ج 1 - ص 289

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ، برقم " 1830 " ، ج 3 ص 1461 .

(5) شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 216

قال المناوي رحمه الله : هذا الحديث من أمثال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ضربه مثلاً للوالي حيث استعار للوالي الرعي ، واتبعه بما يلائم المستعار منه من صفة الحطم .⁽¹⁾
المعنى الإجمالي للحديث .

في هذا الحديث العظيم ، توجه من النبي صلى الله عليه وسلم ، بوجوب نصح الراعي لرعيته ، فالراعي الذي لا يرفق برعيته ويستخدم العنف والقوة المفرطة في قيادة رعيته ، جعله النبي صلى الله عليه وسلم من شر الناس ، وشبهه براعي الغنم الذي لا يرفق بها في سوقها ومرعاها ، بل يحطمها في ذلك وفي سقيها ، ويزاحم بعضها بعض بحيث يؤذيها ويحطمها ، فالواجب على الراعي أن يرفق برعيته وان ينصح لهم في مصالحهم .
بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- وهذا من أمثال المصطفى صلى الله عليه وسلم استعار للوالي الرعي ، وأتبعه بما يلائم المستعار منه من صفة الحطم ، وقيل هو الأكل الحريص الذي يأكل ما يرى ويقضمه ، فإن من هذا دأبه يكون دنيء النفس ظالماً بالطبع ، شديد الطمع فيما في أيدي الناس .⁽²⁾

ب- يجب على ولاية الأمر الرفق بالرعية ، والإحسان إليهم وإتباع مصالحهم ، وتولية من هو أهل الولاية ، ودفع الشر عنهم . وغير ذلك من مصالحهم .

ت- في هذا الحديث بيان ما يجب على الرعاة لرعيته من الحقوق .

ث- لا يجوز للإنسان الذي ولاه الله تعالى على أمر من أمور المسلمين ، أن يكون عنيفاً عليهم بل يكون رفيقاً بهم .

ج- وجوب الرفق بمن ولاه الله عليهم بحيث يرفق بهم في قضاء حوائجهم ، مع كونه يستعمل الحزم والقوة ..

ح- التحذير من البطش بالرعية وبخس حقوقهم وعدم الاهتمام بهم .

خ- قال الإمام الصنعاني (رحمه الله): وفي هذا دليل على أنه يجب على الوالي تيسير الأمور على من وليهم ، والرفق بهم ومعاملتهم بالعفو والصفح ، وإيثار الرخصة على العزيمة في حقهم ، لئلا يدخل عليهم المشقة ،

وفعل بهم ما يحب أن يفعل به الله .⁽³⁾

الحديث الثالث :

(1) فيض القدير / للمناوي / ج 2 ص 454

(2) المصدر نفسه .

(3) سبل السلام / الإمام الصنعاني / ج: 4 ص: 191

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا كلکم راع، وکلکم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه ألا فکلکم راع وکلکم مسؤول عن رعيته .
تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام البخاري ومسلم (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الطيبي (رحمه الله): في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه، فإنه أجمل أولاً ثم فصل وأتى بحرف التنبيه مكرراً.. وختم بما يشبه الفذلكة (2) إشارة إلى استيفاء التفصيل.. وقال غيره: دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل الأمور ويحتمل المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً، فجوارحه وقواه وحواسه رعيته، ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعياً أن لا يكون مرعياً باعتبار آخر. (3)

المعنى الإجمالي للحديث .

هذا حديث عظيم في تأصيل المسؤولية، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم مناط المسؤولية مشتركة بين الجميع، فأشرك بها الراعي والرعية، والرجل والمرأة والحر والعبد، ولكن المعاني مختلفة، وترتبت في الحديث النبوي على الشكل الآتي :
الراعي : فرعاية الإمام الأعظم، حيطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم .
الرجل : وتمثل برعايته لأهله، وسياسته لأمرهم وإيصاله لحقوقهم .
المرأة : وتمثل رعاية المرأة بتدبير أمر البيت والأولاد والخدم، والنصيحة للزوج في كل ذلك .
العبد : وتمثل برعايته وحفظه لمال سيده، وما تحت يده، والقيام بما يجب عليه من خدمته .
بعض ما يرشد إليه الحديث .

(1) متفق عليه ، سبق تخريجه ، ينظر ص 182 .

(3) الفذلكة : جُمْلَةٌ عَدَدٌ قَدْ فُصِّلَ ، ينظر تاج العروس من جواهر القاموس / محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي/ ج 1 - ص 6763 / دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(3) فتح الباري / لابن حجر/ ج 13 ص 113

أ-الرعاية مسؤولية خطيرة يحاسب عليها من وليت له ،ويتحمل تبعه عدم النصح والإخلاص في القيام بها

ب- قال الإمام ابن عبد البر :يجب على الإمام النصح لرعيته كما يجب عليهم له .⁽¹⁾

ت- أن كل من كانت تحت نظره وولاياته أسرة أو إخوة أو شعب أو امة ،مطالب بالعدل فيهم والقيام بمصالحهم ،فان وفى حق الرعاية والنظر، نال الحظ الأكبر من سلامة الدنيا ونعيم الآخرة ،وان اخل بالحقوق التي استودعه الله إياها واستأمنه رعايتها وحفظها، كان من حق كل فرد من أفراد الرعية أن يطالبه بها .

ث- الراعي والحاكم وكل إليه شأن الأمة يدبر أمورها ويحفظ حقوقها ،وهو مسؤول عن كل شيء فيها وعن كل فرد منها .

المبحث السادس

نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب البيوع .

ما من باب من أبواب الشريعة إلا وتدخل النصيحة فيه، لان ديننا مبني على النصيحة ، ولمنزلة النصيحة ومكانتها نجدها دخلت حتى في باب البيوع والمعاملات من خلال التهيب من الغش ،والترغيب في النصيحة في البيع وغيره . حيث تناولت كثير من الأحاديث النصح في البيوع والتهيب من غش المسلم . فمن ها هنا شرعت في تعريف البيوع عند أهل اللغة والاصطلاح ،ومن ثم أحاديث النصيحة في باب البيوع .

المطلب الأول : تعريف البيع عند أهل اللغة والاصطلاح .

(1) التمهيد لابن عبد البر /ج: 21 ص: 288

عند أهل اللغة : البيوع : جمع بيع وباع الشيء يبيعه بيعاً و مبيعاً شراه، وهو شاذ وقياسه مباعاً و باعته أيضا اشتراه فهو من الأضداد. (1)

وقال صاحب المصباح المنير البيع من : باعه (يبيعه) (بيعاً) و (مبيعاً) فهو (بائعٌ وبيِعٌ) و (أباعه) بالألف لغة قاله ابن القطاع (2) و (البيعُ) من الأضداد مثل الشراء، ويطلق على كل واحد من المتعاقدين أنه (بائعٌ)، ولكن إذا أطلق (البائعُ) فالمتبادر إلى الذهن باذل السلعة، ويطلق (البيعُ) على المبيع فيقال (بيعٌ جيدٌ) وجمع على (يُبوعُ) و (بيعتُ) زيدا الدار يتعدى إلى مفعولين، وكثر الاختصار على الثاني لأنه المقصود بالإسناد ولهذا تتم به الفائدة. (3)

أما البيوع عند أهل العلم والاصطلاح :

قال الجرجاني (رحمه الله) : البيع مبادلة المال المتقوم بالمال المتقوم تملكاً وتملكاً، واعلم أن كل ما ليس بمال كالخمر والخنزير فالبيع فيه باطل، سواء جعل مبيعاً أو ثمناً، وكل ما هو مال غير متقوم فإن بيع بالثمن أي بالدراهم والدنانير فالبيع باطل، وإن بيع بالعرض أو بيع العرض به فالبيع في العرض فاسد، فالباطل هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله والفاقد هو الصحيح بأصله لا بوصفه وعند الشافعي لا فرق بين الفاسد والباطل. (4)

قال المناوي (رحمه الله): البيع : رغبة المالك عما في يده إلى ما في يد غيره، والشراء رغبة المستملك فيما في يد غيره بمعاوضة بما في يده مما رغب عنه، فلذلك كل شار بائع . (5)

المطلب الثاني: أحاديث النصيحة في باب البيوع .

الحديث الأول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة (6) طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللدا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته

(1) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 73

(2) أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطّاع : ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ومات سنة خمس عشرة وخمسمائة ، المزهر في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 397

(3) المصباح المنير / الفيومي / ج 1 ص 69

(4) التعريفات / للجرجاني / ج 1 ص 68

(5) التعاريف / المناوي / ج 1 ص 153

(6) قال الازهرى : الصبرة الكومة المجموعة من الطعام سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض ، شرح النووي على مسلم / النووي / ج2 - ص 109

السماء يا رسول الله قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم ⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الطيبي (رحمه الله): لم يرد بهذا الحديث نفيه عن الإسلام، بل نفي خلقه عن أخلاق، المسلمين أي ليس هو على سنتنا أو طريقتنا في مناصحة الإخوان كما يقول الإنسان لصاحبه "أنا منك" يريد الموافقة والمتابعة قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (*) (⁽²⁾).

المعنى الإجمالي للحديث .

حذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث النبوي أمته من الغش في البيع والشراء، وتوعد فاعله بالخروج عن طريقة محمد عليه الصلاة والسلام، فكفى باللفظ النبوي (ليس مني) زاجراً عن الغش، ورادعاً من الولوغ في حياضه الدنسة، وحاجزاً من الوقوع في مستنقع الآسن .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

قال ابن حجر (رحمه الله): قوله : (فليس منا) أي ليس على طريقتنا أو ليس متبعاً لطريقتنا، لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره، ويقاتل دونه لا أن يربعه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله، ونظيره من غشنا فليس منا. ⁽³⁾

أ- إذا كان الغش في الطعام يؤدي إلى يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه، لان في ذلك مفسد عظام. فكيف يكون جزاء من يغش في دين الله، وبينني كثيراً من أمور دينه وديناه على

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من

غشنا فليس منا ، برقم " 102 " ، ج 1 ص 99

* سورة إبراهيم - الآية : 36

(2) فيض القدير / للمناوي / ج 6 ص 185

(3) فتح الباري / ابن حجر / ج 13 - ص 24

الغش والتدليس ؟ انه زجر شديد ووعيد مخيف : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾

ب- قال ابن قدامة المقدسي (رحمه الله): لا يحل لبائع الصبرة أن يغشها، بأن يجعلها على دكة أو ربوة أو حرج ينقصها، أو يجعل الرديء في باطنها أو المبلول ونحو ذلك فإذا وجد ذلك ولم يكن المشتري علم به فله الخيار بين الفسخ وأخذ تفاوت ما بينهما لأنه عيب، وإن بان تحتها حفرة أو بان باطنها خيراً من ظاهرها فلا خيار للمشتري لأنه زيادة له، وإن علم البائع ذلك فلا خيار له لأنه دخل على بصيرة به، وإن لم يكن علم فله الفسخ كما لو باع بعشرين درهما فوزنها بصنجه ثم وجد الصنجة زائدة كان له، الرجوع وكذلك لو باع بمكيال ثم وجدته زائداً، ويحتمل أنه لا خيار له لأن الظاهر أنه باع ما يعلم فلا يثبت له الفسخ بالاحتمال.⁽²⁾

ت- الغش يكون فيهما بمحاولة إخفاء العيب، ويكون في طرق أخرى كالغش في ذاتية البضاعة أو عناصرها أو كميتها أو وزنها أو صفاتها وهكذا ..

ث- يدل الحديث على تحريم الغش وهو مجمع عليه⁽³⁾ وهو نقيض النصيحة .

ج- قال ابن تيمية : قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الغاش ليس بداخل في مطلق اسم أهل الدين والإيمان كما قال : " لا يزني الزاني حين بزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "⁽⁴⁾ فسلبه حقيقة الإيمان التي بها يستحق حصول الثواب والنجاة من العقاب، وإن كان معه أصل الإيمان الذي يفارق به الكفار ويخرج به من النار، والغش يدخل في البيوع بكتمان العيوب وتدليس السلع، مثل أن يكون ظاهر المبيع خيراً من باطنه كالذي مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر عليه، ويدخل في الصناعات مثل الذين يصنعون المطعومات من الخبز والطبخ والعدس والشواء وغير ذلك.⁽⁵⁾

ح- قال الإمام الغزالي (رحمه الله): على البائع أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها، ولا يكتُم منها شيئاً، فذلك واجب فإن أخفاه كان ظالماً غاشاً، والغش حرام، وكان تاركاً للنصح في المعاملة، والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشاً، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله.⁽⁶⁾

(1) سورة النور - الآية: 63

(2) المغني / لابن قدامة المقدسي / ج 4 ص 245

(3) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 4 ص 453

(4) متفق عليه ، سبق تخريجه ص 217 .

(5) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج 28 ص 72

(6) ينظر الاحياء / للإمام الغزالي / ج 2 ص 75

خ- إظهار عيب السلعة يكون على الوجوب ، قال الإمام الغزالي (رحمه الله): (ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريراً على الإسلام ، ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم .⁽¹⁾)

الحديث الثاني :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رجلاً ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يخدع في البيوع فقال : إذا بايعت فقل لا خدابة.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم.⁽²⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

ترجم الإمام البخاري له باباً فقال : (باب ما يكره من الخداع في البيع)⁽³⁾ قال ابن حجر (رحمه الله): كأنه أشار بهذه الترجمة إلى أن الخداع في البيع مكروه، ولكنه لا يفسخ البيع إلا أن شرط المشتري الخيار.⁽⁴⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

للحديث قصة ذكرها الإمام ابن حجر (رحمه الله) أن رجلاً وهو حبان بن منقذ⁽⁵⁾ كان يبايع وكان في عقله ضعف ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: " إذا بايعت فقل لا خدابة " :أي لا خديعة في الدين لان الدين النصيحة ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال فان رضيت فامسك وان سخطت فاردد فبقي حتى أدرك

(1) المصدر نفسه / ج 2 - ص 75 - 76

(2) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب ما يكره من الخداع في البيع ، برقم " 2011 " ، ج 2 ص 745 / صحيح مسلم ، كتاب البيوع ، باب من يخدع في البيع ، برقم " 1533 " ، ج 3 - ص 1165 .

(3) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب ما يكره من الخداع ، برقم " 2011 " ج 2 ص 745

(4) فتح الباري / لابن حجر / ج 4 ص 337

(5) حبان بفتح أوله وتشديد الموحدة بن منقذ بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي ، الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ج 2 - ص 11

زمان عثمان وهو بن مائة وثلاثين سنة، فكثر الناس في زمن عثمان، وكان إذا اشترى شيئاً فقليل له أنك غبت فيه رجع به، فيشهد له الرجل من الصحابة بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعله بالخيار ثلاثاً، فيرد له دراهمه، قال العلماء لقنه النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول ليتلفظ به عند البيع، فيطلع به صاحبه على أنه ليس من ذوي البصائر في معرفة السلع ومقادير القيمة، فيرى له كما يرى لنفسه، لما تقرر من حض المتبايعين على أداء النصيحة. (1)

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال ابن العربي (رحمه الله): يحتمل أن الخديعة في قصة هذا الرجل كانت في العيب أو في الكذب أو في الثمن أو في الغبن، فلا يحتج بها في مسألة الغبن بخصوصها، وليست قصة عامة وإنما هي خاصة في واقعة عين، فيحتج بها في حق من كان بصفة الرجل. (2)

ب- قال الإمام العيني (رحمه الله): ذكر ما يستفاد من هذا الحديث وهو على وجوه (3):

الأول : مذهب الحنفية والشافعية على أن الغبن غير لازم، فلا خيار للمغبون سواء قل الغبن أو كثر، وهو الأصح من روايتي مالك، وقال البغداديون من أصحابه للمغبون الخيار بشرط أن يبلغ الغبن ثلث القيمة، وإن كان دونه فلا، هكذا حده أبو بكر. (4)

وابن أبي موسى (5) من الحنابلة، وقيل السدس، وعند داود العقد باطل، وعند مالك إن كانا عارفين بتلك السلعة وسعرها وقت البيع لم يفسخ البيع، كثيراً كان الغبن أو قليلاً فإن كان أحدهما غير عارف بذلك، فسخ البيع ألا أن يريد أن يمضيه، ولم يحد مالك حداً وأثبت هؤلاء

(1) ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج 4 ص 337 بتصرف

(2) المصدر نفسه / ج 4 ص 337-338

(3) ينظر عمدة القاري / للعيني / ج 11 ص 233-234

(4) أبو بكر الحنبلي محمد بن عبيد الله بن أحمد أبو بكر ابن أبي القاسم الحنبلي من أهل دير العاقول روى عن والده أبي القاسم وعن الإمام أبي حامد الاسفراييني والوزير أبي القاسم الحسين المغربي وأبي الحسين الحاجب وروى عنه مسعود بن ناصر السجزي ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 453

(5) عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب أبو جعفر ابن أبي موسى الفقيه . إمام طائفة الحنابلة في زمانه بلا مدافعة . كان ورعاً زاهداً مفنناً عالماً بأحكام القرآن والفرائض دفن إلى جانب الإمام أحمد ، الوافي في الوفيات

/الصفدي / ج 1 - ص 2554

خيار الغبن بالحديث المذكور، وأجاب الحنفية والشافعية وجمهور العلماء عن الحديث بأنها واقعة عين وحكاية حال ..

الثاني: استدل به الشافعي وأحمد وإسحاق رضي الله تعالى عنهم، على حجر السفية الذي لا يحسن التصرف، ووجه ذلك أنه لما طلب أهله إلى النبي ﷺ الحجر عليه دعاه فنهاه عن البيع⁽¹⁾، وهذا هو الحجر وهو المنع قلنا (أي الإمام العيني) هذا نهى خاص به لضعف عقله، ولا يسري هذا في الحجر على الحر العاقل البالغ لأن في حجره إهدار الآدمية ...

الثالث: استدل به أبو حنيفة (رحمه الله) إلى أن ضعيف العقل لا يحجر عليه ...

الرابع: استدل به ابن حزم (رحمه الله) على أنه يتعين في اللفظ الموجب للخيار، ذكر الخلابة دون غيره من الألفاظ، فلو كان لا خديعة أو غش أو .. أو نحو هذا لم يكن له الخيار المجعول لمن قال لا خلابة، إلا أن يكون في لسانه خلل يعجز عن اللفظ بها فيكفي أن يأتي بما يقدر عليه من هذا للفظ.

الخامس: قال بعضهم استدل به على أن أمد خيار الشرط ثلاثة أيام من غير زيادة، لأنه حكم ورد على خلاف الأصل، فيقتصر به على أقصى ما ورد فيه، ويؤيده جعل الخيار في المصرة ثلاثة أيام، واعتبار الثلاث في غير موضع .

ت- قال العيني (رحمه الله) أيضا: اختلف الفقهاء⁽²⁾ في هذا الحديث .

فقالت طائفة البيع بشرط الخيار جائز، والشرط لازم إلى الأمد الذي اشترط إليه الخيار، وهذا قول ابن أبي ليلى⁽³⁾ والحسن بن صالح⁽⁴⁾ .. وأبي ثور⁽¹⁾ .. وابن المنذر⁽²⁾، وقال الليث يجوز

(1) ثبت هذا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم يبتاع و كان في عقدته ضعف فأتى أهله رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا : يا نبي الله أحجر على فلان فإنه يبتاع و في عقدته ضعف فدعاه نبي الله صلى الله عليه و سلم فنهاه عن البيع قال : يا نبي الله إني لا أصبر عن البيع فقال : إن كنت غير تارك البيع فقل ها و لا خلابة ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، المستدرک برقم " 7061 " ج 4 - ص 113 .

(2) ينظر عمدة القاري / للعيني / ج 11 ص 234-235

(3) ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي قاضي الكوفة وفقيها وعالمها ومقرنها في زمانه روى عن الشعبي وعطاء ابن أبي رباح ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 387

(4) الحسن بن صالح بن حي الفقيه أبو عبد الله الهمداني الكوفي العابد أخو علي بن صالح قال أبو زرعة : اجتمع في الحسن بن صالح : إتقان وفقه وعبادة وزهد وكان وكيع يعظمه ويشبهه بسعيد بن جبیر ، الوافي

في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 1647

الخيار إلى ثلاثة أيام فأقل . وقال عبيد الله بن الحسن⁽³⁾ لا يعجبني شرط الخيار الطويل ، إلا أن الخيار للمشتري ما رضي البائع . وقال ابن شبرمة⁽⁴⁾ والثوري لا يجوز البيع إذا شرط فيه الخيار للبائع أو لهما وقال سفيان البيع فاسد بذلك ، فإن شرط الخيار للمشتري عشرة أيام أو أكثر جاز .

وقال مالك يجوز شرط الخيار في بيع الثوب اليوم واليومين والجارية إلى خمسة أيام ..
وقال الأوزاعي : يجوز أن يشترط شهراً أو أكثر . وقال أبو حنيفة⁽⁵⁾ والشافعي

وزفر⁽⁶⁾ : الخيار في البيع ثلاثة أيام ولا يجوز الزيادة عليها فإن زاد فسد البيع .

الحديث الثالث .

عن عبد الله بن طاوس⁽⁷⁾ عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد) . قال فقلت لابن عباس ما قوله (لا يبيع حاضر لباد) . قال لا يكون له سمساراً
تخريج الحديث .

(1) أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي الفقيه من أهل بغداد يروى عن يزيد بن هارون والناس مات لثلاث بقين من صفر سنة أربعين ومائتين وكان أحد أئمة الدنيا فقها وعلماء وورعاً وفضلاً وديانة وخيراً ممن صنف الكتب وفرع على السنن وذب عن حريمها وقمع مخالفها ، الثقات لابن حبان / ج 8 - ص 74

(2) الإمام ابن المنذر محمد بن إبراهيم بن المنذر ، الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه صاحب التصانيف توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مائة بمكة قال أبو إسحاق في كتاب الطبقات : صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف انتهى ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 145

(3) الحافظ أبو نعيم الإصبهاني عبيد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني . الحداد . الحافظ أبو نعيم . رحل في طلب الحديث وعني بجمعه ونسخ الكثير بخطه المليح / الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 2807

(4) عبد الله بن شبرمة بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء بن الطفيل بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه من الخامسة مات سنة أربع وأربعين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 307

(5) النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة الإمام يقال أصلهم من فارس ويقال مولى بني تميم فقيه مشهور من السادسة مات سنة خمسين على الصحيح وله سبعون سنة ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 563

(6) زفر مولى مسلمة بن عبد الملك وهو أبو راشد بن زفر بن زفر بن الهذيل العنبري الفقيه صاحب أبي حنيفة .

مولده سنة ست عشرة ووفاته سنة ثمان وخمسين ومائة ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 1979

(7) عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني أبو محمد ثقة فاضل عابد من السادسة مات سنة اثنتين وثلاثين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 308

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث أكثر من باب منها: (باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه)⁽²⁾ ثم ساق الحديث .

قال ابن المنير⁽³⁾ وغيره : حمل المصنف النهي عن بيع الحاضر للبادي على معنى خاص ، وهو البيع بالأجر أخذاً من تفسير بن عباس وقوى ذلك بعموم أحاديث الدين النصيحة لأن الذي يبيع بالأجرة ، لا يكون غرضه نصح البائع غالباً وإنما غرضه تحصيل الأجرة ، فافتضى ذلك إجازة بيع الحاضر للبادي بغير أجر من باب النصيحة.⁽⁴⁾

قال العيني (رحمه الله) : فيه مطابقة الحديث للترجمة : من حيث إن قوله لا يبيع حاضر لباد يوضح الإبهام الذي في الترجمة بالاستفهام وأن جوابه لا يبيع.⁽⁵⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

في هذا الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم الحاضر أن يبيع للبادي في زمن الغلاء شيئاً يحتاج إليه أهل البلد ، فهذا مذكور في كتب الحنفية قاله غيرهم .

صورة النهي : أن يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت في الحال ، فيأتيه بلدي فيقول له ضعه عندي لا يبيعه لك على التدريج بأعلى من هذا السعر ، فجعلوا الحكم منوطاً بالبادي ومن شاركه في معناه ، قال وإنما ذكر البادي في الحديث لكونه الغالب ، فالحق به من يشاركه في عدم معرفة السعر الحاضر وأضرار أهل البلد ، بالإشارة عليه بان لا يبادر بالبيع ، وهذا تفسير الشافعية والحنابلة ، وجعل المالكية البدواة قيداً ، وعن مالك لا يلتحق بالبدوي في ذلك

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه ، برقم " 2050 " ، ج 2 ص 757 / صحيح مسلم ، كتاب البيوع ، باب تحريم بيع الحاضر للبادي ، برقم " 1521 " ج 3 - ص 1157 .

(2) صحيح البخاري / باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه ، برقم " 2050 " / ج 2 ص 757

(3) ابن المنير المروحي الشافعي محمد بن سليمان بن فرح بن المنير الكندي الفقيه الشافعي سمع من أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة الشافعي وأخذ الفقه عن الشيخ مجد الدين ابن دقيق العيد وكان ديناً صالحاً ورعاً تولى الحكم بأرمنت وأدفو وبأسوان ، الوافي في الوفيات / الصفدي / ج 1 - ص 353

(4) فتح الباري / لابن حجر / ج 4 ص 370 - 371

(5) عمدة القاري / العيني / ج 11 ص 282

إلا من كان يشبهه، قال فأما أهل القرى الذين يعرفون أثمان السلع والأسواق فليسوا داخلين في ذلك .⁽¹⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- فيه أنه لا يجوز بيع الحاضر للبادي قال النووي وبه قال الشافعي والأكثر .⁽²⁾

ب- الحديث ينهى عن تلقي الركبان وعن بيع الحاضر للبادي إلا ما كان من أمر عطاء بن رباح⁽³⁾ رضي الله عنه قال ابن حجر (رحمه الله) : (ورخص فيه عطاء أي في بيع الحاضر للبادي .. فعن عبد الله بن عثمان⁽⁴⁾ أي بن خثيم عن عطاء بن أبي رباح قال: سألته عن أعرابي أبيع له؟ فرخص لي .. وعن مجاهد قال: إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد لأنه أراد أن يصيب المسلمون غرتهم، فأما اليوم فلا بأس، فقال عطاء: لا يصلح اليوم فقال مجاهد: ما أرى أبا محمد إلا لو أتاه ظئر له من أهل البادية إلا سيبيع له، فالجمع بين الروايتين عن عطاء أن يحمل قوله هذا على كراهة التنزيه، ولهذا نسب إليه مجاهد ما نسب وأخذ بقول مجاهد في ذلك أبو حنيفة، وتمسكوا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة" وزعموا أنه ناسخ لحديث النهي، وحمل الجمهور حديث "الدين النصيحة" على عمومته إلا في بيع الحاضر للبادي فهو خاص فيقضى على العام والنسخ لا يثبت بالاحتمال، وجمع البخاري بينهما بتخصيص النهي بمن يبيع له بالأجرة كالسمسار وأما من ينصحه فيعلمه بان السعر كذا مثلاً، فلا يدخل في النهي عنده والله أعلم)⁽⁵⁾

ت- اختلف العلماء في هذا النهي : فعند الجمهور أن النهي الوارد في الحديث على وجه التحريم، بشرط العلم بالنهي، وأن يكون المتاع المجلوب مما يحتاج إليه، وأن يعرض الحضري ذلك على البدوي فلو عرضه البدوي على الحضري لم يمنع، وزاد بعض الشافعية عموم الحاجة، وأن يظهر ببيع ذلك المتاع السعة في تلك البلد، قال ابن دقيق العيد : أكثر هذه الشروط تدور

(1) ينظر فتح الباري / لابن حجر / ج 4 ص 371

(2) عون المعبود / ج 9 ص 219

(3) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 391

(4) عبد الله بن عثمان بن خثيم بن القارة كنيته أبو عثمان يروى عن أبي الطفيل عداة في أهل مكة روى عنه معمر والناس مات قبل سنة أربع وأربعين ومائه وقد قيل سنة سنة خمس وثلاثين ومائه وكان يخطيء ، الثقات لابن حبان / ج 5 - ص 34

(5) فتح الباري / لابن حجر / ج 4 ص 371

بين أتباع المعنى أو اللفظ، والذي ينبغي أن ينظر في المعنى إلى الظهور والخفاء، فحيث يظهر يخصص النص أو يعمم، وحيث يخفى فأتباع اللفظ أولي، فأما اشتراط أن يلتزم البلدي ذلك فلا يقوي، لعدم دلالة اللفظ عليه، وعدم ظهور المعنى فيه، فإن الضرر الذي علل به النهي لا يفترق الحال فيه بين سؤال البلدي وعدمه، وأما اشتراط ظهور السعة فكذلك أيضاً، لاحتمال أن يكون فمتوسط بين الظهور وعدمه، وأما اشتراط العلم بالنهي فلا إشكال فيه المقصود مجرد تفويت الربح والرزق على أهل البلد، وأما اشتراط العلم بالنهي فلا إشكال فيه (1).

ث- السمسار في هذا الحديث : أي دلالاً والسمسار في الأصل هو القيم بالأمر والحافظ له، ثم استعمل في متولي البيع والشراء لغيره، ومعناه أن يبيع له بالأجرة (2) وقال ابن بطال : قال لا يكون له سمساراً، يعني من أجل المضرة الداخلة على الناس، لا من أجل أجرته. (3)

ج- قال الكرمانى (رحمه الله): (لو خالف النهي وباع الحاضر للبادي صح البيع مع التحريم قلت (أي الإمام العيني) هذا عجيب منهم لأن النهي عندهم يرفع الحكم مطلقاً فكيف يقولون صح البيع مع التحريم وهذا لا يمشي إلا على أصل الحنفية وقال أيضاً قال أبو حنيفة يجوز بيع الحاضر للبادي مطلقاً لحديث "الدين النصيحة" قلت ليس على الإطلاق بل إنما يجوز إذا لم يكن فيه ضرر لأحد المتعاقدين). (4)

المبحث السابع

نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الجهاد

شرع الله تعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور من جهة، ولتكون كلمة الله هي العليا من جهة ثانية، ولحماية المسلمين من أن يفتنوا في دينهم، أو تستباح حرمااتهم وتحتل أرضهم من جهة ثالثة، وكل هذه الأمور يجب أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يمكن استمرار تحقيقها إلا باستمرار الجهاد في سبيل الله. فمن هنا جاءت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ترغب في الجهاد وترهب من تركه أو التهاون به. ولقد دار هذا المبحث على مطلبين.

(1) المصدر نفسه / ج 4 ص 371 - 372

(2) عمدة القاري/العيني / ج 11 ص 282

(3) المصدر نفسه / ج 12 ص 94

(4) المصدر نفسه / ج 11 ص 282

المطلب الأول : تعريف الجهاد عند أهل اللغة والاصطلاح .

الجهاد عند أهل اللغة :

قال الرازي : مأخوذ من الجُهدُ بفتح الجيم وضمها الطاقة، وقُرى بهما قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾⁽¹⁾ والجهد بالفتح المشقة، يقال جَهِدَ دابته و أَجْهَدَهَا إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ، و جَهِدَ الرجل في كذا أي جدَّ فيه وبالغ وبابهما قطع، و جُهِدَ الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مَجْهُودٌ من المشقة و جَاهَدَ في سبيل الله مُجَاهِدَةً وَجْهًا ، و الاجْتِهَادُ و التَّجَاهُدُ بذل الوسع و المَجْهُودُ.⁽²⁾

أما الجهاد عند أهل العلم والاصطلاح :

قال القنوي: الجهاد مصدر جاهدت العدو، إذا قابلته في تحمل الجهد، أو بذل كل منكما جهده، أي طاقته في دفع صاحبه، ثم غلب في الإسلام على قتال الكفار.⁽³⁾
قال الجرجاني : الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق.⁽⁴⁾
قال المناوي : الجهاد استفراغ الوسع في طلب العدو، وهو ثلاثة جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس، وغلب استعماله شرعا في الدعاء إلى الدين الحق.⁽⁵⁾

المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الجهاد.

الحديث الأول :

عن سالم أبي النضر⁽⁶⁾ مولى عمر بن عبيد الله⁽⁷⁾ وكان كاتباً له قال كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما فقرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً قال: أيها الناس

(1) سورة التوبة - الآية : 79

(2) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 119

(3) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء / قاسم بن عبد الله بن أمير علي القنوي /

تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي / ج 1 ص 181 / دار الوفاء - جدة ، الطبعة الأولى ، 1406

(4) التعريفات / الجرجاني / ج 1 ص 107

(5) التعاريف / المناوي / ج 1 ص 260

(6) سالم بن أبي أمية أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله التيمي المدني ثقة ثبت وكان يرسل من الخامسة ،

تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 226

(7) عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي كنيته أبو حفص يروى عن العراقيين روى عنه عبد الله بن

عون ، الثقات لابن حبان / ج 7 - ص 177 ، الثقات لابن حبان / ج 7 - ص 177

لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم ⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث أكثر من بابٍ منها : (باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس) ⁽²⁾ قال العيني : والحكمة فيه أن الشمس إذا زالت تهب رياح النصر، ويتمكن من القتال بوقت الإبراد وهبوب الرياح، لأن الحرب كلما استحرت وحمي المقاتلون بحركتهم فيها وما حملوه من سلاحهم، هبت أرواح العشي فبردت من حرهم ونشطتهم، وخففت أجسامهم بخلاف اشتداد الحر ⁽³⁾ ومنها (باب كراهية تمنى لقاء العدو) ⁽⁴⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

نصح النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته، ونهاهم في هذا الحديث عن تمنى لقاء العدو، لما في ذلك من الإعجاب والغرور والانتكال على القوة، وهو نوع بغى، وقد ضمن الله تعالى لمن بغى عليه أن ينصره، ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم ، ولأن لقاء العدو أشد الأشياء على النفس، والأمور الغائبة ليست كالمحققة، فلا يؤمن أن يكون عند الوقوع على خلاف المطلوب، كما أن الناس يتفاوتون في الصبر على البلاء ، فسلوا الله السلامة من المكروهات والبليات في الدنيا والآخرة، فإذا ما تحتم اللقاء نصحهم بالصبر على القتال، وهو كظم ما يؤلم من غير إظهار شكوى ولا جزع وهو الصبر الجميل، ورغبهم بالثواب عند احتدام القتال وأي ثواب أعظم من الجنة، حيث جعل السبب الموصل إليها ضرب بالسيف في سبيل الله .

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب لا تمنوا لقاء العدو ، برقم " 6810 " ، ج 3 - ص 1101 / صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ، برقم " 1741 " ، ج 3 - ص 1362 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس برقم " 2804 " / ج 3 ص 1082

(3) عمدة القاري / العيني / ج 14 ص 227

(4) صحيح البخاري ، كتاب التمني ، باب كراهية تمنى لقاء العدو، برقم " 6810 " / ج 6 ص 2644

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ-قلت في الحديث نصح وإعلام :أما النصح فنوعان :نصح قبل القتال بعدم تمني لقاء العدو لما في ذلك من الغرور والاتكال على القوة ،ونصح عند القتال بالصبر عليه لأنه أهم وأكد أركانه ،وقد جمع الله تعالى آداب القتال في قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ ❖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾ أما الإعلام : فبعد نصحتهم بوجوب الصبر على قتال وجهاد أعداء الله، أعلمهم بثواب هذا الصبر، فقال اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف .

ب-وفي الحديث دلالة على جواز الرواية بالكتابة دون السماع .⁽²⁾

ت-فيه استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار .⁽³⁾

ث- قال ابن بطال :حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن⁽⁴⁾

ج-قال الخطابي: معنى ظلال السيوف الدنو من القرن حتى يعلوه بظل سيفه، لا يولي عنه ولا ينفر منه ،وكل ما دنا منك فقد أظلك،وقال في النهاية هو كناية عن الدنو من الضراب في الجهاد حتى يعلوه السيف ويصير ظله عليه ، وقال النووي: معناه أن الجهاد وحضور معركة الكفار طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.⁽⁵⁾

ح-قال الحراي: (فيه إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداء، وإنما تدافع من منعها من إقامة دينها، كما قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾⁽⁶⁾ فحق المؤمن أن يأتي الحرب ولا يطلبها، فإنه إن طلبه فأوتيه عجز كما عجز من طلبه من الأمم السابقة وتمسك به من منع طلب المبارزة وقد يمنع ونبه بهذا الخبر على آفة التمني وشؤم الاختيار لأنهما ليسا من أوصاف العبودية، إذ التمني اعتراض نفاه الله عن العباد بقوله (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)⁽⁷⁾،﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ﴾⁽⁸⁾ فمما ظهر من آفات التمني، ما قصه

(1) سورة الأنفال - الآية :45- 46

(2) عمدة القاري/ العيني / ج 25 ص 8

(3) شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 47

(4) عون المعبود /العظيم آبادي /ج 7 ص 211

(5) عون المعبود /العظيم آبادي /ج 7 ص 211 .

(6) سورة الحج - الآية : 39

(7) سورة القصص - الآية :68

(8) سورة النساء - الآية :32

الله عن آدم في تمني الخلود في جوار المعبود، فعدمه وتعب فأتعب، وموسى تمنى الرؤية فخر صعباً، وداود سأل درجة آباءه إبراهيم وإسحاق، فأوحى إليه "إني ابتليتهم فصبروا" فقال : أصبر فأصابه ما أصابه وجرى ما جرى وتمنى سليمان ألف ولد فعوقب بشق إنسان ، وتمنى نبينا هداية عمه فعاتبه الله بقوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (*) . (1)

خ-الظاهر تعارض هذا الحديث مع تمني الشهادة والموت في سبيل الله قال ابن حجر(رحمه الله) : طريق الجمع بينهما لأن ظاهرهما التعارض، لأن تمني الشهادة محبوب فكيف ينهي عن تمني لقاء العدو وهو يفضي إلى المحبوب ،وحاصل الجواب أن حصول الشهادة أخص من اللقاء، لا مكان تحصيل الشهادة مع نصره الإسلام ،ودوام عزه بكسرة الكفار، واللقاء قد يفضي إلى عكس ذلك ،فنهى عن تمنيه ولا ينافي ذلك تمني الشهادة، أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه ونحو ذلك. (2)

الحديث الثاني :

عن سليمان بن بريدة⁽³⁾ رضي الله عنه عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه خاصة بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال : اغزوا باسم الله ،وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ،وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) : فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء ،إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلمهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ،وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذمكم وذم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة

* سورة القصص - الآية 56

(1) فيض القدير/المناوي / ج 6 ص 388

(2) ينظر فتح الباري /لابن حجر/ ج 13 ص 224

(3) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي قاضيه ثقة من الثالثة مات سنة خمس ومائة وله

تسعون سنة ، تقريب التهذيب /لابن حجر / ج 1 - ص 250

رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا .
تخريج الحديث .

الحديث أخرجه الإمام مسلم .⁽¹⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله): هذا من أحسن حديث يروى في معناه، إلا أن فيه التحول عن الدار، وذلك منسوخ، نسخه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله "لا هجرة بعد الفتح"، وإنما كان هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة، فلما فتح الله عليه مكة، قال لهم: "قد انقطعت الهجرة ولكن جهاد ونية إلى يوم القيامة"⁽²⁾ وقال أيضا: (أجمع العلماء على القول بهذا الحديث ولم يختلفوا في شيء منه، فلا يجوز عندهم الغلول ولا الغدر ولا المثلة ولا قتل الأطفال في دار الحرب، والغدر أن يؤمن الحربي ثم يقتل، وهذا لا يحل بإجماع).⁽³⁾

قال الطيبي عن هذا الحديث: هو من باب تلوين الخطاب، خاطب أولا عاما فدخل فيه الأمير دخولا أوليا، ثم خص الخطاب به فدخلوا فيه على سبيل التبعية، كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾...⁽⁴⁾ خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء....⁽⁵⁾

المعنى الإجمالي للحديث .

هذا الحديث اعتبره من أظهر النصائح وأعظمها دلالة على ما جاءت به رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من عناية ظاهرة لا مثيل لها، عناية بحفظ الأرواح وصيانة الدماء وعصمة الأنفس، تلك العناية التي لم تكن بأهل الإسلام فحسب، بل شملت أيضا غيرهم، ومن أوضح هذه الدلائل، نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه في حال الحرب لقادة جيوشه وأوامره مما لا يحتاج إلى بيان ولا يفتقر إلى برهان، إذ هو يقيم الشواهد في هذا الحديث على أن للدماء حرمتها، وللنفوس والأرواح قيمتها، فلا يصح أن تترك نهبا للاجتهادات المبنتات على الآراء والظنون، التي لا يسند لها علم ولا هدى ولا كتاب منير، فتتلخص نصائحه في حال الحرب كما يأتي:

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بأداب الغزو وغيرها برقم "1731"، ج 3 ص 1356 .

(2) التمهيد / لابن عبد البر / ج 2 ص 218

(3) المصدر نفسه / ج 24 ص 233-234

(4) سورة الطلاق - الآية : 1

(5) تحفة الأحوذى / المباركفوري / ج 5 ص 201

ولا تغلوا : بضم الغين المعجمة وتشديد اللام أي لا تخونوا في الغنيمة. (1)

ولا تغدروا : بكسر الدال المهملة أي لا تنقضوا عهدكم. (2)

ولا تمثلوا : من باب التفعيل .. مثل به يمثل كقتل إذا قطع أطرافه. (3)

ولا تقتلوا وليدًا: أي طفلاً صغيراً. (4)

ثم ادعهم إلى ثلاث خصال :

الخصلة الأولى : الدعوة إلى الإسلام.

الخصلة الثانية : الدعوة إلى إعطاء الجزية .

الخصلة الثالثة : القتال .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ-في هذا الحديث فوائد مجمع عليها :وهي تحريم الغدر ،وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان، إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة ،واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى ،والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم ،وما يجب عليهم ،وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب. (5)

ب-قال النووي (رحمه الله): قوله فلا تجعل لهم ذمة الله نهى تنزيهه ،فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها، وينتهك حرمتها بعض الأعراب وسواد الجيش، وكذا قوله فلا تنزلهم على حكم الله، نهى تنزيهه وفيه حجة لمن يقول ليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب واحد، وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر، ومن يقول إن كل مجتهد مصيب ،يقول معنى قوله " فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم "أنك لا تأمن أن ينزل علي وحي بخلاف ما حكمت ،كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد من تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة " لقد حكمت فيهم بحكم الله " (6)، وهذا المعنى منتف بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كل مجتهد مصيباً. (7)

(1) عون المعبود/ العظيم آبادي / ج 7 ص 196

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه .

(4) تحفة الأحوذى/ المباركفوري /ج 4 ص 552

(5) شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 37

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب إذا نزل

العدو على حكم رجل ، برقم " 2878 " ج 3 ص 1107 ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز

قتال من نقض العهد ، برقم " 1768 " ج 3 ص 1388

(7) تحفة الأحوذى/ المباركفوري /ج 5 ص 202

ت- في حال إسلام هؤلاء المشركين فيستحب لهم⁽¹⁾ :

- أن يهاجروا إلى المدينة، فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم في استحقاق الفبيء والغنيماء وغير ذلك.

- وإذا لم يهاجروا كانوا كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو، فتجرى عليهم أحكام الإسلام، ولا حق لهم في الغنيماء والفبيء، وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة .

- فإن هم أبوا يترتب عليهم إعطاء الجزية .

ث- هذا الحديث مما استدل به مالك والاوزاعي وموافقوهما، في جواز أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو عجمياً، كتابياً أو مجوسياً أو غيرهما، وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه تؤخذ الجزية من جميع الكفار إلا مشركي العرب ومجوسهم، وقال الشافعي لا يقبل إلا من أهل الكتاب والمجوس عرباً كانوا أو عجماً، ويحتج بمفهوم آية الجزية.⁽²⁾

الحديث الثالث :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم⁽³⁾

أهمية الحديث وأحكامه .

- ترجم الإمام البخاري رحمه الله بابا فقال (باب الحرب خدعة)⁽⁴⁾ فكان الحديث مطابقاً لما ترجم له.

- قال الأستاذ أبو بكر بن طلحة⁽¹⁾ أراد ثعلب⁽²⁾ : (أن سيدنا رسول الله كان يختار هذه البنية ويستعملها كثيراً، لأنها بلفظها الوجيز تعطي معنى البنتين الأخريين، ويعطي أيضاً معناها استعمال

(1) ينظر شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 38

(2) ينظر المصدر نفسه / ج 12 ص 39

(3) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحرب خدعة ، برقم " 2866 " ، ج 3 ص 1102 / صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز الخداع في الحرب ، برقم " 1739 " ، ج 3 - ص 1361 .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحرب خدعة ، برقم " 2866 " / ج 3 ص 1102

الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحيل فقاتل، فكانت هذه اللغة على ما ذكرنا مختصرة اللفظ، كثيرة المعنى، فلذلك كان سيدنا يختارها. (3)

- قال الإمام النووي (رحمه الله) : في هذا الحديث ثلاث لغات مشهورات، اتفقوا على أن أفصحهن خدعة بفتح الخاء واسكان الدال، قال ثعلب وغيره وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم. (4)

المعنى الإجمالي للحديث .

نبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على وصية عظيمة بوجوب اخذ الحذر في حال الحرب، ونصح وندب إلى خداع أعداء الله من الكفار بالتورية والتعريض، للإيقاع بهم ورد كيدهم ودفع ظلمهم .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ- قال ابن حجر (رحمه الله) (5):

- في هذا الحديث تحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه .

- قال النووي واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز .

- وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة، ولهذا وقع الاختصار على ما يشير إليه بهذا الحديث وهو كقوله "الحج عرفة" .

- قال ابن المنير : معنى "الحرب خدعة" أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها، إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر تكميل،

ب- قال ابن العربي : الخديعة في الحرب تكون بالتورية، وتكون بالكمين، وتكون بخلف الوعد، وذلك من المستثنى الجائز المخصوص من المحرم. (1)

(1) احمد بن طلحة بن احمد بن هارون أبو بكر الواعظ يعرف بابن المنقى سمع احمد بن سمان النجاد وأبا جعفر بن بويه الهاشمي وأبا بكر الشافعي وعبد الصمد بن على الطستي وبادونه القزويني وغيرهم وكان شيخا فقيرا ثقة مستورا ، تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / ج 4 - ص 212

(2) ثعلب: أبو العباس : أحمد بن يحيى ، المزهري في علوم اللغة / السيوطي / ج 2 - ص 359

(3) عمدة القاري / العيني / ج 14 ص 275

(4) شرح النووي على مسلم / ج 12 ص 45

(5) ينظر فتح الباري ابن حجر / ج 6 ص 158

ت- قال العيني : الكذب حرام بالإجماع ، جائز في مواطن بالإجماع ، أصلها الحرب أذن الله فيه وفي أمثاله رفقا بالعباد لضعفهم ، وليس للعقل في تحريمه ولا في تحليله أثر ، إنما هو إلى الشرع ولو كان تحريم الكذب كما يقول المبتدعون عقلاً ، ويكون التحريم صفة نفسية كما يزعمون ، ما انقلب حلالاً أبداً ، والمسألة ليست معقولة فتستحق جواباً ، وخفي هذا على علمائنا وقال الطبري : إنما يجوز في المعارض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل ، وقال النووي : " الظاهر إباحة حقيقة الكذب ، لكن الاقتصار على التعريض أفضل ... " (2)

ث- قال القاضي : فيه جواز التورية والتعريض في الحرب . (3)

ج- قال ابن تيمية : يجوز للإنسان أن يظهر قولاً وفعلاً مقصوده به مقصود صالح ، وإن ظن الناس أنه قصد به غير ما قصد به ، إذا كانت فيه مصلحة دينية مثل دفع ظلم عن نفسه أو عن مسلم أو دفع الكفار عن المسلمين ، أو الاحتيال على إبطال حيلة محرمة أو نحو ذلك ، فهذه حيلة جائزة . (4)

ح- الخداع في الحرب خداع محمود : قال ابن القيم : (و لفظ الخداع : فإنه ينقسم إلى محمود ومذموم ، فإن كان بحق فهو محمود ، وإن كان بباطل فهو مذموم ، ومن النوع الم محمود : قوله صلى الله عليه وسلم : " الحرب خدعة " .) (5)

المبحث الثامن

نصائح النبي صلى الله عليه وسلم بكتبه للملوك .

انطلقت نصائح النبي عليه الله عليه وسلم بكتبه للملوك من عالمية دعوته ، وشمول رسالته ، وعظمة دينه ، لأن الله بعثه رحمة لجميع الناس ، فمن آمن به وصدق به سعد ونجا ، ومن اعرض عنه خاب وخسر في الدنيا والآخرة . كما ويشير المنهج النبوي في نصيح الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل النصيحة ، فإلى جانب نصيح الأمراء والشعوب ، اختار النبي صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب النصيحة ، وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل ونصحهم بكتب مختمة ، وكان لهذا الأسلوب في النصيحة اثر بارز في دخول بعضهم في الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر ، كما كشفت هذه الرسائل مواقف الملوك من دعوة النبي

(1) عمدة القاري / العيني / ج 14 ص 275

(2) المصدر نفسه

(3) شرح النووي على مسلم / ج 7 ص 169

(4) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية / ج 6 ص 106

(5) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / تحقيق : محمد حامد

اللفي / ج 1 ص 386 / دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ، 1395 - 1975

عليه أفضل الصلاة والسلام وبذلك حققت هذه الرسائل نتائجها المرجوة . حيث استطاع رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام من خلال هذه المواقف، أن ينتهج نهجا سياسياً وعسكرياً واضحاً ومميزاً . فمن هنا شرعت في تعريف كتب الملوك، ومن ثم بيان نصائح النبي صلى الله عليه بكتبه إلى الملوك مع تعليق موجز على هذه الرسائل والكتب .

المطلب الأول : تعريف كتب الملوك عند أهل اللغة والاصطلاح .

الكتب عند أهل اللغة مأخوذة من كتب : قال الرازي : كَتَبَ من باب نصر و كِتَاباً أيضاً و كِتَابَةً و الكِتَابُ أيضاً الفرض والحكم والقدر و الكَاتِبُ عند العرب العالم ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾⁽¹⁾ و الكُتَابُ بالضم والتشديد الكِتَبَةُ و الكِتَابُ أيضاً و المَكْتُبُ واحد والجمع الكِتَائِبُ و المَكَاتِبُ و الكِتِيبَةُ الجيس و اُكْتُبَ أي كتب ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾⁽²⁾ و اُكْتُبَ أيضاً كتب نفسه في ديوان السلطان و المَكْتُبُ بوزن المخرج الذي يعلم الكتابة و اسْتُكْتُبَ الشيء سأله أن يكتبه له⁽³⁾

وتعريف الملوك عند أهل اللغة :

قال الرازي : مَلَكُهُ يَمْلِكُهُ بالكسر مَلِكًا بكسر الميم، وهذا الشيء مَلِكٌ يميني و مَلِكٌ يميني والفتح أفصح، و مَلِكُ المرأة تزوجها، و المَمْلُوكُ العبد و مَلَكُهُ الشيء تَمْلِكًا جعله ملكاً له و مَلِكٌ و مَلِكٌ مثل فَخَذٍ وَفَخَذٍ كَأَنَّ الْمَلِكَ مُخَفَّفٌ مِنْ مَلِكٍ وَالْمَلِكُ مُقْصُورٌ مِنْ مَالِكٍ أَوْ مَلِكٍ وَالْجَمْعُ الْمُلُوكُ .⁽⁴⁾

قال الفراهيدي : الْمَلِكُ : ما مَلَكَتِ الْيَدُ مِنْ مَالٍ وَخَوَلٍ وَالْمَمْلَكَةُ : سُلْطَانُ الْمَلِكِ فِي رَعِيَّتِهِ يُقَالُ : طَالَتْ مَمْلَكَتُهُ وَعَظُمَ مُلْكُهُ وَكَبُرَ⁽⁵⁾

وأما الكتب عند أهل العلم معناها : ضم أديم إلى أديم بالخياطة وعرفا ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، والأصل في الكتابة النظم بالخط، وفي المقال النظم باللفظ، لكن قد يستعار كل للآخر، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والقضاء بالكتابة،

(1) سورة القلم - الآية : 47

(2) سورة الفرقان - الآية : 5

(3) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 586

(4) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 642

(5) كتاب العين / الفراهيدي / ج 5 ص 380

ووجه ذلك أن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد به توكيده بالكتابة، التي هي المنتهى ويعبر بالكتاب عن الحجة الثابتة من جهة الله، ومنه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾⁽¹⁾ الآية ويعبر عن الإيجاد وعن الإزالة وعن الإفناء بالمحو وغير ذلك وأمثلة الكل في القرآن .⁽²⁾
وأما الملوك عند أهل العلم والاصطلاح :

قال الجرجاني : الملك بكسر الميم في اصطلاح المتكلمين : حالة تعرض للشيء بسبب ما يحيط به وينتقل بانتقاله ، كالعمم والتقمص، فإن كلا منهما حالة لشيء ، بسبب إحاطة العمامة برأسه والقميص ببدنه .

والملك في اصطلاح الفقهاء : اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً لتصرفه فيه وحاجزاً عن تصرف غيره فيه، فالشيء يكون مملوكاً ولا يكون مرقوقاً ولكن لا يكون مرقوقاً إلا ويكون مملوكاً. والملك المطلق هو المجرد عن بيان سبب معين، بأن ادعى أن هذا ملكه ولا يزيد عليه، فإن قال أنا اشتريته أو ورثته فلا يكون دعوى الملك المطلق .⁽³⁾

قال المناوي : الملك بالضم : التصرف بالأمر والنهي في الأمور ، وذلك يختص بسياسة الناطقين ، والملك ضربان ملك التولي والتملك، وملك هو القوة على ذلك تولى أم لا، فمن الأول ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾⁽⁴⁾

ومن الثاني ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾⁽⁵⁾ فجعل النبوة مخصوصة والملك فيها عاماً ، فإن معنى الملك هنا القوة التي بها يترشح للسياسة، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر، فذلك مناف للحكمة، فلا خير في كثرة الرؤساء ، وقال بعضهم الملك بفتح فكسر اسم لكل من يملك السياسة، إما في نفسه وذلك بالتمكن من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإما في نفسه وغيره سواء تولى ذلك أم لا .

المطلب الثاني : نصائم النبي صلى الله عليه وسلم بكتبه إلى الملوك .

الحديث الأول :

(1) سورة الحج ، الآية 8

(2) التعاريف / المناوي / ج 1 ص 600

(3) التعريفات / الجرجاني / ج 1 ص 295 - 296

(4) سورة النمل ، الآية 34

(5) سورة المائدة ، الآية 20

عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال : انطلقت في المدة التي كانت بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فبيننا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل..... قال ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فإذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ)^(*))⁽¹⁾ الحديث الثاني :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي⁽²⁾ إلى المنذر بن ساوى بالبحرين وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك (فإني أحمد الله إليك لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.)⁽³⁾ .
الحديث الثالث .

* سورة آل عمران ، الآية 64

(1) متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ برقم " 4278 " ، ج 4 - ص 1657 / صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، برقم " 1773 " ، ج 3 - ص 1393 .

(2) العلاء بن الحضرمي واسم أبيه عبد الله بن عماد وكان حليف بني أمية صحابي جليل عمل على البحرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ومات سنة أربع عشرة وقيل بعد ذلك ، تقريب التهذيب / لابن حجر ج/ 1 - ص 434

(3) السيرة الحلبية / علي بن برهان الدين الحلبي ج: 3 ص: 300 ، زاد المعاد في هدي خير العباد / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ج: 3 ص: 692-693 / عدد الأجزاء : 5 مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت الطبعة الرابعة عشر ، 1407 هـ - 1986م

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري⁽¹⁾ وفيه . بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ،فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ،وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاته على طاعته، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى⁽²⁾

تعليق على الأحاديث :

1. فيه إرسال الرسل بالكتب لغرض النصيحة والدعوة إلى الله ، عز وجل .
2. مشروعية الكتابة إلى الكفار في أمر الدين والدنيا .
3. يلاحظ في نصائح النبي صلى الله عليه وسلم للملوك فوارق دقيقة مبنية على حكمة الدعوة ،روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينونها .
4. يلاحظ أن جميع كتب النبي صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها صلى الله عليه وسلم بالبسملة في أول الرسائل ، وترجم الإمام البخاري رحمه الله في الأدب المفرد بابا فقال (باب صدر الرسائل بسم الله الرحمن الرحيم)⁽³⁾ ،قال القرطبي (رحمه الله) : (اتفقوا على كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) في أو الكتب والرسائل وعلى ختمها لأنه أبعد من الريبة ،وعلى هذا جرى الرسم وبه، جاء الأثر عن عمر بن الخطاب أنه قال : أيما كتاب لم يكن مختم فهو أغلف وعن أنس رضي الله عنه : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان أراد أن يكتب إلى العجم، فقليل له :إن العجم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم ،فاصطنع خاتماً من فضة^(*)) .⁽⁴⁾

(1) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله أبو أمية الضمري صحابي مشهور أول مشاهده بنر معونة بالنون مات في خلافة معاوية ، تقريب التهذيب /لابن حجر /ج 1 - ص 418

(2) زاد المعاد /لابن القيم /ج: 3 ص: 689

(3) الأدب المفرد ، البخاري ، كتاب أهل الذمة ، باب صدر الرسائل بسم الله الرحمن الرحيم، برقم " 1122 " /

ج 1 ص 383

* متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، برقم " 65 " ، ج 1 - ص 36 / صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم ، برقم " 2092 " ، ج 3 ص

1656

(4) تفسير القرطبي / ج 13 ص 172

5. ينبغي أن يكتب اسم المرسل و المرسل إليه، وموضوع الكتاب .
6. مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر ،لان كل كتاب يكتبه النبي صلى الله عليه وسلم يكلف رجلاً من المسلمين بحمله إلى المرسل .
7. وفيه ذكر ملوك الكفار بألقابهم تأليفاً لقلوبهم في قبول النصح .
8. وتخصيص السلام بمن اتبع الهدى في خطاب الكافر .
9. فصل صدور الرسائل بقوله (أما بعد) .
10. تخصيص رؤساء القوم بالدعوة والنصيحة قبل رؤسيتهم ليكون ابلغ في التبليغ وقيام الحجة وقبول النصح .
11. وان الناس تبع لولااتهم .
12. عدم بدء الكافر بتحية الإسلام ،ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يطرح السلام في كتبه .
13. (الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة ،وأن الكتابة تقوم مقام النطق ،وفيه إرشاد المسلم للكافر، وأن العادة جرت بين الملوك بترك قتل الرسل، ولهذا مزق كسرى الكتاب ولم يتعرض لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم .)⁽¹⁾
14. جواز اخذ الجزية من المجوس : لقوله صلى الله عليه وسلم : (ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)
15. قلت ومن فوائد نصحه صلى الله عليه وسلم بكتبه للملوك :
 -توطيد أسلوباً جديداً في التعامل والعلاقات مع الزعماء والملوك لم تكن تعرفه البشرية من قبل .
 -عززت هذه النصائح المرسلة للملوك من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وزادت من قوتهم .
 - عبرت هذه النصائح المرسلة للملوك والزعماء تعبيراً عملياً على عالمية دعوته صلى الله عليه وسلم .
 - ومنها التوقي في الكتابة واستعمال الورع ،ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم ولم يقل ملك الروم لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ،ولم يقل إلى هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاحظة، فقال "عظيم الروم" أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر

(1) فتح الباري/ ابن حجر / ج 6 ص 109

الله تعالى بالآنة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (1) .

-ومنها استحباب البلاغة والإيجاز وتحري الألفاظ الجزلة في المكاتبة .

- ومنها البيان الواضح أن من كان سببا لضلالة أو سبب منع من هداية ، كان آثما لقوله صلى الله
عليه وسلم : " وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " .

المبحث التاسع

نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب الفتن .

إن من المقرر في شريعتنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نصح لهذه الأمة، وتركها على
المحجة البيضاء ، فما من خير إلا دلها عليه وما من شر إلا حذرنا منه ،ومن الشر الذي حذرنا
: إن هذه الأمة في آخرها ستعرض لطوفان من الفتن والابتلاءات، وألوان من المحن ،فتن من
استشرف لها استشرفته وابتلعه ، فتن تحار فيها أناة الحكماء، وتطيش بسببها عقول العقلاء
،وتضطرب معها قلوب ذوي الأبصار ،فتن تموج أعاصيرها موج البحار فتتغير فيها المفاهيم

وتنقلب الحقائق فيسري بين الناس حب الهوى .. ويستخف بالدم، ويكثر الظلم ويتعملق الأقرام
ويتكلم الروبيضة ...

فمن ها هنا جاءت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، كمخرج لها من هذه الفتن
المظلمة . وتضمن هذا المبحث مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الفتن عند أهل اللغة والاصطلاح .

الفتن عند أهل اللغة :

قال الرازي : الْفِتْنَةُ الاختبار والامتحان ، تقول فَتَنَ الذهب يَفْتِنُهُ بالكسر فَتْنَةً و مَفْتُونًا أيضا إذا
أدخله النار لينظر ما جودته، ودينار مَفْتُونٌ أي مُمتحن ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾⁽¹⁾ أي حَرَقُوهم ويُسمى الصائغُ الْفَتَّانُ⁽²⁾ .

أما الفتن عند أهل العلم ولاصطلاح :

قال الجرجاني : الفتنة ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يقال فتنت الذهب
بالنار إذا أحرقته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب ، ومنه الفتان وهو الحجر الذي يجرب به الذهب
والفضة .⁽³⁾

قال المناوي رحمه الله : الفتنة البلية، وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة، ذكره الحوالي
وقال الراغب ما يتبين به حال الإنسان من خير أو شر .⁽⁴⁾

قال البعلي : أصل الفتنة الاختبار ثم استعملت فيما أخرجه الاختبار إلى المكروه، ثم
استعملت في المكروه ،

فجاءت بمعنى الكفر في قوله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾⁽⁵⁾ وبمعنى الإثم كقوله تعالى :
﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾⁽⁶⁾ ، وبمعنى الإحراق كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ
الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾⁽⁷⁾ ، ومنه أعوذ بك من فتنة النار وبمعنى الإزالة
والصرف كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينا إِلَيْكَ ﴾^(*) (1)

(1) سورة البروج - الآية : 10

(2) مختار الصحاح / الرازي / ج 1 ص 517

(3) التعريفات / الجرجاني / ج 1 ص 212

(4) التعاريف / المناوي / ج 1 ص 549

(5) سورة البقرة - الآية : 217

(6) سورة التوبة - الآية : 49

(7) سورة البروج - الآية : 10

* سورة الإسراء الآية : 73

المطلب الثاني : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب الفتن .

الحديث الأول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير
من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به .
تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم (2)

أهمية الحديث وأحكامه .

ترجم الإمام البخاري (رحمه الله) ببعض هذا الحديث بابا فقال : (باب تكون فتنة القاعد
فيها خير من القائم)(3)

قال العيني (رحمه الله) : مطابقة الحديث للترجمة ، من حيث أن فيه إخبارا عن فتن ستقع
، وهذا من علامات النبوة . (4)

قال الإمام النووي (رحمه الله) : وهذا الحديث .. مما يحتج به من لا يرى القتال في الفتنة
بكل حال . (5)

المعنى الإجمالي للحديث .

إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت من الضمانات والأسس ومن المبادئ والأصول، ما
يكفل للأمة جميعها توقي أخطار الفتن ، وما يضمن الحصانة الوقائية لدفعها قبل وقوعها ، ولرفع
أضرارها وأثارها بعد حلولها ، بنصائح كريمة ترسم للأمة المسار الصحيح عند الفتن حال ظهورها
، فتصان الأمة من الفساد والدمار والهلاك والخراب ، بإدراكها للحق بكل معانيه ويدفعها للشر
بكل صوره وأشكاله ، ومن هذه النصائح ما تضمنه هذا الحديث من أصول ، منها : محاولة
الابتعاد عن مواطن الفتنة ، ومجانبة أسبابها والفرار عن مواقعها خاصة عامة المسلمين ، حيث بين

(1) المطلاع / البعلي / ج 1 ص 83

(2) الحديث متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، ينظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب
علامات النبوة في الإسلام ، برقم " 3406 " ، ج 6 ص 2594 / صحيح مسلم ، كتاب الفتن واثار الساعة ،
باب نزول الفتن كمواقع القطر ، برقم " 2886 " ، ج 4 - ص 2211 .

(3) ينظر صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، برقم " 6670 " / ج 6 ص
2594

(4) ينظر عمدة القاري / العيني / ج 16 - ص 137

(5) ينظر شرح النووي على مسلم / ج 18 ص 10

النبي صلى الله عليه وسلم عظيم خطر الفتن ،وحشنا على اجتنابها والهرب منها ،وبين أن شرها وضررها يكون على حسب التعلق منها، قال ابن حجر (رحمه الله): "والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور بالحديث".⁽¹⁾

بعض ما يرشد إليه الحديث .

أ-تمثلت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على ما يأتي :

– التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها .

– شر الفتنة وضررها يكون بحسب التعلق بها ⁽²⁾.

– إذا ضعف سلطان الشريعة،أخرجت الفتن رؤوسها ،تبحث عن المفتونين .

ب- قلت لما كان اللفظ النبوي الشريف وحي من الله تعالى ،ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي جوامع الكلم ،فكل لفظ مقصود ،وله دلالة ،والوقوف عنده لازم ،ومن دلالات هذا الحديث .

– أن الناس في استقبال الفتنة على أصناف، وبعضهم في ذلك اشد من بعض،فمنهم المباشر لها في كل أحوالها يلج الفتنة من كل أبوابها ،قال ابن حجر(رحمه الله) : (فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سبباً لاثارتها ،ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشي، ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم ،ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد ،ثم من يكون مجتنباً لها ولا يباشر ولا ينظر ...)⁽³⁾

– أن من تصدى لهذه الفتنة وتعرض لها بشخصه وخاض بها أهلكته ،فهو مشرف منها على الهلاك ونصح النبي صلى الله عليه عندها :باعتزال الفتنة ليسلم من شرها بقوله : (فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به) .

ت- قال ابن حجر (رحمه الله): (المراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك ،حيث لا يعلم المحق من المبطل، قال الطبري اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم، وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة⁽⁴⁾ وأبي

(1) ينظر فتح الباري /لابن حجر / ج 13 ص 31

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه / ج 13 ص 30

(4) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري صحابي مشهور وهو أكبر من اسمه محمد من الصحابة مات بعد الأربعين وكان من الفضلاء ، تقريب التهذيب /لابن حجر / ج 1 - ص 507

بكراً⁽¹⁾ في آخرين ، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت ، وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ، ثم اختلفوا فمنهم من قال إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل ، ومنهم من قال بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله ، وهو معذور إن قُتل أو قُتِل ، وقال آخرون إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها ، وكذلك لو تحاربت طائفتان ، وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب ، وهذا قول الجمهور وفصل آخرون فقالوا كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع ، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك ، وهو قول الأوزاعي ، قال الطبري والصواب أن يقال أن الفتنة أصلها الابتلاء ، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه ، فمن أعان المحق أصاب ، ومن أعان المخطئ أخطأ ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال . (2)

ث - وفيه انه كلما بعد الشخص عنها وعن أهلها ، خير له من قربها واختلاط أهلها لما سيؤول أمرها إلى محاربة أهلها . (3)

الحديث الثاني :

عن أبي إدريس الخولاني⁽⁴⁾ أنه سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : (نعم) . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : (نعم وفيه دخن) . قلت وما دخنه ؟ قال : (قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر) ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : (نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها

(1) نفع بن الحارث بن كلدة بفتحيتين بن عمرو الثقفي أبو بكرة صحابي مشهور بكنيته وقيل اسمه مسروح بمهملات أسلم بالطائف ثم نزل البصرة ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وخمسين ، تقريب التهذيب / لابن حجر / ج 1 - ص 565

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج 13 ص 31

(3) عون المعبود / ج 11 ص 227

(4) عائذ الله بن عبد الله بن عمرو ويقال عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة بن غيلان أبو إدريس الخولاني العوفي والعيذي روى عن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وأبي ذر وبلال وثوبان وحذيفة وعبادة بن الصامت ، تهذيب التهذيب / لابن حجر / ج 5 - ص 74

(، قلت يا رسول الله صفهم لنا قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) . قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) ، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

تخريج الحديث .

الحديث أخرجه البخاري ومسلم (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

ترجم الإمام البخاري بابا لهذا الحديث اسماء (باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة)(2) ، قال ابن حجر (رحمه الله) : والمعنى ما الذي يفعله المسلم في حال الاختلاف من قبل أن يقع الإجماع على خليفة . (3)

المعنى الإجمالي للحديث .

تمثلت حكمة الله تعالى في عباده في اختلاف اهتماماتهم وتنوع اجتهاداتهم ، فحبب إلى جمهور الصحابة السؤال عن وجوه الخير ، ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم ، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليتجنبه ويتقيه كما قال الشاعر (4):

عرفت الشر لا للشـر لا للشـر لكـن لتوقـيه
فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ومعرفة الشيء لتوقيه أمر حسن ، بل إن معرفة الشر تسبق الوقاية منه ، فلا وقاية من الشيء دون معرفته ، وكما أن أهل الخير يعرفون بأفعالهم الخيرة ، فكذلك أهل الشر يعرفون بأعمالهم الشريرة وبدعوتهم إلى الشر . واثبت النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وقوع الفتنة

(1) الحديث متفق عليه ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم " 3411 " ، ج 3 - ص 1319 / صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ثم ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، برقم " 1847 " ، ج 3 - ص 1475 .

(2) ينظر صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، برقم " 6673 " / ج 6 ص 2594 .

(3) فتح الباري / لابن حجر / ج 13 ص 35

(4) قرى الضيف / عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس (ابن أبي الدنيا) / تحقيق : عبد الله بن حمد المنصور / ج 1 ص 84 / أضواء السلف - الرياض الطبعة الأولى ، 1997

والشر في هذه الأمة واخبر أن فيها دخن قال الإمام النووي : (المراد هنا أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفا)⁽¹⁾ وقال ابن حجر (رحمه الله)⁽²⁾ : والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى وبالخير ما وقع من الاجتماع مع الحسن ومعاوية ، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج⁽³⁾ وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم والى ذلك الإشارة بقوله الزم جماعة المسلمين وإمامهم يعني ولو جار .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

- 1- لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة . واختلفوا في صفة الأمر في هذا الحديث .⁽⁴⁾
 - أ- فقال بعضهم هو أمر إيجاب بلزوم الجماعة وهي السواد الأعظم .
 - ب- وقال آخرون الجماعة التي أمر الشارع بلزومها هي جماعة العلماء لأن الله عز وجل جعلهم حجة على خلقه وإليه تفرع العامة في دينها وهم تبع لها وهم المعنيون بقوله إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة .
 - ت- وقال آخرون هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين .
 - ث- وقال آخرون إنها جماعة أهل الإسلام ما داموا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملل فإذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعين .
- 2- وارى أن الجماعة في هذا الحديث لها إطاران : علمي ، وسياسي

(1) شرح النووي على مسلم / النووي / ج 12 ص 237

(2) فتح الباري / لابن حجر / ج 13 ص 36

(3) الخوارج : كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدّهم خروجاً عليه ومروفاً من الدين : الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف حتى قال : أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله وأنتم تقولون : صدق الله ورسوله قالوا : لترجعن الأشر عن قتال المسلمين وإلا لنفعلن بك مثل ما فعلنا بعثمان فاضطر إلى رد الأشر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شذمة قليلة فيهم ، ينظر الملل والنحل / الشهرستاني / ج 1 - ص 113

(4) عمدة القاري / العيني / ج 24 ص 195

الإطار العلمي : وذلك بالتزام السنة والاستقامة على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم اعتقاداً وعملاً وسلوكاً .

الإطار السياسي : وذلك بالتزام جماعة المسلمين وعامتهم مع الطاعة للائمة في غير معصية الله تعالى فلزوم الجماعة في إطارها السابقين هو المخرج من الفتنة ... ولا بديل من ذلك إلا الاعتزال حتى الموت .

3- تمثل نصح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فيما إذا خلا الزمان من السلطان المسلم والإمام المتبوع فان الاجتماع في الأمة يتحقق في أهل الحل والعقد الذين ينتظم بهم الأمر ويفرغ إليهم في المهمات والمصالح العامة أو أهل الزعامة الدينية أو الدنيوية بينما قال البيضاوي⁽¹⁾: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان وعض أصل الشجرة كناية عن مكيدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر عضوا عليها بالنواجذ قوله وأنت على ذلك أي على العض الذي هو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وإطاعة سلاطينهم ولو جاروا .⁽²⁾

4- الحديث فيه فوائد ذكرها ابن حجر رحمه الله⁽³⁾، منها :

أ- في الحديث انه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً فيه لفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر .

ب- وفي الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليحذره ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة .

ت- وفيه سعة صدر النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية .

(1) ابن أحمد القاضي أبو الحسن البيضاوي البغدادي الفقيه قاضي الكرخ ختن القاضي أبي الطيب الطبري وعليه تفقه حتى صار من كبار الأئمة وكان خيراً صالحاً قال الخطيب كتبت عنه وكان صدوقاً توفي سنة ثمان وستين وأربع مائة ، الوافي في الوفيات/الصفدي / ج 1 - ص 57

(2) عمدة القاري /العيني / ج 24 ص 195

(3) ينظر فتح الباري /لابن حجر/ ج 13 ص 37

ث- ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به وإن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيراً وكذا بالعكس.

ج- ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعه .

ح- وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضع

5- وفيه أن منشأ الفتن وبوادر ظهورها تكون عند الاختلاف على الإمارة وشق عصا الطاعة .

الحديث الثالث :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبعها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن

تخريج الحديث

الحديث أخرجه البخاري (1)

أهمية الحديث وأحكامه .

قال الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) : الحديث المذكور في هذا الباب من أحسن الحديث في العزلة والفرار من الفتنة، والبعد عن مواضعها من الحواضر وغيرها، والفتنة المذكورة في هذا الحديث تحتمل أن تكون فتنة الأهل والمال، وفتنة النظر إلى أهل الدنيا وفتنة الدخول إلى السلطان، وغير ذلك من أنواع الفتن، ولم يرد الفتنة النازلة بين المسلمين الحاملة على القتال في طلب الإمارة دون غيرها من الفتن، بل أراد بقوله يفر بدينه من الفتن جميع أنواع الفتن (2).

المعنى الإجمالي للحديث .

الحديث دل على أفضلية العزلة عن الناس وترك الاختلاط بهم، في حال خوف المسلم على دينه من كثرة الفتن، بحيث أنه لو خالط الناس لا يأمن على دينه من أن يرتد عنه، أو يزيغ عن الحق أو يقع في الشرك، أو يترك أصل الإسلام وأركانه ونحو ذلك. فلهذا نصح النبي صلى الله عليه وسلم وألزم بوجوب فرار المسلم من مواطن الفتن مخافة على دينه .

بعض ما يرشد إليه الحديث .

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم

غنم يتبع بها شعف الجبال ، برقم " 3124 " ، ج 3 - ص 1201

(2) التمهيد / لابن عبد البر / ج 19 ص 220

1- نصح النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال الناس عند ظهور الفتن، والهرب عنهم فهو أسلم للدين من مخالطتهم. (1)

2- في الحديث دليل على أن المدن تكثر فيها الفتن والتقاتل على الدنيا حتى تفسد وتهلك ويكون الفرار منها إلى القفار والشعاب بقطاع الغنم. (2)

3- واستنبط الإمام العيني (رحمه الله) فوائد (3) في هذا الحديث :

الأول : فيه فضل العزلة في أيام الفتن، إلا أن يكون الإنسان ممن له قدرة على إزالة الفتنة، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها إما فرض عين وإما فرض كفاية بحسب الحال، والإمكان وأما في غير أيام الفتنة، فاختلف العلماء في العزلة والاختلاط أيهما أفضل، قال النووي مذهب الشافعي والأكثرين إلى تفضيل الخلطة، لما فيها من اكتساب الفوائد وشهود شعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين .. وذهب آخرون إلى تفضيل العزلة لما فيها من السلامة المحققة، لكن بشرط أن يكون عارفاً بوظائف العبادة التي تلزمه وما يكلف به، قال والمختار تفضيل الخلطة لمن لا يغلب على ظنه الوقوع في المعاصي ..

الثاني : فيه الاحتراز عن الفتن، وقد خرجت جماعة من السلف عن أوطانهم، وتغربوا خوفاً من الفتنة، وقد خرج سلمة بن الأكوع (4) إلى الربذة في فتنة عثمان رضي الله عنه.

الثالث : فيه دلالة على فضيلة الغنم واقتنائها .

الرابع : فيه إخبار بأنه يكون في آخر الزمان فتن وفساد بين الناس، وهذا من جملة معجزاته.

4- قال ابن العربي : وجه تمثيله بالهجرة، أن الزمن الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن تعين على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة وهو أحد أقسام الهجرة. (5)

5- قال القرطبي (رحمه الله) : (الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة، وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاراً بدينه، وكذلك أصحابه هجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم

(1) ينظر عمدة القاري /العيني / ج 23 ص 83

(2) الاستذكار /لابن عبد البر/ ج 8 ص 384

(3) ينظر عمدة القاري /العيني / ج 1 ص 163

(4) سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس شهد بيعة الرضوان مات سنة أربع وسبعين ،

تقريب التهذيب /لابن حجر /ج 1 - ص 248

(5) فيض القدير /المناوي /ج 4 ص 373

وقرابتهم وإخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين ، فسكنى الجبال ودخول
الغيران والعزلة عن الخلق والإنفراد بالخالق ، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله
عليهم والأولياء . (1)

(1) تفسير القرطبي / ج: 10 ص: 360

الخاتمة

بعد الانتهاء بحمد الله تعالى وفضله من هذه الأطروحة المتواضعة في بيان مكانة النصيحة في السنة النبوية وفي إيضاح أحكامها وآدابها ، حيث كان للنصيحة الأثر البالغ في سير الأمة وفي إصلاح أحوالها لما تضمنته السنة من نصائح نبوية غالية لها علاقة وتأثير في الحاضر والمستقبل . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث ، هي ما يمكن إبرازها وإيجازها فيما يأتي :

1. النصيحة في المعنى اللغوي والاصطلاحي لا تخرج عن كونها سد للنقص الحاصل في النفس البشرية ، وتخليصها من شوائبها ، فكما أن نصح الثوب يحصل بخياطته ، ونصح العسل يحصل بتخليصه مما يشوبه ، فكذلك نصح المسلم يحصل بتكميل نقصه وتصفية نفسه مما علق بها من شوائب وثوبال وخطايا وذنوب .

2. تعد النصيحة في حق الله ورسوله وكتابه وصف كمال ، وتعد النصيحة في حق الامام ورعيته تكميل نقص .

3. النصيحة تدور على ثلاثة أركان ، الناصح ، والمنصوح ، والمنصوح به .

4. اكتسبت النصيحة في القرآن الكريم طابع التصريح والتلميح وجاءت مرة في صيغة المدح (كنصيحة الأنبياء لأقوامهم) ومرة في صيغة الذم (كنصيحة الشيطان لأدم وزوجه) ، وامتازت نصيحة الرسل والأنبياء في القرآن الكريم بصدق الدعوة وحسن النصح وإخلاص التوجه وسلامة القصد والحرص على الهداية ، وظهور الشجاعة في المواجهة وترتيب الأفكار وقوة المنطق

5. اكتسبت النصيحة أهميتها من السنة النبوية من كونها كلمة جامعة ، تشمل خصال الدين : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

6. شاع حديث النصيحة على ألسنة عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم ، حيث كان عليه مدار عمل السلف الصالح رضوان الله عليهم ، يذكرون به بعضهم بعضاً في تجارتهم ومعاملاتهم ومبادلاتهم ومشاوراتهم ، وفي أمورهم العامة والخاصة ، وسائر مناحي علاقاتهم التي تتطلب النصح وإبداء الرأي

7. الغرض من النصيحة الإصلاح والغرض من التشهير الإفساد : فالنصيحة من مقاصدها الإصلاح وتسديد المسار ، وتكميل النقص ، وهذا بلا شك قصد شريف ويترتب عليه الأجر عند الله . وعلى العكس من ذلك ، فإن من مقاصد التشهير هتك الأعراض ، وإشاعة الفساد والإفساد ، وإيغار الصدور ، وتتبع العورات ، ولا شك أن هذا من أقبح الذنوب والأعمال عند الله وعند الناس .

8. إن النصيحة هي المعيار في التعامل بالغيبة على وجه الإباحة ، بقصد النصح والمناصحة ، فهي الميزان الواضح بين الحرمة والإباحة . فالغيبة والنميمة من الأمور التي جاء الشرع بحرماتها ، لكنها تباح بغرض النصيحة فلا تعد غيبة أو نميمة إنما من النصح لله ولرسوله وللمؤمنين .
9. النصيحة حكمها أنها فرض كفاية ، إذا قام بها من يكفي ، سقط عن غيره ، وهي لازمة على قدر الطاقة ، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة من أمره والله اعلم .
10. الإسلام والتكليف والعدالة والقدرة شرط في أهلية الناصح والمنصوح ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق السيئة صفة من صفات الناصح أيضا .
11. تعدد الأساليب وتنوع الطرق في النصيحة أوجد أثراً كبيراً في ترسيخ العلم وتحريك الفهم وتشويق السامع وسرعة التأثير والاستجابة .
12. الإخلاص والعلم والحكمة والتدرج وغيرها من أهم ضوابط النصيحة ، فمن لم يملك هذه الأدوات والضوابط فقد خرج بالنصيحة عن مسارها .
13. الأصالة والعمق والإيجاز والاختصار ومراعاة الحال من أهم خصائص النصيحة وأعظم عناصر النصح عند النبي صلى الله عليه وسلم .
14. اتضح لي أن للنصيحة آداب لا تتعلق فقط بالناصح كما يتصور البعض ، بل تتعلق أيضا بالمنصوح ، وكل من الناصح والمنصوح مناط به عدة آداب قبل النصيحة وأثناءها وبعدها ، وهي آداب منها ما يتعلق بالأخلاق ، ومنها ما يتعلق بالعلم .
15. إن من مقتضيات الإيمان هو النصح لله ولرسوله ولكتابه ، فهي القضية الساخنة التي بعث من أجلها الأنبياء وقامت لأجلها السموات والأرض ، ومن أهم العناصر التي دارت عليها النصيحة في باب الإيمان .
16. الحث على فضيلة التناصح والتذاكر في العلم ، وعدم كتمه ونسيانه ، لأن كتم العلم خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهلاك لصاحبه في الآخرة هي من أهم المحاور التي دارت عليها النصيحة في باب العلم .
17. إن نصائح النبي جاءت متضمنة لكل نواحي الحياة فما من جانب من جوانب الحياة والدين إلا ونصح به النبي صلى الله عليه وسلم . فنصح بالمحافظة على العبادات كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات الأخرى ، بأركانها وآدابها وشروطها وأحكامها . وتناولت نصائحه صلى الله عليه وسلم الجانب الاجتماعي أيضا ، كالنصح بالأخلاق والآداب الإسلامية التي تراعي حقوق المسلمين ، وكذا النكاح وما يتعلق به ، وبر الوالدين وصلة الرحم

وحسن الخلق، لا بل نصحه حتى في الملبس والمأكل والمطعم، وتناولت نصائحه المعاملات بين المسلمين كالبيع والشراء ،بل تناولت نصائحه أهم المفاصل في حياة الدولة وهي نصيحة المسلمين للسلطان ونصيحة السلطان للمسلمين ، كل هذه النصائح جاءت لبث روح الحياة في الأمة عبر هذا النصح المتبادل بين الراعي والرعية والمسلمين فيما بينهم .

18. النصيحة في الإسلام ذات مفهوم تضامني اجتماعي وسياسي ،فالحاكم والرعية يتناصحان كلاهما فيما فيه صلاح الدنيا والآخرة .

19. جاءت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في اجل أمور الإسلام وأعظمها وفي ذروة سنامها الجهاد في سبيل الله ،ونصحه بهذه الفريضة القائمة والمحافظة على أحكامها وضوابطها ،حتى لا تخرج هذه الفريضة الماضية عما ما شرعت له من إعلاء كلمة الله تعالى ورفع الظلم عن الناس وما إلى ذلك.

20. وأعظم ما توصلت إليه أن نصائح النبي صلى الله عليه وسلم كانت تمتاز بالعالمية ،فقد سطر روائع نصحه صلى الله عليه وسلم في كتبه إلى الرسل والملوك ، فخصص رؤساء القوم بالدعوة إلى الله والنصيحة قبل مرؤوسيهـم، ليكون ابلغ في التبليغ وقيام الحجة وقبول النصح لان الناس تبع لدين ملوكهم .

21. تضمنت السنة النبوية سيل من الأحاديث التي تؤكد على تعرض هذه الأمة إلى نكبات وفتن في المستقبل القريب أو البعيد، فجاءت أحاديثه صلى الله عليه وسلم بأعمال على شكل نصائح نبوية كريمة في معالجة الفتن ودرءها ،ودفع النكبات عن الإسلام والأمة ،بحلول ناجعة ومن حاد عن هذه الحلول وبحث عن غيرها فهو كحاطب ليل .

وَأَلِّفْ طَهْرَانًا أُنْزَلَ عَلَيْهِ رُبُّ الْمَآلِكِينَ

الفهارس

وتشمل على ما يأتي :

- ✓ الآيات القرآنية .
- ✓ الأحاديث النبوية .
- ✓ الآثار .
- ✓ الأشعار والأمثال .
- ✓ الأعلام .
- ✓ المراجع .

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
﴿الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾	302-301	﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾	209
﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾	211	﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	289
﴿أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾	289	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾	126
﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾	86	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾	211
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾	103	﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾	123-107
﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْعُتْبُ﴾	295	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ﴾	40
﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾	103	﴿وَأَتَيْنَهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾	211
﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾	140	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ﴾	235-186
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾	249	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾	19
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	219	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾	210
﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	232	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾	39
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	231	﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾	43
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	232	﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا﴾	286
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	174	﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾	301
﴿فَبِهَذَا هُمْ اقْتَدَهُ﴾	86	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾	102
﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ﴾	30-28-26	﴿وَأَمَرْتُ لِعَدْلِ بَيْنِكُمْ اللَّهُ﴾	191
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّيْنَا﴾	190-187	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾	302
﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾	34-33	﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾	182
﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	289	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾	231
﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	231	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾	30
﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾	12	﴿يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى﴾	
﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنٌ﴾	33-32	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾	44
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا﴾	37-16	﴿يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا﴾	
﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾	97	﴿الْمُرْسَلِينَ﴾	
﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾	186	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	259
﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ﴾	28-25	﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾	31
		﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾	150
		﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ﴾	47
		﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	295

			نَاصِحَ أَمِينٍ ﴿
126	﴿وَلَن سَالَتِهِم لِيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَا	26-25	﴿أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
289	﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ	141-140	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
198	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	300-150	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
107	﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ	297	﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ
190	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى	128	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ
107	﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا	296	﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
27-26	﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ	302	﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
150	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ	27	﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ
198	﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ	51	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
201	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا	64	﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُونَكَ
141	﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ	231	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
185	﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ	26	﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا
224	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا	191	﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا
161	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ	73	﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
36	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ	278	﴿فَلْيُخَذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ
155	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ	277	﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي
296	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ	28	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ
107	﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي	27	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا
104	﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا	162	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ
107	﴿وَيَلْ لَّكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ	27	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
288	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ	243	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
198	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ	19	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ
118	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّكُمْ	185	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
190	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ	297	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
			تَعَالَوْا
208	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا	234	﴿لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ
141-140	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ	119	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
290	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ	36	﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا
46	﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ	247-176	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

186	﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾	150	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
240	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾	36	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾
128-127	﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾	133-36-35	﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾
150	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾	51	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

2. فهرس الأحاديث النبوية .

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
197	(قتلوه قتلهم الله)	209	(أبكي للذي عرض على أصحابك)
155	(قل آمنت بالله ثم فاستقم)	116	(أترعون عن ذكر الفاجر)
101	(قولوا اللهم اغفر له)	95	(اجلس فقد آذيت)
305	(قوم يهدون بغير هدي)	148	(إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه)
125	(كادت النميمة أن تكون سحرا)	42	(إذا التقى المسلمان بسيفهما)
175	(كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه)	118	(إذا رأوا المنكر ولم يغيروه)
178	(كفى بالمرء إثماً أن يضيع)	101	(إذا زنت أمة أحدكم فتيين زناها)
198	(كفى بالمرء كذباً أن يحدث)	165	(إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ)
169-157	(كل شرط ليس في كتاب الله)	215	(إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)
175	(كلما فصلا يفهمه كل من سمعه)	54	(أرأيت لو كان لك عبدان)
135	(كلكم راع وكلكم مسؤول)	95	(أركعت ركعتين)
42	(كن كخير ابني آدم)	156	(أعطيت جوامع الكلم)
90	(لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم)	189	(اغزوا باسم الله وفي سبيل الله)
187	(لا تتمنوا لقاء العدو)	248	(أفضل الجهاد حج مبرور)
101	(لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله)	135	(أفضل الجهاد كلمة عدل)
252	(لا تحاسدوا ولا تناجشوا)	98	(أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم)
158	(لا تغضب)	171	(ألا أدلكم على ما يمحو الله)
192	(لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا)	172	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)
283	(لا تلقوا الركبان)	273	(ألا كلكم راع)
217-150	(لا حسد إلا في اثنتين)	124	(ألا هل أنبئكم ما العضه)
50	(لا ضرر ولا ضرار)	199	(الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة)
227	(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه)	196	(التأني من الله والعجلة)
217	(لا يؤمن من لا يأمن جاره)	53	(الحج عرفة)
124	(لا يدخل الجنة قتات)	292	(الحرب خدعة)
159	(لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)	50	(الحلال بين والحرام بين)
217	(لا يزني الزاني حين يزني)	172	(الدين النصيحة ثلاثاً)
177	(لتأخذوا مناسككم)	134-49-14	(الدين النصيحة)
101	(لقد احتظرت واسعا)	204	(الرؤيا معلقة برجل طائر)
36	(لقد تركتم بالمدينة أقواما)	251	(اللهم أنت صاحب في السفر)
292	(لقد حكمت فيهم بحكم الله)	195	(اللهم إني أسألك التثبيت في الأمر)
108	(لقد قلت كلمة لو مزجت)	148	(اللهم فقه في الدين)
180	(لله أرحم بعباده من هذه بولدها)	104	(المؤمن الذي يخالط الناس)
200	(لولا أن قومك حديثو)	33	(المؤمن غر كريم)
170	(لو كان ابنك لم ترض)	218	(المؤمن مرآة المؤمن)
178	(ليس الغنى عن كثرة العرض)	198	(المتشبع بما لم يعط)
169	(ما بال قوام يرفعون أبصارهم)	220	(المستشار مؤتمن)
256	(ما استفاد المؤمن)	53	(الندم توبة)
172	(ما أنت بمحدث قوما حديثاً)	119	(الواجد يحل عرضه وعقوبته)

169	(ما بال أقوام يتنزّهون)	298	(إلى النجاشي ملك الحبشة)
150	(ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا)	146	(أليس لكم في أسوة)
199	(ما دعوت أحدا إلى الإسلام)	210	(أما صاحبكم فقد غامر)
126	(ما رأينا مثل قرآننا هؤلاء)	109	(أما معاوية فصعلوك لا مال له)
157	(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا)	250	(إن أحب الكلام إلى الله)
136	(ما من أمير يؤمر على عشرة)	142	(إن الرفق لا يكون في شيء)
270	(ما من عبد يسترعيه الله)	299	(إن العجم لا يقبلون إلا كتابا)
51	(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه)	29	(إن الله إذا أراد رحمة أمة)
178	(مثل البخيل والمنفق)	160	(إن الله تعالى يعرض بالخير)
179	(مثل الجليس الصالح)	174	(إن الله رفيق يحب الرفق)
179	(مثل القائم على حدود الله)	188	(إن الله عز وجل حيي ستير)
187-178	(مثل ما بعثني الله به من الهدى)	129-128	(إن الله قد صدقك يا زيد)
266-156	(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه)	263	(إن الله يرضى لكم ثلاثا)
189-92-79	(من أراد أن ينصح لذي سلطان)	162	(أن تأمرني بحسن القضاء)
76	(من أرادكم على معصية)	272	(إن شر الرعاء الحطمة)
136	(من استرعاه الله رعية)	196	(إن فيكم خصلتين يحبهما الله)
136	(من استرعي رعية فلم يحطهم)	237-148	(إن من الشجر شجرة مثلها)
207	(من استعاذ بالله فاعيدوه)	158	(إن هذا المال خضرة حلوة)
91	(من أشاد على مسلم عورة)	182	(إن هذين حرام على ذكور)
267	(من بنى مسجدا لله)	179	(إنا حاملوك على ولد ناقة)
91	(من حمى مؤمنا من منافق)	203	(أنت فيه بالخيار أربعة أشهر)
211	(من دعا لأخيه بظهر)	150	(أنت مع من أحببت)
142-118	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده)	108	(انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار)
117-98	(من ستر مسلما ستره الله)	212	(انصر أخاك ظالما أو مظلوما)
243	(من سره أن ينظر إلى رجل)	27	(إنكم مسؤولون عني)
277	(من غش فليس مني)	50	(إنما الأعمال بالنيات)
128	(من كان حالفا فليحلف بالله)	164	(إنما الصبر عند الصدمة الأولى)
233	(من كنتم علما ألجمه الله)	176	(إنما صنعت هذا لثأمتوا)
89	(من لبس ثوب شهرة ألبسه الله)	172	(أنه كان إذا سلم سلم ثلاثا)
147	(من يرد الله به خيرا يفقهه)	81	(أنهم كلاب النار)
174	(مهلا يا عائشة)	159	(إني أعطي الرجل وأدع الرجل)
47	(نزل نبي من الأنبياء)	206	(إني إن شاء الله لقائم العشية)
268	(نضر الله امرأ سمع مقالتي)	180	(إني لا أقول إلا حقا)
192	(نعم فإنه لا ينبغي لي أن أقول)	245	(إني لست كهينتكم)
181	(هذا الأمل وهذا أجله)	195	(إني لم أؤمر أن أنقب قلوب)
181	(هذا الإنسان وهذا أجله)	265	(أوصيكم بتقوى الله عز وجل)
181	(هذا صراط ربك مستقيما)	175-111	(بئس أخو العشيرة)
226	(هل تدري ما حق الله)	143	(ثلاث لا يغفل عليهن قلب)
29	(هل وجدتم ما وعد ربكم حقا)	168	(ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ)
150	(هو الطهور ماؤه الحل ميتته)	216	(حتى يحب لأخيه)

203-66	(وإذا استنصحك فانصح له)	144	(حق المؤمن على المؤمن)
157	(وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه)	227	(حققت محبتي على المتحابين)
191	(وأسألك خشيتك في الغيب)	113	(خذي ما يكفيك)
137-62	(والنصح لكل مسلم)	110	(خير دور الأنصار بنو النجار)
65	(وأن نقول الحق أينما كنا)	214-145-102	(دعه فإن الحياء من الإيمان)
144	(وتنصح المسلم وتطيع الوالي)	203	(دعوا الناس يصيب بعضهم)
127	(وعت أذنك)	105	(ذكرك أخاك بما يكره)
101	(ولا تعينوا الشيطان عليه)	140	(رفع القلم عن ثلاثة)
192	(وما يدريك لعل الله اطلع)	302	(ستكون فتن القاعد)
240	(ويل للأعقاب من النار)	134	(سيكون بعدي أمراء)
205	(يا أبا ذر إنك ضعيف)	196	(عليك بالصعيد فإنه يكفيك)
180	(يا أبا عمير ما فعل النغير)	146	(عن بيع الورق بالذهب دينا)
229	(يا غلام إنني أعلمك كلمات)	235	((فإذا ضعيت الأمانة)
163	(يا معشر الأنصار ألم أجدكم)	201	(فإن محمداً يعطي عطاء)
254	(يا معشر الشباب)	297	(فإنه من ينصح)
166	(يا معشر النساء تصدقن)	297	(فاني أدعوك بدعاية الإسلام)
175	(يتخولنا بالموعظة)	176	(فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا)
108	(يخمشون وجوههم)	156	(فضلت على الأنبياء بست)
141	(يجاء بالرجل يوم القيامة)	257	(ففيهما فجاهد)
207	(يرحم الله موسى قد أؤذي)	167	(فقلت عبد نبي)
190	(يسروا ولا تعسروا وبشروا)	175	(فكانت صلاته قصدا)
123	(يعذبان وما يعذبان في كبير)	171	(فلا تدع أن تقول في دُبر)
173	(يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم)	173-152	(فليكن أول ما تدعوهم)
308	(يوشك أن يكون خير مال)	96	(فما بال العامل نستعمله فيأتينا)
157	(يا عثمان أرغبت عن سنتي)	202	(فما برح يعطيني)
259	(يا غلام سم الله وكل بيمينك)	180	(فو الله للدنيا أهون على الله)
		148	(فيوسف نبي الله بن نبي الله)

الصفحة	الأثر	الصفحة	الأثر
209	(فإن القضاء فريضة محكمة)	72	(اثنان ظالمان)
187	(قال لا يأمر السلطان بالمعروف)	154	(إذا رأيت الرجل يعمل)
77	(قل لي في وجهي ما أكره)	90	(إذا قدمتم علينا)
143	(كان من كان قبلكم)	78	(إذا ملت عدلوني)
209	(كدت أن أمضي في صلاتي)	181	(ارتحلت الدنيا مدبرة)
148	(كونوا ربانيين)	71	(أصل الأيمان عندنا)
75	(لئن كنت تحب أن يكون الناس)	54	(الذي يقدم حق الله)
70	(لا إسلام إلا بطاعة)	188	(المؤمن شعبة من المؤمنين)
72	(لا تؤدي النصيحة إلى أخيك)	93	(المؤمن يستر وينصح)
71	(لا تجلسوا مع كل عالم)	70	(المؤمنون نصحة)
70	(لا يزال المؤمن في فسحة)	72	(النصح لله)
56	(لقد عشنا برهة من دهر)	38	(النصوح الصادقة)
106	(للغيبة ثلاثة أوجه)	211	(امرأة خاصمت عمر)
73	(للفقراء في السفر والحضر)	145-72	(إن أحب عباد الله إلى الله)
106	(لم يكفك أن اغتبتته)	267	(إن الناس لا يصلحهم)
73	(لو قيل لي خذ بيد)	196	(إن أهون السقي التشريع)
118	(مؤذنان بلال وابن أم مكتوم)	39	(أن تضيق عليك الأرض)
71	(ما أدرك عندنا من أدرك)	200	(إن للقلوب شهوة وإقبالا)
205	(ما أوردت الحق والحجة)	141	(إن لم تخش أن تفضح بثلاث)
100	(ما زالوا يؤثبونني)	142	(إن لم يأمر بالمعروف)
185	(ما ناظرت أحدا قط)	84	(إن لنا عليكم حقا النصيحة)
154	(ما ينبغي للفقير)	38	(أن يبغض الذنب الذي أحبه)
71	(من جلس على الوسائد)	38	(أن يكون الذنب بين عينيه)
32	(من خادعنا بالله خدعنا)	39	(أن ينسى الذنب فلا يذكره)
187	(من لانت كلمته)	84	(أني قد وليت أمركم)
72	(من نصحك في ملا)	83	(إني قد وليت عليكم)
204	(من وصل أخاه بنصيحة)	72	(أوصيك بالنصح)
93	(من وعظ أخاه)	235	(إياك وغلول الكتب)
46	(نصح قومه حيا وميتا)	15	(إياكم وكثرة التَّصَحُّح)
84	(والله وليت أمركم حين وليته)	298	(أيما كتاب لم يكن مختم)
77- 59	(وددت أن هذا الخلق)	187	(ثلاث تثبت لك الودّ)
37	(ولقد كان الرجل يؤتى به)	191	(ثلاث من جمعهن)
83	(ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم)	72	(ثلاثة من أعلام الخير)
74	(يا أبا رزين إذا كابد الناس)	172	(حدثوا الناس بما يعرفون)
77	(يا أبا سفيان إن المؤمنين)	38	(خوف ألا تقبل)
79	(يا أمير المؤمنين إن تكلمت)	106	(ظلم لأخيك المسلم)
77-59	(يالييتني عملت فيكم بكتاب الله)	76	(عليك بالصدق في المواطن)

38	(يجمعها أربعة أشياء)	33	(غرهما باليمين وكان يظن آدم)
79	(يرحمك الله فأين المتكلم بالحق)	196	(فالأناة تربصه)
71	(يكفيكم من العظة ذكر الموت)	271	(فإن أسعد الرعاة عند الله)

4. فهرس الأشعار والأمثال

الصفحة	الشعر أو المثل
34	الأب جلاب والأخ سلاب
14	أبلغ الحرث بن هندٍ بأنِّي ناصيحُ الجيبِ بازِلٌ للشوابِ
89	أحبُّ هُبوَطَ الواديَيْنِ وإنِّي لمُشْتَهَرٌ بالواديَيْنِ غريبُ
106	احذر الغيبة فهي الفسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالآكل من لحم أخيه
213	إذا أنا لم أنصر أخِي وهو ظالم على القوم لم أنصر أخِي حين يظلم
40	إذا صاحبت قوما أهل ود فكن لهم كذي الرحم الشفيق
89	أفينا تَسُومُ الشَّاهِرِيَّةَ بَعْدَمَا بَدَا لك من شَهْرِ المُتَيْسَاءِ كوكب ؟
14	ألا ربَّ من تَعَثَّشَهُ لك ناصِحُ ومُنْتَصِحٍ بادٍ عليك غوائلُهُ
34	ألا قل لمن ظل لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب
189	أمنتُ على السَّرِّ امرءاً غيرَ حازمٍ ولكنَّهُ في النُّصحِ غيرُ مُريبٍ
264	إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
196	أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل
122	بَكَتْ من حديثِ نَمَّه وأشاعَه ولصَقَّه واش من القوم واضِعُ
15	تركت حل السوء إذ لم يواني ولم أنتصح فيه المنيم المهددا
14	تقولُ انْتَصِحْنِي إنني لك ناصِحُ وما أنا إن خَبَرْتُها بأمين
185	خالف تعرف
48	رمتني بدائها وأنسلت
19	السَّعيد من وُعِظَ بغيره
47	صار فرعون مذكراً
306	عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقيه
13	فأزالَ مَقْرَطُهَا بأبيضَ ناصِحِ من ماءِ أَلْهَابٍ بهنَّ التَّالِبُ
18	فترى القومَ نَشَاوَى كُلُّهُمْ مثلما مُدَّتْ نِصَاحَاتُ الرُّبْحِ

186	فكم من عدو مُعلن لك نصحه علانية، والغش تحت الأضالع
15	فلا عمر الذي أثنى إليه وما رفع الحبيح إلى آل
158	فوضع الندى في موضع السيف بالعل مضر كوضع السيف في موضع الندى
34	فيارب إن الناس لا ينصفونني فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
19	قل للغواني أما فيكن فاتكة تعلو اللتيم بضرب فيه إمحاضو
187	كيف أصبحت كيف أمسيت مما يُنبئ الوء في فؤاد الكريم
34	لله در الحسد ما أعدله بدا بصاحبه فقتله
246	لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
14	نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تتجح لديهم وسائلي
17	هذا مقامي لك حتى تنصحي رياً وتجتازي بلاط الأبطح
114	وما عليك إذا ما اغتبت مبتدأ لقول رشد ونصح المستشير ولا
105	ويخبرني عن غائب المرء، هديه كفى الهدى، عما غيب المرء، مخبرا
17	ويرعد إرعاد الهجين أضاعه غداة الشمال الشمرخ المُنصَح

5. فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام	الصفحة	الأعلام
81	سعيد ابن جمهان	68	ابن أبي حمزة
202	سعيد بن المسيب	282	ابن أبي ليلى
141-38	سعيد بن جبير	281	ابن أبي موسى
188-187-154-76-54	سفيان الثوري	30	ابن إسحاق
155	سفيان بن عبد الله الثقفي	105-89-17-15	ابن الأعرابي
269-75-49	سفيان بن عيينة	72	ابن الأعرابي علي بن الحسن
309	سلمة بن الأكوع	79	ابن الجوزي
95	سليك الغطفاني	80	ابن السماك
289	سليمان بن بريدة	276	ابن القطاع
176	سهل بن سعد الساعدي	-135-81-72-40 264-188	ابن المبارك
91	سهل بن معاذ	282	ابن المنذر
49	سهيل بن أبي صالح	293-283	ابن المنير
137-72	الشافعي	20-14	ابن بري
196	شريح بن الحارث	-213-174-132-66 228 -285-271-249 288	ابن بطل
18	شَيْبَةُ بن نِصاح	32	ابن جريج
202	صفوان بن أمية	65	ابن حجر
100	طَلْحَة بن عبيد الله	186	ابن زنجي البغدادي
290-277-273-257-234	الطبيبي	19-18-17	ابن سيده
272	عائذ بن عمرو	282	ابن شبرمة
35	عائذ بن عمرو المزني	202	ابن شهاب
-142-140-113- 111-108 175-174-169	عائشة بنت أبي بكر	75	ابن عجلان
218	العامري	42	ابن عطية
225	عبادة بن الصامت	230	ابن علان
172	عبد الرحمن بن أبي بكرة	71	ابن محيريز
268	عبد الرحمن بن عبد الله	17	ابن مقبل
142	عبد العزيز بن أبي داود	36	ابن مكتوم
49	عمرو بن دينار	305	أبو إدريس الخولاني
41	عكرمة	16	أبو إسحق

54	عبد العزيز بن ربيع	110	أبو أسيد الساعدي
66	العلاء بن عبد الرحمن	210-70	أبو الرداء
212	العلائي	95	أبو الزاهرية
44	علي بن أبي طلحة	228 -75	أبو الزناد
287-81	عبد الله بن أبي أوفى	34	أبو العتاهية
159-95	عبد الله بن بسر	209	أبو العوام البصري
76	علي بن الحسن السلمي	256	أبو أمانة
191	عمار بن ياسر	179	أبو بردة بن أبي موسى
163	عبد الله بن زيد	75	أبو بكر الأعين
260	عمر بن أبي سلمة	73	أبو بكر الخطيب
189	عمر بن عبيد	39	أبو بكر الوراق
75	عبد الله بن صالح	294-280-205	أبو بكر بن العربي
283	عبد الله بن طاوس	293	أبو بكر بن طلحة
284	عبد الله بن عثمان	280	أبو بكر الحنبل
-147-135-126-118-102 279-273-236-207	عبد الله بن عمر	304	أبو بكرة
287	عمر بن عبيد الله	54	أبو ثمامة
197	عمران بن حصين الخراعي	282	أبو ثور
36	عمرو بن الجموح	96	أبو حميد الساعدي
173	عمرو بن العاص	283	أبو حنيفة
258-240-233	عبد الله بن عمرو	250-205-91	أبو ذر
298	عمرو بن أمية الضمري	204- 74	أبو رزين
159	عمرو بن تغلب	20-17-16	أبو زيد
35	عبد الله بن مغفل	-160-142-135 308-166	أبو سعيد الخدري
192-176	عمرو بن شعيب	77-70	أبو سفيان
128-127	عمير بن سعد	74	أبو سلمة بن عبد الرحمن
202	عمير بن وهب	228	أبو عبيدة
282	عبيد الله بن الحسن	17-16-13	أبو عمرو
272-270	عبيد الله بن زياد	244-57-22	أبو عمرو بن الصلاح
265	العرباض بن سارية	216	أبو محمد بن أبي زيد
202-111-96-83	عروة بن الزبير	-144-105-101-66 150-148 -170-165-158-156- -180-178-174-171 -218-203-200-198 -243-235-227-220 302-277-263-252	أبو هريرة
145	سعد بن هشام بن عامر	146	أبو المنهال

78	عياض بن غنم	239	أبو يحيى الأنصاري
284	عطاء بن رباح	154	أبو يعلى الحنبلي
49	عطاء بن يزيد	75	أدم العسقلاني
85	فاطمة بنت عبد الملك	140-109	أسامة بن زيد
109	فاطمة بنت قيس	71	أسماء بنت أبي بكر
122-16	الفراء	63- 61	إسماعيل بن أبي خالد
135-81-75-71-38	الفضيل بن عياض	65	إسماعيل بن جعفر
271-196-155-63	القاضي عياض	265-80-20	الأصمعي
145-126-38-32-19	قتادة	75	الأعرج
65	قتيبة بن سعيد	18	الأعشى
255	القرافي	15	أَكْثَمُ بن صَيْفِي
38	القرظي	84	الإمام الشعبي
49	الققعاع بن حكيم	-164-150-108 -172-169-167 -181-180-179 -216-212-196 298	أنس بن مالك
63-61	قيس بن أبي حازم	89	الباهلي
285-106	الكرماني	146	البراء بن عازب
134	كعب بن عجرة	73	بكر بن عبد الله
100	كُعب بن مالك	116	بهر بن حكيم
15	الكميت	307	البيضاوي
122	اللحياني	172-49	تميم الداري
75	الليث بن سعد	293-90	ثعلب
18	المُورَج	90	ثوبان
108	ما عزا الأسلمي	175	جابر بن سمرة
23	المازري	-180-177-95-71 292-197	جابر بن عبد الله
134-81-79	مالك بن انس	78	جبير بن نفير
189	المبارك بن سعيد	-132-77-63-62 144-139	جرير بن عبد الله
158	المتنبى	76	جعفر بن برقان
51	محمد بن أسلم الطوسي	80	جعفر بن سليمان
106	محمد بن سيرين	127	الجلال بن سويد
49	محمد بن عباد المكي	215-39	الجنيد البغدادي
126	محمد بن كعب	-122-89-19-14 239	الجوهري
78	محمد بن مسلمة	192	حاطب بن أبي بلتعة
304	محمد بن مسلمة	280	حبان بن منقذ
133-37-22	المروزي	146	حبيب بن أبي ثابت
61	مسدد بن مسرهد	124	حذيفة بن اليمان

94	مسعر بن كدام	301-289-262	الحرالي
199	مصعب بن سعد	-106-72-38-34 267-188	الحسن البصري
36	مصعب بن عمير	282	الحسن بن صالح
225-196-171-152-91	معاذ بن جبل	100	الحسن بن عليّ
84	معاوية بن يزيد	85	الحسين بن منصور
370-136	معقل بن يسار	158	حكيم بن حزام
80	المغيرة بن شعيب	234	الحليمي
34	منصور الفقيه	147	حميد بن عبد الرحمن
294-249	المهلب	199	خالد بن الوليد
78	موسى بن أبي عيسى	-58-57-54-21 -233-228-163-63 288	الخطابي
201	موسى بن أنس	72	ذو النون
77	ميمون بن مهران	242	ربيعة بن كعب الأسلمي
14	النابعة	145	زرارة بن اوفى
17-13	النضر	283	زفر
179	النعمان بن بشير	235	الزهري
79	هشام بن حكيم	162	زيد بن سعدة
119	وكيع بن الجراح	146-128	زيد بن أرقم
204	وكيع بن عدس	126	زيد بن أسلم
125	يحيى بن أبي كثير	134	السائب بن يزيد
65	يحيى بن أيوب	13	ساعة بن جُوَيْة الهذلي
80	يحيى بن خالد البرمكي	287	سالم أبي النضر
61	يحيى بن سعيد	214-145	سالم بن عبد الله
85	يحيى بن يحيى	32	السدي

6. فهرس المراجع

ثبت المراجع والمصادر

بعد

﴿القرآن الكريم﴾

1. الإحكام في أصول الأحكام/ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد /دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى، 1404
2. إحياء علوم الدين / أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي الطوسي (450-505 هـ.ت) / 4 أجزاء / دار المعرفة - بيروت
3. الأخلاق والسير في مداواة النفوس / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (384 هـ ، 456هـ) / دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية ، 1399 - 1979
4. آداب الأكل "ابن العماد الاقفهسي" / احمد بن عماد بن يوسف بن عبد الذبي أبو العباس شهاب الدين الاقفهسي القاهري (فقيه شافعي 750-808 هـ - 1349-1405 م) / دار الكتب العلمية / بيروت 1986 م
5. أدب الإماء والاستملاء/عبد الكريم بن محمد بن منذور أبو سعد التميمي السمعاني (562 هـ.ت) /تحقيق . ماكس فايسفايلر . / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى / بيروت /1401هـ -1981 م
6. الأدب المفرد / محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه أبو عبد الله البخاري الجعفي (194-256 هـ/810-869 م) / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي/ دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ، 1409 - 1989
7. الأذكار النووية/ محيي الدين أبي ذكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (سنة 631 هـ - سنة 676 هـ.ت) / دار الفكر بيروت - لبنان (1414 هـ - 1994 م)
8. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بـ (تفسير أبو السعود / شيخ الإسلام أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي (898-982هـ/1493-1575م)/ دار إحياء التراث العربي - بيروت
9. أساس البلاغة / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد ، الخوارزمي الزمخشري (467 هـ / 1074 م - 538 هـ / 1143 م.ت) / دار الكتب والوثائق - مصر ، الطبعة الثانية ، 1973 م .
10. الأسماء والكنى / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164 هـ/780 م - 241 هـ/855 م)/ تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع/ مكتبة دار الأقصى - الكويت الطبعة الأولى ، 1406 - 1985
11. الاستذكار /شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي (368هـ ، 463 هـ.ت) /تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض /دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1421 - 2000م

12. الاستقامة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو عباس (661-728 هـ . ت) / تحقيق : د. محمد رشاد سالم . / جامع الأمام محمد بن سعود - المدينة المنورة الطبعة الأولى (1403 هـ).
13. الأشراف في منازل الأشراف / عبد الله بن محمد بن بن عبيد بن سفيان بن قيس بن أبي الدنيا أبو بكر القرشي (281 هـ . ت) / تحقيق : د. نجم عبد الرحمن خلف / مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ، 1990
14. الإصابة في تمييز الصحابة / شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني أبو الفضل العسقلاني الشافعي (سنة 773 هـ ، سنة 852 هـ . ت) / تحقيق : علي محمد البجاوي / دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1412 .
15. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكّي زيد الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية (691 هـ 1292 م ، 751 هـ 1349 م) / تحقيق : محمد حامد الفقي / دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ، (1395 - 1975)
16. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى / الحجة أبو نصر ، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد ابن الأمير دلف ابن الأمير الجواد (422 هـ ، 475 هـ . ت) / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411 .
17. الأمثال في الحديث الذبوي / أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ (274 هـ ، 369 هـ . ت) / تحقيق : د. عبد العلي عبد الحميد حامد / الدار السلفية - بومباي الهند الطبعة الثانية ، 1987 م
18. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء / قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (978 هـ — ، ت) / تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي / دار الوفاء - جدة ، الطبعة الأولى ، 1406
19. الإيمان لابن منده / أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (395 هـ — ، ت) / تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي / مؤسسة الرسالة - بيروت / الطبعة الثانية ، 1406 .
20. البداية والنهاية / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (سنة 774 هـ . ت) / مكتبة المعارف - بيروت
21. البرهان المؤيد / أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني (578 هـ — ، ت) / تحقيق : عبد الغني نكه مي / دار الكتاب النفيس - بيروت الطبعة الأولى ، 1408
22. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي / دار احياء التراث العربي ، بيروت .
23. تاريخ مدينة دمشق / الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين الشافعي المعروف بابن عساكر (521 هـ الموافق

- لـ1106م ، ت . سنة 571هـ الموافق لـ1176م)، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرومه العمري / دار الفكر ، الطبعة الأولى ، (1416 هـ ، 1996م)
24. تاريخ الأمم والملوك / محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (سنة 310 هـ . ت) / دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1407
25. تاريخ الخلفاء / عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير السيوطي المشهور بإسم جلال الدين السيوطي (849 هـ/1445م - 911 هـ/1505م) / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة – مصر الطبعة الأولى ، 1371هـ - 1952م
26. التاريخ الصغير / محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (194-256هـ/810-869م) / تحقيق : محمود إبراهيم زايد/ دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة الطبعة الأولى ، 1397 - 1977
27. تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (224-310 هـ . ت) / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى – بيروت 1407هـ .
28. تاريخ بغداد / أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (392 هـ ، 1534م / 462هـ ، 1069م) / دار الكتب العلمية – بيروت .
29. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (1283-1353هـ . ت) / دار الكتب العلمية / بيروت .
30. تحفة المحتاج / عمر بن علي بن أحمد الوادياشي الاندلسي (723 - 804 هـ . ت) / تحقيق : عبد الله بن سعاف اللحياني / دار حراء ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، سنة 1406 هـ .
31. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، عبد الله بن يوسف الزيلعي ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى - سنة (1414 هـ) .
32. التدوين في أخبار قزوين / عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (623هـ — ت) / تحقيق. عزيز الله العطاردي / دار الكتب العلمية / بيروت 1987م .
33. تذكرة الحفاظ / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين ، الذهبي ، أبو عبد الله (سنة 673 ، سنة 748 هـ . ت) / دار إحياء التراث العربي .
34. التعريفات / علي بن محمد بن علي الجرجاني (740-816 هـ . ت) / تحقيق . إبراهيم الأبياري / دار الكتاب العربي الطبعة الأولى – بيروت 1405 هـ .
35. تعظيم قدر الصلاة / محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله (294هـ — ت) / تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي / مكتبة الدار - المدينة المنورة / الطبعة الأولى ، 1406 .
36. تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (774 هـ . ت) / دار الفكر / بيروت 1401 هـ .
37. تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (سنة 773 هـ ، سنة 852 هـ . ت) / تحقيق : محمد عوامة / دار الرشيد – سوريا الطبعة الأولى ، 1406 – 1986 .

38. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (سنة 773هـ ، سنة 852 هـ . ت) / تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني / المدينة المنورة ، 1384 – 1964 .
39. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد /أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (368 – 463 هـ . ت) / تحقيق . مصطفى بن احمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري . / وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1387 هـ .
40. تهذيب الأسماء واللغات / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الدنوي (631-676 هـ . ت) / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية – بيروت
41. تهذيب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (سنة 773هـ ، سنة 852 هـ . ت) / دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ، 1404 – 1984 .
42. تهذيب الكمال / يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (654 هـ ، 742 هـ ، ت) / تحقيق : د. بشار عواد معروف / مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، 1400 – 1980 .
43. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الأمام ابن القيم / احمد بن إبراهيم بن عيسى (1329 هـ ، ت) / تحقيق . زهير الشاويش / المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة – بيروت (1406 هـ) .
44. التوقيف على مهمات التعاريف/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (1031 هـ : — ، ت) / تحقيق : د. محمد رضوان الداية / دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، 1410 .
45. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد /سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1200 – 1233 هـ) / تحقيق . زهير الشاويش / مكتبة الرياض الحديثة – الطبعة الثالثة – الرياض (1406 هـ) .
46. الثقات / محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ أبو حاتم التميمي البستي (354هـ ، ت) / تحقيق : السيد شرف الدين أحمد/ دار الفكر الطبعة الأولى ، 1395 – 1975 .
47. الجامع (جامع معمر بن راشد) / معمر بن أبي عمرو راشد راشد الأزدي (153هـ ، ت) ، تحقيق ، حبيب الأعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1403 هـ .
48. جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (210-224 هـ . ت) / دار الفكر – بيروت 1405 هـ .
49. الجامع الصحيح المختصر / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (194-256 هـ/810-869 م) / تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق /دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987 .

50. الجامع الصحيح سنن الترمذي/محمد بن عيسى الترمذي السلمي (209 – 279 هـ. ت) تحقيق. احمد محمد شاكر وآخرون / دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
51. جامع العلوم والحكم /أبو الفرح عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي (750هـ، ت) / دار المعرفة - الطبعة الأولى / بيروت 1408 هـ .
52. الجامع لأحكام القرآن/محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (671هـ. ت)/ تحقيق . احمد عبد العليم البردوني / دار الشعب / القاهرة - الطبعة الثانية 1372 هـ .
53. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع /احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر (392-463هـ). / تحقيق . د. محمود الطحان / مكتبة المعارف- الرياض / 1403 هـ .
54. الجواهر الحسان في تفسير القرآن / أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (875هـ، ت) / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .
55. حاشية السندي على النسائي / نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي (1138هـ، ت) / ت. عبد الفتاح أبو غدة / مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب / طبعة الثانية ، 1406 – 1986 م .
56. الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة/ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري زين الدين أبو يحيى السنيكي (926هـ، ت) / تحقيق : د. مازن المبارك / دار الفكر المعاصر – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 .
57. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني (430هـ، ت) / دار الكتاب العربي / الطبعة الرابعة / بيروت / 1405 هـ .
58. خزانة الأدب وغاية الأرب/تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي (837هـ، ت) /تحقيق : عصام شعيتو/دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة الأولى ، 1987 .
59. الدر المنثور / عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير السيوطي المشهور بإسم جلال الدين السيوطي (849 هـ/1445 م-911 هـ/1505 م) / دار الفكر – بيروت ، 1993م عدد الأجزاء : 8 .
60. الدراري المضية شرح الدرر البهية/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني (1173 هـ / ت. 1250 هـ/ 1834 م) / دار الجيل - بيروت ، 1407 – 1987 .
61. الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج /عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي (849-911 هـ) /تحقيق . أبو إسحاق الحويني الأثري / دار ابن عفان /الخبر – السعودية (1416هـ –1996 م) .
62. رجال الفكر والدعوة في الإسلام/علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي (1420هـ ، 1999م . ت) / دار القلم ، الطبعة الأولى .

63. الرسالة /محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع أبو عبد الله الشافعي (150 هـ/766 م - 204 هـ/820 م). / تحقيق . احمد محمد شاكر ، القاهرة 1358هـ -1939م .

64. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي أبو الفضل (1217-1270 هـ ، 1803 - 1854م)/ دار إحياء التراث العربي - بيروت .

65. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة /محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور ب(ابن القيم الجوزية)(691-751 هـ .ت) / دار الكتب العلمية -بيروت (1395-1975م .

66. روضة الطالبين وعمدة المفتين /أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النوي (631-676 هـ .ت) / 12 جزء / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية - بيروت 1405 هـ .

67. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي البستي أبو حاتم (354هـ — ،ت) / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد / دار الكتب العلمية - بيروت ، 1397 - 1977 .

68. زاد المسير في علم التفسير / أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (سنة 510 هـ ، سنة 592 هـ .ت)/المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ، 1404 .

69. زاد المعاد في هدي خير العباد / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله /تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط / عدد الأجزاء : 5 مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت الطبعة الرابعة عشر ، 1407 هـ - 1986م .

70. الزهد لهناد بن السري / أبو السري هَنَاد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (152-243 هـ .ت)/ تحقيق. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى - الكويت 1406 هـ .

71. الزواجر عن اقتراف الكبائر / شهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي (974 هـ ،ت) / تحقيق ، عبد اللطيف عبد الرحمن / دار الكتب العلمية ، سنة 2005م

72. سبل السلام شرح بلوغ المرام /محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير (773-852هـ) /تحقيق .محمد عبد العزيز الخولي / دار إحياء التراث العربي -الطبعة الرابعة / بيروت 1379هـ .

73. سنن ابن ماجه / أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني (سنة 209 هـ ، سنة 273 هـ .ت) /تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر - بيروت .

74. سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي السجستاني (سنة 202 هـ ، سنة 275 هـ.ت) / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الفكر .
75. سنن البيهقي الكبرى/ احمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (384- 458 هـ.ت) /تحقيق . محمد عبد القادر عطا / مكتبة دار الباز . مكة المكرمة / 1414هـ - 1994م .
76. سنن الدار قطني / علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدار قطني البغدادي (385هـ — ،ت) / تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني / دار المعرفة - بيروت ، 1386 - 1966 .
77. السنن الكبرى / أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي ابن بحر بن سنان بن دينار القاضي النسائي (215- 303 هـ.ت) /تحقيق . د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى - بيروت - 1411-1991 م .
78. سير أعلام النبلاء /محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (673- 748 هـ.ت) تحقيق . شعيب الارناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي. / مؤسسة الرسالة / الطبعة التاسعة . / بيروت (1413هـ .
79. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون / علي بن برهان الدين الحلبي (975 - 1044هـ.ت) / 3/ أجزاء / دار المعرفة - بيروت 1400هـ .
80. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ تحقيق : محمود إبراهيم زايد/ دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405.
81. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية / تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ابن دقيق العيد) (702هـ—،ت) /تحقيق : محمد عوض هيكل / الحديث السابع ، / دار السلام ، الطبعة الاولى 1426هـ - 2005م .
82. شرح الاربعين النووية في ثوب جديد / عبد الوهاب رشيد صالح ابو صفية / دار البشير الطبعة الثالثة 1416-1995 .
83. شرح الزرقاني /محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (1122 هـ،ت) . / دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى. بيروت . 1411هـ .
84. شرح العقيدة الطحاوية/ لابن أبي العز صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين الدمشقي الصالح الحنفي (1331 — 1390) / المكتبة الإسلامي - بيروت الطبعة الرابعة ، 1391 .
85. شرح العمدة في الفقه/ أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ، الملقب بشيخ الإسلام (سنة 661 هـ ، سنة 728 هـ.ت) / تحقيق : د. سعود صالح العطيشان/ مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة الأولى ، 1413 .

86. شرح رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي / شرحه الشيخ محمد بن صالح العثيمين (676 ت هـ) / تحقيق : د عبد الرحمن الهاشمي / مؤسسة المختار - القاهرة / الطبعة الأولى / 1426 هـ - 2005 م .
87. شرح سنن ابن ماجه / السيوطي ، عبد الغني ، فخر الحسن الدهلوي / قديمي كتب خانة - كراتشي .
88. شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (سنة 384 هـ ، 458 هـ . ت / تحقيق : محمد الأسعيد بسيوني زغلول / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1410 .
89. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / محمد بن حبان بن احمد أبو حاتم التميمي البستي . (354 هـ . ت) / ترتيب : علي بن بلبان بن عبد الله ، علاء الدين الفارسي ، المنعوت بالأمير (739 هـ ، ت) / تحقيق . شعيب الارنؤوط / مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية . بيروت 1414 هـ - 1993 م .
90. الصحيح المسند من أسباب النزول / مقبل بن هادي الوادعي / دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، سنة 1415 هـ
91. صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (سنة 206 هـ ، سنة 261 هـ) / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي - بيروت .
92. صفة الصفوة / عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري أبو الفرج (سنة 510 هـ ، سنة 592 هـ) / تحقيق : محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي / دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ، 1399 - 1979 .
93. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط و حمايته من الإسقاط والسقط / عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو (577-643 هـ . ت) / تحقيق . موفق عبد الله عبد القادر / دار الغرب الإسلامي . بيروت - الطبعة الثانية (1408 هـ) .
94. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المعروف بابن سعد (230 هـ ، ت) / دار صادر - بيروت .
95. طبقات المفسرين / أحمد بن محمد الأدنوي / تحقيق : سليمان بن صالح الخزي / مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، 1997 م .
96. طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري (سنة 232 هـ . ت) / تحقيق : محمود محمد شاكر / دار المدني - جدة .
97. العقد الفريد / أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، أبي عمر ، شهاب الدين الأموي / تحقيق ، خليل شرف الدين / دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى ، 2001 م .
98. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية / عبد الرحمن بن علي بن الجوزي / تحقيق : خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1403 .

99. عمدة القاري شرح صحيح البخاري / للعلامة بدر الدين محمود بن احمد بن موسى العيني (سنة 762هـ ، سنة 855هـ.ت) / دار إحياء التراث العربي - بيروت .
100. العهود المحمدية / عبد الوهاب بن احمد الشعراني (973 هـ.ت) / ضبطه محمد عبد السلام ابراهيم / دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، 1998م .
101. عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب (1329هـ ، ت) / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، 1415 .
102. الفتاوى الكبرى / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / تحقيق : حسنين محمد مخلوف / دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1386 .
103. فتح الباري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري / احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . (773-852 هـ ، ت) / تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب / دار المعرفة - بيروت 1379هـ .
104. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الحديث ، الطبعة الأولى ، سنة (1413 هـ) .
105. الفردوس بمأثور الخطاب / أبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمداني . (445-509 هـ.ت) / تحقيق . السعيد بن بسيوني زغلول / دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت / 1986 م .
106. فصول من كتاب الانتصار للأصحاب الحديث / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي / تحقيق : محمد بن حسين بن حسن الجيزاني / مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، 1996 .
107. فقه السيرة / محمد ناصر الدين الألباني / دار القلم ، الطبعة السابعة - سنة 1418هـ .
108. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم . / علي محمد الصلابي / دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة 1437-2006م .
109. فقه النصيحة ، محمد ابو صعيلىك ، دار النفائس ، الطبعة الاولى ، 1995م .
110. فيض القدير شرح الجامع الصغير / زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (1031هـ ، ت) / المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى . 1356 هـ .
111. القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (467-817 هـ.ت) / تحقيق . علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعرفة / الطبعة الثانية / لبنان / 1399هـ .
112. قرى الضيف / أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس (ابن أبي الدنيا) (281هـ ، ت) / تحقيق : عبد الله بن حمد المنصور / أضواء السلف - الرياض الطبعة الأولى ، 1997م .
113. القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد / محمد بن عبد العظيم المكي الرومي الموري الحنفي / تحقيق : جاسم مهلهل الياسين ، عدنان سالم الرومي / دار الدعوة - الكويت الطبعة الأولى ، 1988 .

114. كتاب العين / أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (سنة 100هـ ، سنة 173هـ .ت) / تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال .
115. كتب ور سائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه / ابن تيمية الحراني أبو العباس (661-727هـ .ت) / تحقيق . عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي / مكتبة ابن تيمية .
116. الكشف/ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ، الخوارزمي الزمخشري (467 هـ / 1074 م - 538 هـ / 1143 م .ت) / تحقيق عادل أحمد /الرياض-الطبعة الأولى 1418-1998 .
117. الكفاية في علم الرواية /أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (393-463هـ .ت) / تحقيق. أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني / المكتبة العلمية / المدينة المنورة .
118. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ **علاء الدين** علي بن حسام الدين المتقي الهندي (975هـ .ت) / مؤسسة الرسالة - بيروت 1989 .
119. الكنى / محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي/ تحقيق : السيد هاشم الندوي / دار الفكر - بيروت .
120. لسان العرب /محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (630-711هـ .ت) / دار صادر /بيروت . الطبعة الأولى .
121. لسان الميزان/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ تحقيق : دائرة المعارف النظامية - الهند/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الثالثة ، 1406 - 1986 / عدد الأجزاء : 7 .
122. اللامع في أصول الفقه/ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1405هـ ، 1985م.
123. مؤلفات ابن عبد الوهاب / محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي (1703 - 1791.ت) / تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب / جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض .
124. المبسوط / شمس الدين **محمد بن أحمد بن أبي سهل** السرخسي (483هـ — ،ت) / دار المعرفة- بيروت .
125. المتحابين في الله / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي والدمشقي الصالحي الحنبلي (سنة 541 هـ ، سنة 620 هـ .ت)/ دار الطباع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1411 - 1991 .
126. المجتبى من السنن /أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (215-303 هـ .ت) /تحقيق . عبد الفتاح أبو غدة/ مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب /الطبعة الثانية - 1406 - 1986 .
127. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / نور الدين علي بن أبي بكر بن **سليمان** الهيثمي (807هـ .ت) / دار الفكر، بيروت - 1412 هـ .

128. مجموع الفتاوى/احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (661 - 728 ت . هـ)/تحقيق : حسنين محمد مخلوف / الطبعة الأولى - دار المعرفة - بيروت - سنة 1386 .
129. الْمُحَلَّى بِالْآثَارِ شرح الْمُحَلَّى باختصار / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي/(المتوفى 456 : هـ)/تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، المطبعة المنيرية /سنة 1352هـ
130. مختار الصحاح /محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(721هـ.ت) /تحقيق . محمود خاطر /مكتبة لبنان ناشرون طبعة جديدة - بيروت (1415 هـ-1995م)
131. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر/ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،(سنة 711 هـ.ت)، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، 1988 .
132. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / تحقيق : محمد حامد الفقي /دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ، 1393 - 1973 .
133. مدرسة الدعاة . عبد الله ناصح علوان (سنة 1928م ، 1987م) / دار السلام ، الطبعة الثانية ، 1424-2004م .
134. المزهري في علوم اللغة وأنواعها/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير المشهور بإسم جلال الدين السيوطي (849 هـ/1445 م-911 هـ/1505 م) / تحقيق : فؤاد علي منصور / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1998 .
135. المستدرك على الصحيحين / محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المعروف بابن البيع (405هـ — ت) / تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990 .
136. المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (850هـ .ت) / تحقيق : د.مفيد محمد قميحة /دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، 1986 .
137. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة / د. عبد الكريم زيدان / مؤسسة الرسالة .
138. مسند أبي عوانة / يعقوب بن اسحاق الاسفرائني ابو عوانة (316 هـ، ت) ، دار المعرفة ، بيروت .
139. مسند أبي يعلى / أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (307هـ .ت) /تحقيق : حسين سليم أسد / دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى ، 1404 - 1984 .
140. مسند الإمام أحمد /احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164-241 هـ ، ت) / مؤسسة قرطبة - مصر .

141. مشاهير علماء الأمصار / محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي (354هـ، ت) / تحقيق : م. فلايشهمر/ دار الكتب العلمية - بيروت ، - 1959 .
142. مصباح الزجاجة / احمد بن ابي بكر بن اسماعيل الكناني (762- 840 هـ) / تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية - بيروت الطبعة الثانية ، سنة 1403 هـ .
143. المصباح المذير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ، 770 هـ/1368 م)/ المكتبة العلمية - بيروت .
144. مصنف عبد الرزاق /أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (126- 211 هـ .ت) /تحقيق. حبيب الرحمن الأعظمي /ج: 7 ص: 381/ المكتب الإسلامي /الطبعة الثانية. بيروت 1403 هـ .
145. المصنف في الأحاديث والآثار "مصنف ابن أبي شيبة" / أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (235هـ، ت) /تحقيق : كمال يوسف الحوت / مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ، 1409 .
146. المطلع على أبواب المقنع / محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله / تحقيق : محمد بشير الأدلبي / المكتب الإسلامي - بيروت ، 1401 - 1981 .
147. معنصر المختصر/يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن / عالم الكتب ، مكتبة المتنبي . بيروت ، القاهرة .
148. المغني في فقه الإمام احمد بن حنبل الشيباني /عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (541-620 هـ.ت) / دار الفكر- الطبعة الأولى /بيروت 1405 .
149. مفتاح دار السعادة ومذشور ولاية العلم والإرادة / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم الجوزية)(691-751هـ) /دار الكتب العلمية /بيروت .
150. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد /برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (884هـ.ت) / ت. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين /مكتبة الرشد للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى./الرياض 1990 م .
151. الملل والنحل / أبو الفتح تاج الدين محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (سنة 476 هـ ،سنة 548 م)/ تحقيق : محمد سيد كيلاني/دار المعرفة - بيروت ، 1404 .
152. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج/ دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ، 1358 .
153. المنهاج الإسلامي / د . هاشم محمد علي /قدم له عبد الله عقيل سليمان العقيل / الدوحة / دار الثقافة، 1996م .
154. منهاج السنة النبوية/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/ تحقيق : د. محمد رشاد سالم/ مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ، 1406 .

155. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (631-676 هـ.ت) / دار إحياء التراث العربي / بيروت - الطبعة الثانية 1392 هـ .
156. الموسوعة الفقهية الكويتية / وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / دار السلاسل/ الطبعة الثانية / الكويت .
157. نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية / جمال الدين عبدالله بن يوسف أبو محمد الحذفي الزيلعي (762 هـ، ت) / تحقيق : محمد يوسف البنوري ، دار الحديث - مصر ، 1357 .
158. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرشي المكي المقرئ التلمساني/ تحقيق : د.إحسان عباس / دار صادر - بيروت ، 1968 .
159. النكت على مقدمة ابن الصلاح / بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر/ تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج / أضواء السلف - الرياض ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ - 1998 م
160. النهاية في غريب الحديث والأثر / مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (606 هـ، ت) / تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية - بيروت ، 1399 هـ - 1979 م / عدد الأجزاء : 5 .
161. نواذر الأصول في أحاديث الرسول / محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي (320 هـ، ت) / تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة / ج: 2 ص: 257-258 / دار الجيل الطبعة الأولى - بيروت 1992 م .
162. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني (1250 هـ/ 1834 م) / دار الجيل - بيروت 1973 م .
163. الوافي في الوفيات / صلاح الدين خليل ابن بريك الصفدي (764 هـ، ت) / طبعة دار إحياء التراث العربي ، طبعة سنة 2000 م

مُحتَوَيَات البَحْث

الصفحة	الموضوع
2	المقدمة
2	أسباب اختيار الموضوع
3	أهمية الموضوع
4	الصعوبات التي واجهتني
4	منهجية الدراسة
10	الفصل الأول ماهية النصيحة وأهميتها
11	تمهيد
12	المبحث الأول : تعريف النصيحة لغة واصطلاحاً
12	المطلب الأول : تعريف النصيحة عند أهل اللغة
13	المطلب الثاني : مشتقات النصيحة
19	المطلب الثالث : النصيحة والألفاظ ذات الصلة بها
21	المطلب الرابع : تعريف النصيحة اصطلاحاً
23	الخلاصة
25	المبحث الثاني : النصيحة وأهميتها وأدلتها من القرآن الكريم
25	المطلب الأول : ما جاء بـ " لفظ " النصيحة
25	القسم الأول : النصيحة العامة في القرآن الكريم
30	القسم الثاني : النصيحة الخاصة في القرآن الكريم
32	القسم الثالث : النصيحة الكاذبة
35	القسم الرابع : النصيحة الصادقة
39	المطلب الثاني : ما جاء بـ " معنى " النصيحة
39	أولاً : نصيحة إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك
40	ثانياً : نصيحة هابيل لقابيل عندما هم بقتله
43	ثالثاً : النصيحة في قصة أصحاب السبت
44	رابعاً : النصيحة في قصة أصحاب القرية
46	خامساً : نصيحة النملة إلى بني جنسها
47	سادساً : نصيحة فرعون لقومه
49	المبحث الثالث : النصيحة وأهميتها وأدلتها السنة النبوية
49	المطلب الأول : حديث " الدين النصيحة "
50	أهميته ومكانته .

51	مسائل في الحديث
53	شرح الحديث
60	الخلاصة
62	المطلب الثاني : حديث "والنصح لكل مسلم "
62	أهمية الحديث ومكانته
63	مسائل في الحديث
64	شرح الحديث
65	الخلاصة
66	المطلب الثالث : حديث "وإذا استنصحتك فانصحه له "
67	أهمية الحديث ومكانته
67	ومسائل في الحديث
67	شرح الحديث
69	الخلاصة
70	المبحث الرابع : أهمية النصيحة عند السلف الصالح
70	القسم الأول : أقوال السلف في النصيحة
74	القسم الثاني : نصيحة السلف لأصحابهم ولعامتهم
77	القسم الثالث : نصيحة السلف الصالح لأئمتهم
82	القسم الرابع : نصيحة الأمام لرعيته
86	الخلاصة :
87	الفصل الثاني
	الفرق بين النصيحة وغيرها من الألفاظ التي تقاربها
88	تمهيد
89	المبحث الأول : الفرق بين النصيحة والتشهير
89	المطلب الأول : التشهير عند أهل اللغة والاصطلاح
90	المطلب الثاني : الأحاديث التي جاءت في ذم التشهير وتقديم النصيحة
91	المطلب الثالث : الفرق بين النصيحة والتشهير
97	الخلاصة
100	المبحث الثاني : الفرق بين النصيحة والتأنيب
100	المطلب الأول : تعريف التأنيب عند أهل اللغة والاصطلاح
101	المطلب الثاني : أحاديث في ذم التأنيب والتوبيخ وتقديم النصيحة
102	المطلب الثالث : الفرق بين النصيحة والتأنيب
103	الخلاصة
105	المبحث الثالث : الفرق بين النصيحة والغيبة
105	المطلب الأول : تعريف الغيبة وأدلة التحريم

109	المطلب الثاني : أحاديث قد يفهم منها الغيبة وحقيقتها النصيحة
114	المطلب الثالث : متى تباح الغيبة لغرض النصيحة
122	المبحث الرابع : الفرق بين النصيحة والنميمة
122	المطلب الأول : تعريف النميمة وبيان تحريمها
126	المطلب الثاني : أحاديث قد يفهم منها النميمة وحقيقتها النصيحة
129	والخلاصة
130	الفصل الثالث
	أحكام وآداب وأحاديث تتعلق بالنصيحة
131	تمهيد
132	المبحث الأول : حكم النصيحة في الإسلام
133	القسم الأول : حكم النصيحة لله ورسوله وكتابه
134	القسم الثاني : حكم النصيحة لائمة المسلمين
135	القسم الثالث : حكم نصيحة الحاكم لرعيته
137	القسم الرابع : حكم النصيحة بين المسلمين
138	المبحث الثاني : أهلية الناصح والمنصوح
138	المطلب الأول : أهلية الناصح والمنصوح
138	أولاً : تعريف الأهلية عند أهل اللغة والاصطلاح
138	ثانياً : أهلية الناصح والمنصوح
142	المطلب الثاني : صفات الناصح
147	المبحث الثالث : ضوابط وخصائص النصيحة .
147	المطلب الأول : الضوابط التي تقوم عليها النصيحة .
147	أولاً - أن تكون مبنية على الدليل .
150	ثانياً - تحري الحكمة في النصيحة .
152	ثالثاً - التدرج بالنصيحة في الأمور والمنهيات .
153	رابعاً - أن تكون النصيحة ضمن الأمر الشرعي .
154	خامساً - أن تكون النصيحة مما اتفق عليها .
154	المطلب الثاني : خصائص النصيحة .
155	أولاً : الأصالة والعمق .
156	ثانياً : الإيجاز والوضوح .
157	ثالثاً : مراعاة الحال .
160	رابعاً : ومن خصائص نصائحه شمولها على أمور الدنيا .
161	خامساً : ومن خصائصه انه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا نصحاً .
162	سادساً : ومن خصائص نصائحه القدرة على الإقناع والتأثير .
163	سابعاً : ومن خصائص نصائحه تحمل الأذى في نصحه .

165	المبحث الرابع: طرق وأساليب النصيحة .
165	المطلب الأول : تعريف الأسلوب عند أهل اللغة والاصطلاح .
165	المطلب الثاني: طرق وأساليب النصيحة .
165	الأول : النصيحة بما لم يسأل عنه المنصوح.
166	الثاني : بذل النصيحة والإغلاظ بها للمنصوح لمن يتطلب ذلك في حقه
167	الثالث : بذل النصيحة لمن يحتاج إليها وان لم يستشر المنصوح في ذلك .
168	الرابع : عدم التصريح والتعين في تقديم النصيحة .
170	الخامس : تقديم النصيحة بمفهوم المخالفة لمن كان طبعه اللجاج والمخالفة
171	السادس : بذل النصيحة بطريقة الترغيب وأسلوب المداراة بمعرفة الخير .
171	السابع : تكرار النصح بقصد التنبيه والإفهام .
172	الثامن : النصح على قدر الفهم .
173	التاسع : أن يقبل بالنصح على الجلساء جميعاً .
173	العاشر : البدء بالأهم ثم المهم في النصيحة .
173	الحادي عشر : الترفق والملاطفة في النصح .
174	الثاني عشر : المداراة بالنصح .
175	الثالث عشر : النصح بما لا يخل ولا يمل .
175	الرابع عشر : التمهّل بتقديم النصح للمنصوح .
176	الخامس عشر : انتهاجه أسلوب القدوة في العمل عند النصح .
177	السادس عشر : الأمثال والتمثيل.
179	السابع عشر : انتهاجه في نصحه أسلوب المداعبة .
180	الثامن عشر : انتهاجه في نصحه أسلوب انتهاز المناسبة والفرصة .
180	التاسع عشر : انتهاجه أسلوب الرسم ولإيضاح لأجل النصح .
182	العشرون : انتهاجه أسلوب النصح بإظهار المحرم الذي يريد أن ينهى عنه
184	المبحث الخامس: آداب تتعلق بالنصيحة
184	المطلب الأول : تعريف الأدب عند أهل اللغة والاصطلاح .
184	المطلب الثاني: آداب الناصح مع المنصوح .
184	أولا - الإخلاص .
186	ثانيا - اللين في الخطاب والشفقة في النصح .
188	ثالثا - الأسرار بها في مواضع الأسرار
189	رابعا - عدم الإلزام .
190	خامسا - الأنصاف في النصح
195	سادسا - التثبت عند النصح.
198	سابعا - الصبر على أذى المنصوح .
199	ثامنا - اختيار الوقت المناسب للنصيحة .
201	تاسعا - المعرفة بحال المنصوح .
203	المطلب الثالث : آداب المنصوح مع الناصح .

203	أولا - طلب النصيحة والبحث عن الناصح .
205	ثانيا - تقبل النصيحة .
206	ثالثا :الإحسان إلى الناصح المخلص ، وإكرامه .
207	رابعا - الصبر على أذى الناصح .
208	خامسا : الاعتراف بالخطأ .
211	سادسا : الدعاء للناصح في ظهر الغيب.
212	المبحث السادس : النصيحة والأحاديث المقاربة لها
222	الفصل الرابع نماذج من النصائح النبوية
223	تمهيد
224	المبحث الأول: نصائح الرسول ﷺ في باب الإيمان.
224	المطلب الأول : تعريف الإيمان عند أهل اللغة والاصطلاح .
225	المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الإيمان
232	المبحث الثاني: نصائح الرسول ﷺ في باب العلم
232	المطلب الأول : تعريف العلم عند أهل اللغة والاصطلاح .
233	المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب العلم .
239	المبحث الثالث: نصائح الرسول ﷺ في باب العبادات
239	المطلب الأول : تعريف العبادة عند أهل اللغة والاصطلاح
240	المطلب الثاني: نصائح النبي ﷺ في باب العبادات
240	أولا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء
242	ثانيا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
243	ثالثا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة
246	رابعا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم
248	خامسا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الحج
250	سادسا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في الأذكار
252	المبحث الرابع: نصائح الرسول ﷺ في باب الآداب .
252	المطلب الأول : تعريف الآداب عند أهل اللغة والاصطلاح .
252	المطلب الثاني: بعض النصائح النبوية في باب الآداب .
252	أولا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب الأخ مع إخوته .
254	ثانيا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب النكاح وما يتعلق به
257	ثالثا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في بر الوالدين
260	رابعا : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في آداب المأكل والمشرب

262	المبحث الخامس: نصائم الرسول ﷺ في باب الأحكام
262	المطلب الأول: تعريف الأحكام عند أهل اللغة والاصطلاح .
263	المطلب الثاني: النصائح النبوية في باب الأحكام .
263	أولا : أحاديث نصيحة المسلمين للسلطان .
270	ثانيا : نصيحة السلطان للمسلمين .
276	المبحث السادس: نصائم الرسول ﷺ في باب البيوع
276	المطلب الأول : تعريف البيع عند أهل اللغة والاصطلاح .
277	المطلب الثاني: أحاديث النصيحة في باب البيوع .
286	المبحث السابع: نصائم الرسول ﷺ في باب الجهاد
286	المطلب الأول : تعريف الجهاد عند أهل اللغة والاصطلاح .
287	المطلب الثاني : أحاديث النصيحة في باب الجهاد.
295	المبحث الثامن: نصائم النبي ﷺ بكتبه للملوك
295	المطلب الأول : تعريف كتب الملوك عند أهل اللغة والاصطلاح
297	المطلب الثاني : نصائح النبي صلى الله عليه وسلم بكتبه إلى الملوك
301	المبحث التاسع: نصائم النبي ﷺ في باب الفتن
301	المطلب الأول : تعريف الفتن عند أهل اللغة والاصطلاح .
302	المطلب الثاني : من نصائح النبي صلى الله عليه وسلم في باب الفتن .
312	الخاتمة
315	الفهارس
316	فهرس الآيات القرآنية
319	فهرس الأحاديث النبوية
322	فهرس الآثار
324	فهرس الأشعار والأمثال
329	فهرس الأعلام
300	فهرس المراجع

